

كتاب

الفوز بالمراد في نتائج بغداد

سليمان الدخيل

تقديم وتعليق

الدكتور محمد زينه ختم محمد عزت





مرکز تحقیقات اسلامی علوم اسلامی

کتاب
الفوز بالمراة
فی تالیخ بغداد



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

کتاب

الفوز بالميراث

في نتائج بخل



سليمان الدخيل

کتابخانه

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

۳۳۳۵۴

شماره ثبت:

تاریخ ثبت:

جمع داری اموال

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

۵۱۴۲۰

شماره اموال:

تقديم وتعليق

الدكتور محمد زينه محمد عزب





مركز بحوث وتطوير علوم
جميع الحقوق محفوظة للنناشر
الطبعة الأولى

٢٠٠٣-١٤٢٣ هـ

٥٥ شارع محمود طلعت من شارع الطيران - مدينة نصر

القاهرة - ت: ٢٦١٠١٦٤



| | |
|---------------------|------------------------|
| ٢٠٠٢ / ٢٠٦١٨ | رقم الابداع |
| 977 - 344 - 046 - x | ISBN الترقيم الدولي |

مقدمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل خلق الله الصادق الأمين صاحب السيرة الزكية محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وبعد:

علم التاريخ من العلوم الإنسانية التي لها دوراً أساسى فى حياة الأمم والشعوب والحضارات على مر العصور والأحقاب والأزمنة، بل لا يوجد شيء فى الوجود إلا وله تاريخ، فلهذا حرصت كل الحرص على تقديم كتاباً هاماً للمكتبة العربية «الفوز بالمراد فى تاريخ بغداد» لسلیمان الدخيل المؤرخ. فقبل تناولنا محتويات الكتاب نلقى الضوء على مدينة بغداد على مر العصور حتى سقوطها فى أيدي الأتراك فيقول الدكتور عصام عبد الرؤوف فى كتابه الخواضر الإسلامية.

تمهيد: خطط بغداد وتطورها فى العصر العباسى الأول:

كان من الطبيعى ومن المنتظر أن يرفض العباسيون - بعد أن أقاموا دولتهم على أنقاض الدولة الأموية - الأبقاء على مدينة دمشق حاضرة للخلافة ذلك أن بلاد الشام كانت مقر بنى أمية، وبها عصبيتهم من العنصر العربى الذى يناصرهم، ويرفض انتقال الخلافة إلى غيرهم، لذا نقل العباسيون حاضرة دولتهم إلى العراق قريباً من أنصارهم الفرس الذين أقاموا ملكهم على أكتافهم، وبذل الفرس أموالهم ودمائهم فى سنبل إقامة صرح دولتهم، يضاف إلى ذلك أن بلاد العراق غنية بمواردها الطبيعية، وفى مأمن من غارات البيزنطيين لبعدها عن

حدودهم^(١). وأصبح العراق بعد انتقال قصبة الدولة اليه - حلقة الاتصال بين
العنصرين العربي والإيراني اللذين يتألف منهما الجماعة الإسلامية^(٢).

ولم تكن كل من الكوفة والبصرة - وهما المدينتان الكبيرتان اللتان كانتا
موجودتين منذ الفتح العربي الأول للعراق - تصلح لأن تكون حاضرة للدولة
الجديدة ذلك أن أهل الكوفة كان معظمهم شيعة يعارضون الحكم العباسي بل
ويسعون إلى نقل الخلافة للعلويين، أما البصرة فلم تكن تصلح هي كذلك
لوقوعها في الجنوب لذلك أقام أبو العباس السفاح - أول خلفاء الدولة العباسية -
في الحيرة^(٣). وفي سنة ١٣٤هـ انتقل إلى الأنبار وبنى مدينة على شاطئ
الفرات، سماها الهاشمية نسبة إلى جده هاشم بن عبد مناف^(٤)، وتوفي أبو
العباس قبل أن يتم بناء المدينة، ولما ولي أبو جعفر المنصور الخلافة سنة ١٣٦هـ
لم يشأ أن يقيم في مدينة أخيه وولاه أبي العباس، إذ بنى مدينة بين الكوفة
والحيرة سماها الهاشمية أيضاً، وأقام بها لكنه لم يلبث أن كره سكناها لما ثارت
عليه الراوندية^(٥). كما أن قربها من الكوفة - ومعظم أهلها يناصر العلويين -
جعلته لا يشعر بالطمأنينة، لأنهم قد يشعرون عليه في أي وقت، وفعلاً أفسدوا
جندته وأنصاره عليه^(٦).

وعلى ذلك فقد عول المنصور على تأسيس حاضرة جديدة لدولته، فخرج
بنفسه يرتاد لها موضعاً يتخذ مسكناً لنفسه وجندته وبنى به مدينته، فبدأ فانهدر
إلى جرجرايا^(٧) ثم صار إلى بغداد، ثم مضى إلى الموصل ثم عاد إلى بغداد

(١) اليعقوبي: البلدان ص ٢٢١

(٢) ENCY of ISLAM: Art Baghdad

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، حوادث سنة ١٣٤هـ.

(٤) Le Strange: Baghdad during the Abbasid caliphate p. ٥

(٥) الراوندية قوم من أهل خراسان كانوا يقولون تناسخ الأرواح، ويؤمنون أن روح آدم انتقل إلى رجل من
كبارهم، وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور، وطافوا: بقصره وقالوا: هذا نصر ربنا. فأمر
المنصور بالقبض على رؤسائهم فنضب الباقون وثاروا عليه، فأخط المنصور ثورتهم، وتكل بهم.

(٦) ابن طباطبا: الفخرى في الأئمة السلطانية ص ١٤٣.

(٧) بلد من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد (يقوت: معجم البلدان ج ٢ ص).

وضرب عسكره على الصراة، وتدبر موقعها فاعجبه وقال: هذه دجلة ليس بيننا وبين الصين شئ يأتينا فيها كل ما في البحر وتأتينا الميرة من الجزيرة وأرمينية^(١) وما حول ذلك، وهذه الفرات يجئ فيها كل شئ من الشام والرقعة وما حول ذلك، كما أنه لاحظ خصب البقعة التي تقع فيها بغداد، الأمر الذي يسر لسكانها رغد العيش، يضاف إلى ذلك سهولة الدفاع عن موضع بغداد، فإن هاجمها أحد كانت دجلة والفرات وروافدهما خنادق لها، فإذا خربت القناطر احتاج العدو إلى العبور، لذلك فإن الهجوم عليها أمر صعب^(٢).

أصاب المنصور في اختياره لبغداد حاضرة لدولته، وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته عن الشروط الواجب توافرها في الحاضرة فقال: أما أن تقع على هضبة متوعدة من الجبل، وأما باستدارة بحر أو نهر بها حتى لا يوصل إليها بعد العبور، وطيب الهواء للسلامة من الأمراض، وقرب الزرع منها ليحصل الناس على الأقوات.

وكانت الأرض التي تقع فيها بغداد منذ القدم من أهم مراكز الحضارة، وازدهرت فيها بصفة خاصة الثقافة الشرقية القديمة، وكانت من أهم المراكز التجارية حيث تلتقى فيها عدة طرق تصلها بمختلف البلاد، وشهدت هذه الأرض الحواضر^(٣) عظيمة مثل بابل وبلوكة والمدائن وورثت بغداد هذه بل واستخدم في بنائها أنقاض مدينة المدائن التي تبعد عنها بضعة كيلو مترات^(٤).

أحاط بتأسيس مدينة بغداد روايات من نسج الخيال رواها الكتاب العرب، فذكروا أن رهبان الدير القريب من مدينة بغداد سأل المنصور عن الرجل الذي يريد بناء المدينة، فقبل له المنصور، فقال الراهب للرجل: اذهب إلى صاحبك وقل له لا يتعب نفسه في بناء هذه المدينة، فأنا نجد في كتبنا أن رجلاً اسمه

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك - حوادث سنة ١٤٥هـ.

(٢) مقدمة: ابن خلدون ص ٢٤٣.

(٣) Ency. of Islam. Art Baghdad (٣)

Hitti: Hist. of the Arabs P.242. (٤)

مقلاص يبنى ههنا مدينة، ويكون لها شأن من الشأن، وأن غيره لا يتمكن من ذلك، فجاء الرجل إلى المنصور وأخبره بما سمع، فقال المنصور: أما والله كان اسمي مقلاصاً، أطلقتته على مربية عجور لي^(١) والدليل على عدم صحة هذه الرواية أن الغيب لا يعلمه إلا الله.

ويرجع ترديد الكتاب العرب لهذه الرواية إلى أن الاعتقاد في التنجيم كان شائعاً في ذلك العصر حتى أن المنصور وضع أساس مدينته في الوقت الذي اختاره له المنجمون، ويشروه بطول بقائها وكثرة عمارتها^(٢) على أننا نلاحظ أن الأساطير أحاطت بتأسيس المدن الكبرى مثل أثينا وروما ودمشق.

كانت بغداد قبل تمصيرها قرية قديمة بناها بعض ملوك الساسانيين المتأخرين وتقع على الشاطئ الغربي لنهر دجلة في أعلى المكان الذي يلتقى فيه نهر الفرات بدجله، وكان يعقد بها سوق شهري يأتيه التجار من بلاد الفرس والصين، وتعرضت للغزو العربي سنة ١٣ هـ حينما هاجمها المنى بن حارثة الشيباني، واستولى عليها، وغنم من غزوها مغانم كثيرة^(٣)، وقد أثبت البحث الحديث وجود مدينة قديمة في موضع بغداد أثبتته المكتشف الإنجليزي السير هنري رولنسون سنة ١٨٤٨م، وظهر اسم بختنصر الثاني على أحجار هذه المدينة، وقامت في هذا المكان أيضاً مدينة تشبه في تسميتها بغداد^(٤).

اختلف الكتاب والمؤرخون حول معنى كلمة بغداد فيعتقد البعض أن بغداد كلمة فارسية تتركب من باغ ومعناها بستان وداد رجل، وقيل أن بغ اسم لصنم وداد أعطى وقيل أن تسمية بغداد باغ داذوية لأن موضع بغداد كان باغاً لرجل من الفرس يسمى داذويه، ولكننا نرجح أن كلمة بغداد معناها عطية الله أو هبته^(٥).

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ١٤٥ هـ.

(٢) للمنتصر لقبه السابق حوادث سنة ١٤٥ هـ.

(٣) le strange: Baghdad during the Abbasid Caliphate p.9

(٤) ياقوت: معجم البلدان ج٢ ص ٢٢٢.

(٥) le strange: Baghdad during the Abbasid Caliphate p72.

وسميت بغداد أحياناً بـبَغْدَاد، وأحياناً أخرى بـبَغْدَاد^(١). على أنها اشتهرت باسم مدينة السلام، واختلف المؤرخون كذلك حول هذه التسمية فبعضهم ذكر أنها سميت بهذا الاسم قبل أن ينيها المنصور، ويرى البعض أن اسمها اشتق من اسم نهر دجلة المدعو نهر السلام. ولكن الأرجح أن المنصور رغب في إطلاق تسمية عربية على بغداد فدعاها دار السلام، لأن الله هو السلام أو لعل المقصود هنا الجنة فقد ورد في القرآن الكريم عن الجنة ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ وَلِيُّهَا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سورة الأنعام الآية ١٢٧.

والله يدهو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ومهما يكن من أمر فقد كان الشعراء والأدباء وسائر الناس يطلقون على الحاضرة الجديدة بغداد أو ببغداد، وأحياناً يطلقون عليه الزوراء لأن قبلتها خير مستقيمة، يحتاج المصلي في المصلى في مسجد الجامع إلى أن ينحرف جهة اليسار^(٢)، أو أن أبوابها الداخلة مزورة عن الأبواب الخارجية أي ليست على سمتها، على أننا نلاحظ أن كثيراً ما كان يتردد ذكر دار السلام في المكاتبات الرسمية وعلى العملة^(٣).

تأسست مدينة بغداد في موضع عدة قرى منها ببغداد والمخرم وستان القس والعتيقة، وحرص المنصور على أن يطمئن على أحوال هذه القرى الصحية والمعيشية، فاستدعى رؤساءها وسألهم عن أحوال قراهم، فطمأنوه على حسن اختياره، ولم يكتف بذلك بل عهد إلى بعض رجاله بأن يبيتوا في هذه القرى، ويدرسوا أحوالها، فلما انتهوا من مهمتهم، قدموا على المنصور، وأجمعوا على أفضلية هذه سراها فازداد المنصور تفاؤلاً بنجاح المشروع الذي أقدم عليه^(٤).

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج ١ ص ٢٦.

Hitti: Hist. of the Arabs p.292

(٢) القسري في الأدب السلطانية ص ١٤٥-١٤٦.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ١٤٥هـ.

(٤) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج ١ ص ١٧-١٨.

عول المنصور على الاستفادة بكافة الخبرات الموجودة في مملكته في التجار مشروعه الكبير، فاستدعى إليه من كل بلد من بلدان دولته المهتمين، وأهل المعرفة بالبناء والعلم بالزراع والمساحة وقسمة الأرضين والبنائين والفعلة والصناع من الحدادين والحفارين والتجارين حتى اجتمع لديه على ما قيل - نحو مائة ألف من أرباب المهن والصناعات، وحدد لهم رواتب وأجور معلومة، وأسند مهمة الإشراف على عملية البناء إلى رجال ممن يتق بهم من ذوى الفضل والعدالة والفقه والأمانة والمعرفة بالهندسة، فكان ممن أحضر لذلك الحاجج بن أرطاة وأبو حنيفة النعمان بن ثابت^(١).

أشرف المنصور بنفسه على تخطيط مدينته الجديدة، فأمر بوضع خطوط بالرماد تمثل رسم المدينة الهندسي الذي أقره، ودخل من كل باب من أبوابها وعبر في فصلاتها وطاقتها ورحابها، وشاهد تخطيطها على الطبيعة، ولم يكف بذلك، بل أمر بوضع حب من القطن على الخطوط لرسمه في موضع بغداد، وصب النفط عليها ونظر إلى موضع للمدينة، والنار تشتعل، فشاهد رسمها، واطمأن إلى حسنه وقال: «الحمد لله الذي أخرها لي» وأغفل عنها كل من تقدمني هو الله لا بئنيها ثم اسكنها أيام حياتي، ويسكنها ولدي من بعدى، ثم لتكونن أعمر مدينة في الأرض^(٢).

افتتح المنصور مشروع تأسيس مدينته في يوم تاريخي مشهود حضره كبار رجال الدولة^(٣)، ووضع أول لبنة بيده وقال «بسم الله والحمد لله، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين»^(٤) ثم أمر عماله بأن يبدأوا في البناء على بركة الله.

على أن بناء بغداد لم يقدر له أن يتم سريعاً، فلما بلغ سور بغداد مقدار

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ حوادث سنة ١١٤٥ هـ.

(٢) المقبرى: البلدان من ٢٤١.

(٣) Hitti: Hist. of the Arabs p.242.

(٤) le strange: Baghdad during the Abbasid Caliphate p.9

قامة، أمر المنصور بوقف البناء بعد أن غمى إلى علمه انتفاض محمد ذي النفس الزكية بالمدينة المنورة عليه، وأقام بالكوفة حتى فرغ من قمع ثورة العلويين بقيادة الآخرين محمد وإبراهيم، وعاد إلى بغداد ليستأنف عملية البناء، وكان مولاه أسلم قد أحرق ما أعد لبناء المدينة من الخشب والساج خوفاً من أن يتصر العلويين ويؤخروا إلى بغداد ويستولوا على أدوات بنائها^(١)

ومهما يكن من أمر فقد استأنف المنصور بناء مدينة بغداد، وجعلها مدورة، ويذكر البعقري^(٢) أنه لا يعرف في جميع أقطار الدنيا مدينة مدورة غيرها.

وبنيت المدينة مدورة لثلاث يكون الملك إذا نزل وسطها إلى موضع منها أقرب منه إلى موضع^(٣).

أحاط المنصور مدينته بسورين، وجعل للبلدة أربعة أبواب للسور الداخلي ونظير لهذه الأبواب بالسور الخارجي. وأول هذه الأبواب باب خراسان ويسمى باب الدولة لأقبال الدولة العباسية من خراسان، والثاني باب الكوفة وهو تلقاء الكوفة، والثالث باب الشام وهو من ناحية الغرب، والرابع باب البصرة وهو بمقربة من دجله^(٤) فكان القادم إلى بغداد أو من الشرق يدخل من باب خراسان، والقاصد من الحجاز يدخل من باب الكوفة، والقاصد من المغرب يدخل من باب الشام، والقاصد من فارس والاهواز وواسط والبصرة واليمامة والبحرين يدخل من باب البصرة، وكان بين كل باب من أبواب المدينة والباب الآخر مسافة تقدر بميل.

عنى المنصور بتحسين مدينته، فأحكم بناء السورين، وجعل للمدينة أبواباً متينة من واسط والكوفة والشام، ونصبها على أبواب خراسان والكوفة

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ١٤٦هـ.

(٢) البعقري: البلدان ص ٢٤.

(٣) le strange. Baghdad during the Abbasid Caliphate p.9

(٤) ابن طهطا: المعرى في الأديب السلطانية ص ١٤٥-١٤٦.

(٥) ياقوت معجم البلدان ج ٢ ص ٢٣٥.

والبصرة، أما باب الشام فقد صنع في بغداد، وكان أضعف الأبواب^(١).

أقيم على كل باب من الأبواب الأربعة سواء السور الداخلى أو أبواب السور الخارجى طاقات، وعلى كل باب من أبواب السور الداخلى قبة معقودة مذهبة، ويصعد إلى هذه القباب على عقود مهيبة بالحصن والأجر، وبعضها باللبن، ولكل باب من هذه الأبواب التى على السور الداخلى قائد فى ألف جندى، يتولون مراقبة القادمين والخارجين من المدينة وتمكنهم القباب على الأبواب من رصد الحركة المتجهة إلى بغداد من مسافات بعيدة^(٢).

حرص المنصور على تقوية وسائل مدافع عن مدينته، فشيّد لها سورين - كما قلنا - سور داخلى وسور خارجى، ويحيط بالسور الخارجى من الخارج خندق عميق أحكم بناؤه، وله حافتين بالحصن والأجر، وأجرى فيه الماء تأخذ من نهر كرخاها، وكان عرض السور الداخلى من أسفله خمسون ذراعاً ومن أعلاه عشرون ذراعاً، ويطلق عليه البيهقي السور الأعظم، أو سور المدينة، أما السور الخارجى فكان إرتفاعه ثلاثين ذراعاً وعرضه كعرض السور الداخلى، وبين السورين فصيل، وكان يسمى سور الفصيل، وعلى السور أبراج، وبنيت عليه شرافات، وبين حائط السور حائط الفصيل مائة ذراع^(٣).

قلنا أن مدينة بغداد بنيت مدورة، وكان قطرها من باب خراسان إلى باب الكوفة ٢٠٥ ذراع ومن باب البصرة إلى باب الشام كذلك، واتخذ المنصور المسجد الجامع وقصره فى الرحبة التى هى فى وسط المدينة أو بعبارة أخرى مركز الدائرة للمدينة^(٤) وعنى المنصور تشييد قصره وسماء باب الذهب، وكان فى وسطه القبة الخضراء، التى كانت ترى من أطراف بغداد، وكان على رأس القبة

(١) Hitt. Hist. of the Arabs p.293.

(٢) البيهقي، البلدان ص ٤٠

المطالع للبخارى تاريخ بغداد ج ١ ص ٧٤-٧٥

(٣) حسن إبراهيم حسن - تاريخ الإسلام السياسي ج ٢ ص ٣٧١

(٤) le strange. Bagdad during the Abbasid Caliphate p. 17

تمثال على صورة فارس في يد رمح، وتحت القبة مجلس بمستوى سطح الأرض مساحته عشرة أمتار في مثلها، وفي صدر المجلس الأسفل ايوان عظيم على الطراز الفارسي، وارتفعت القبة الخضراء على علو يزيد على ثمانين درعاً ليشرق منها على جهات المدينة وما يجاورها من البساتين، كما أنه عني بتجميلها بالرسوم البديعة ليكون منها للدلالة على سعة ملكه والشهادة باقتدار على عظام الأعمال، فظهرت وكأنها أكليل من نور قد تدلى على قصر السلام^(١).

اتخذ المنصور ومعظم خلفائه في العصر العباسي الأول قصر باب الذهب أو قصر السلام مقراً لهم، ولم يبق فيه الخليفة الرشيد غير أن الأمين اتخذه مقراً له وأضاف إليه بناءً جديداً، واحتصم الأمين بهذا القصر أثناء حصار قوات المأمون لبغداد وتعرض القصر للتخريب والتدمير من ضربات طاهر بن الحسين العنيفة. أما القبة الخضراء فظلت قائمة على حالها، وبلغت مساحة قصر باب الذهب ١٦٠,٠٠٠ فرعاً مربعاً^(٢).

روى في تأسيس المدينة الإسلامية بناء مسجد جامع لها، فأنشأه بدل على طابعها الإسلامي، وقد أقام المنصور مسجد بغداد الجامع مجاوراً لقصر باب الذهب وكان محرابه منحرفاً عن القبلة، وبناء المنصور باللبن، ذلك أنه شيد بعد بناء القصر، ولكي يكون وضعه متناسباً مع وضع القصر أصبح منحرفاً محرابه عن القبلة وكان سقف المسجد قائماً على أساطين من خشب، ولكل أسطوانة تاج مدور مصنوع من قطعة خشب، وبقي هذا الجامع بهذه الصورة حتى ولي الرشيد الخلافة فعزل على تهيئته سنة ١٩٢ هـ، فأمر بهدمه وإعادة بنائه بالجص والأجر، وكتب عليه اسم الرشيد وذكر أسماء بنائيه ومشيديه وتاريخ البناء وقد تم ذلك سنة ١٩٣ هـ وصار يعرف هذا الجامع بالصحن العتيق^(٣).

قلنا أن مركز الدائرة بها القصر والمسجد الجامع، ولم يكن حولهما بناء ولا دار

(١) المقري البغداد ص ٢٤١

(٢) le strange: Baghdad during the Abbasid Caliphate p. 19.

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج ١ ص ٧٦

ولا مسكن لأحد إلا دار من ناحية باب الشام للحرس وسقيفه كبيرة محتلة على عمد مبنية بالأجر والجص، يجلس في أحدهما صاحب الشرطة وفي الأخرى صاحب الحرس، وحول الرحبة تدور منازل أولاد المنصور الأصغر ومواليه وبيت المال وخزانة السلاح وديوان الرسائل وديوان الخراج وديوان الخاتم وديوان الجند وديوان الخواصج وديوان النفقات ومطبخ العامة^(١).

على أن المنصور لم يكف بقصر باب الذهب، إنما عول على إتخاذ قصر آخر له باطراف المدينة، ولعل المنصور بعد أن شيد مدينة بغداد شعر أنه من عزل في قصر باب الذهب في وسط المدينة لتزيد السكان من حوله، فأقام لنفسه قصر الخلد، وأصبح أجمل المواضع التي ببغداد ويقع على الضفة الغربية مما يلي باب خراسان، وسماه الخلد نسبة إلى حلائقه الواسعة وتشبيهاً بعجته الخلد وما يحويه من كل منظر رائع ومطلب فائق وغرض غريب ومراد عجيب، وفضل الرشيد الإقامة فيه بدلاً من قصر باب الذهب، وعاش فيه طوال خلافته تقريباً^(٢).

اشتملت مدينة بغداد على أربع شوارع رئيسية، تفرعت من أبواب السور الداخلى الذى يحيط بالرحبة، وهذه الشوارع تتخذ صورة محاور الدائرة، ويتجه إلى خارج المدينة وتنتهى عند الخندق^(٣)، وقد أقيمت على جانبي هذه الشوارع الابنية العالية التى بنيت على نمط واحد وأحسن تنسيقها، وتفرعت من هذه الشوارع سكسكا^(٤) ودروياً عرفت باسم قواد المنصور ومواليه أو الإسم الذى يغلب على سكان السكة أو الدرب. وعلى صيبل المثال لا الحصر، الشارع الممتد من باب البصرة إلى باب الكوفة تتفرع منه سكة المطبق، والمطبق مسجن ببغداد، وثيق البنيان محكم السور، والشارع من باب البصرة إلى باب خراسان سكة

(١) ابن طهطا: الفخرى لى الاداب السلطانية ص ٢٢١

le strange: Baghdad during the Abbasid Caliphate p. 26.

(٢) الخطيب البغدادي تاريخ بغداد ج١ ص ٧٥

le strange: Baghdad during the Abbasid Caliphate p. 32. (٣)

(٤) الهمذاني: البلاد ص ٢٤١.

الحرس وسكة الربيع وهكذا، ومن باب الكوفة إلى باب الشام شارع يخرج منه سكة العلاء وسكة نافع... الخ.

والشارع من باب الكوفة إلى باب خراسان يخرج منه سكة الحكم بن يوسف وسكة صاعد مولى أبي جعفر.

وفي كل سكة من هذه السكك جلة القواد الموثوق بهم وجلة موالى الخليفة المنصور، ومن احتاج إليهم في مهام الأمور، وحرص المنصور بأن يراعى في تخطيط السكك والدروب ما يحتاجه الناس من مرافق كالمساجد والحمامات والأسواق وأن تتسع هذه السكك لإقامة المساكن والمنازل والمساجد.

ولكى يسر المنصور أمر تشيد مدينته، قسم المدينة إلى أربعة أرباض أى نواحي، وعهد إلى أربعة من رجاله المقربين إليه بأن يشرف كل واحد منهم على تأسيس ريف، ومنحه الأموال اللازمة لتأسيس ريفه، وأمرهم بأن يتوسعوا في إقامة الأسواق في الأرباض بحيث يكون في كل ريف سوق جامعة يضم مختلف التجارات وأن يجعلوا لكل ريف من السكك والدروب النافذة وغير النافذة ما يعتدل بها المنازل، وأمرهم بأن يجعلوا عرض الشارع خمسين ذراعاً، والدرب ستة عشر ذراعاً وأن يسوا في جميع الأرباض المساجد والحمامات ما يكتفى بها في كل ناحية ومحله، وأمر أن يجعلوا من قطائع القواد والجند ذراعاً معلوماً للتجار ينونه وينزلونه هم وأهل البلد الأخرى^(١).

ولما فرغ المنصور من عمارة بغداد أقطع أميان دولته قطائع من الأرض رغبة في تخفيف الضغط على بغداد من جهة ومكافأة لهم على ما قدموه من الخدمات الجلية من جهة أخرى، وسرعان ما عمرت هذه القطائع وازدحمت بالسكان وأصبحت كل قطعة منها تعرف باسم الرجل أو الطائفة التي تسكنها، فمن بينها قطعة العباس بن محمد بن عبد الله بن العباس على الصراة وقطعة الصحابة وهم من سائر قبائل العرب من قريش ولاتصار وربيعة ومضر، وكانت على

(١) ابن طيما. القمى في الأواب السلطانية ص ٢٢١.

الصراة أيضاً، وقطاعة الربيع بن يونس - مولى المنصور - وكان بها تجار خراسان من البزازين، وقطاعة صالح بن المنصور وقطاعة الحرب بن عبد الله - أحد أصحاب المنصور - وسرعان ما اتسعت هذه القطائع، وازداد إقبال الناس على سكنائها، وظلت تحمل اسم أصحابها مثل العباسية والصالحية والحربية^(١).

حرص المنصور على توفير المياه بأرض بغداد، فأمر بشق قناة تأخذ من نهر كرخايا - أحد روافد الفرات - تمر بداخل بغداد، وقناة أخرى تأخذ من دجلة مباشرة، وسماها دجيل، وجر لأهل الكرخ وما اتصل به نهر يقال له نهر الدجاج وأدى توفر المياه إلى فرس الناس النخيل الذي جلب من البصرة وغرسوا الأشجار، فاثمرت وأينعت، وبذلك امتلأت المدينة وضواحيها بالحدائق والمتزهات البديعة^(٢). وحنيت الحكومة في بغداد بنظافة المدينة، فلم يكن يسمع قط بإلقاء القاذورات على جانبي الطرق أو الأرقعة، وإنما كانت الشوارع تكنس وترش بأحسن نظام^(٣).

يبالغ اليعقوبي^(٤) في ذكر عدد مساجد وحمامات وأسواق بغداد فيذكر أن المساجد كانت ثلاثين ألفاً، والحمامات عشرة آلاف، وهذه الأرقام مشكوك في صحتها. لأن مدينة بغداد بتصميمها ومساحتها لا يمكن بحال من الأحوال أن تتسع لهذه الأرقام التي ذكرها اليعقوبي، على أننا نعتقد أن ما رواه اليعقوبي يدل على كثرة مرافق هذه المدينة.

على كل حال عنى المنصور بتأسيس مدينته، وأقام لها المرافق الضرورية والأسواق في كل ريف، على أن المنصور عاد فأمر بنقل الأسواق إلى الكرخ خارج المدينة، وجعل لكل تجارة شوارع معلومة وصفوفاً في تلك الشوارع وحوانيتها، ويرجع السبب في نقل المنصور الأسواق من داخل المدينة إلى

(١) اليعقوبي: البلدان ص ٢٥

(٢) ياقوت: معجم البلدان ج ٢ ص ٢٣٦.

(٣) المصدر السابق ذكره ج ٢ ص ٢٣٦

(٤) البلدان ص ٢٥١.

خارجها إلى أنه خشى أن يضم الغرباء الذين يستولون في السوق جواسيس، وجعل مدينته للشرطة والحرس وسائر السكان. وكان الكرخ - وهو السوق الذي اختاره المنصور - يقع ما بين الصراة ونهر عيسى، ثم أمر ببناء مسجد في السوق الجديد، ولما كثرت الناس ضاقت عليهم هذه الأسواق، فبنوا أسواقاً من أموالهم حتى اتسع الكرخ^(١). ومع ذلك فقد أمر المنصور بأن يبقى في كل ريفي يقال واحد لبيع الأشياء اليومية التي لا غنى للناس عنها. ويمرور الزمن اتسعت بغداد حتى صار الكرخ في وسطها^(٢).

لم يكتف المنصور بتأسيس مدينة على الضفة الغربية لدجلة، بل عول ستة ١٥١ هـ، على توسيعها، وذلك بإقامة مدينة جديدة على الجانب الشرقي لدجلة، وأقامها فعلاً وسماها الرصافة، وعمل لها سوراً وخندقاً ومسجداً جامعاً وقصراً، وأجرى لها الماء، ويرجع السبب فيما شرع فيه المنصور أنه خشى من اجتماع جند في مكان واحد، أقصد الضفة الغربية، فرأى تعريقهم على جانبي دجلة، فإذا ثار عليه جند الضفة الغربية ضربهم بجند الضفة الشرقية، وأمر ابنه المهدي بالإقامة في الرصافة مع عسكره، وأطلق المنصور أخوته وقواده نواحي في البلدة الجديدة، وتنافس الناس في النزول بالرصافة لمحبتهم المهدي ولاتساعه عليهم بالأموال والعطايا، ولأن الرصافة كانت أوسع الجانبين أرضاً. ذلك أن الناس قد سبقوا إلى الجانب الغربي، ولم تلبث أن عصرت الرصافة بالأسواق ومنازل التجار والجند وسائر الناس^(٣).

اتسع الجانب الشرقي من بغداد واستقرت فيه الأسر الغنية وأتباعها من الموالى والعبيد الذين يبلغ تعدادهم بضعة آلاف، وشيدت في الرصافة قصور فخمة أهمها قصر جعفر بن يحيى البرمكي، وأتخذ للهو والطرب وكان القصر في موقع حسن لإطالة على دجلة وصار إلى المأمون منزل صيده وقنصه، وبني حوله

(١) ياقوت: معجم البلدان ج ٢ ص ٢٢٢.

(٢) البيهقي: البلدان ص ٢٢٦.

(٣) ياقوت: معجم البلدان ج ٢ ص ٢٥٤.

وقريباً منه منازل لخاصته وأصحابه وحاشيته سميت بالمأمونية^(١). كذلك توسع الناس في البناء في القسم الشرقي، فبنوا فيه القصور المنيقة والمنازل المزخرفة، اتخذوا الأسواق والمساجد والحمامات، وأقطع المهدي رجاله مواضع بها، وبنواحيها، ونشأت في الرصافة عدة محلات أهمها أبي حنيفة وبها مقبرة الإمام أبو حنيفة ومحلة باب الطاق، والطاق قسماً من أقسام قصر لإحدى بنات المنصور، ثم صار في زمن الرشيد مجمعا للشعراء، وإلى جوار هذا الطاق سوق الصباغة ودار صاحب شرطة المهدي، كذلك نشأت محلة دار الروم نسبة إلى أمري الروم الذي أُمروا فيها في عهد الخليفة المهدي، فشيّدوا هناك ضيعة ودورا لهم.

وازدهرت محلة الشماسية في عهد الرشيد لأن البرامكة اتخذوا قصورهم بها، فشيّد يحيى بن خالد قصره المعروف بقصر الطين بها، كذلك اتخذوا ولديه جعفر والفضل قصرين هناك. وامتدت قطائع البرامكة من الشماسية حتى البردان^(٢).

كذلك برزت محلات أخرى في الرصافة بحصن بالذكر منها سوق الثلاثاء، وقد نشأت إلى جوار هذه للمحلة محلتان على ضفاف دجلة تسمى إحداهما محلة دار دينار الكبرى والأخرى دار دينار الصغرى نسبة إلى دينار بن عبد الله - من موالى الرشيد - وكان من أجل القوادى في زمن المأمون.

وصفوة القول أن بغداد صارت من أمهات المدن الإسلامية، بل والعالمية في العصر العباسي الأول، ومركز العلم والثقافة، وأهم مراكز النشاط التجاري في العالم، وكثرت ثروتها وازدهرت في عهد الخليفة الرشيد، وتجلّى ذلك في بلوغ العمران بها غايته وازدحام الناس بانحائها، وتوجههم كالبحر في أرجائها، حتى قيل أن تعدادهم زاد على مليون ونصف نسمة^(٣). وهذا العدد الهائل يدل على أنه ليس في المدن أعين ولا أبصر من الموضع الذي يتكفون فيه تكوف الرمال^(٤).

(١) ابن السامى، نساء الخلفاء ص ٧١.

(٢) ابن السامى، نساء الخلفاء ص ٧١.

(٣) للدور: حضارة الإسلام في دار السلام ص ٩٣.

(٤) للدور: حضارة الإسلام في دار السلام ص ٩٣.

على أن مدينة بغداد لم تنعم بازدهارها طويلاً، بل تعرضت بعد عامين من وفاة الرشيد إلى التخريب والتدمير، ذلك أن الخلاف نشب بين الأمين والمأمون - ولدى الرشيد - وما لبث أن تطور هذا الخلاف إلى حرب بين الأخوين، وحاصرت قوات المأمون بغداد، أربعة أشهر بقيادة هرثمة بن أعين وطاهر بن الحسين - قائد المأمون - وعزل هرثمة الجانب الشرقي عن الجانب الغربي، وهدم سور، بينما حاصر طاهر بن الحسين الجانب الشرقي^(١).

وامتدت قوات طاهر بن الحسين مع قوات الأمين في معارك متعددة كان من نتائجها تدمير حي الخريبة بعد أن رمى بالنفط والنيران والمنجنيقات وأرسل طاهر إلى أهل الأرياض يطلب منهم التسليم، فمن أجابه كف عنه، ومن لم يجبه ودخل في طاعته قاتله وأحرق منزله، وظل يغدر ويروح بفرسانه وقواده ورجاله، ويشن هجماته على بغداد ونواحيها حتى أوحشت مدينة المنصور، وخاف الناس أن تبقى خراباً، وأسلم طاهر الأرياض التي خالفه أهلها ومدينة أبي جعفر الشرقية وأسواق الكرخ والخلد وما والاها دار الكثر، وأستولى على كل أملاك من خالفه من بني هاشم والقواد والموالي، فذلوا وانكسروا وانقادوا، واشتد القتال وضعف أنصار الأمين، وتعرضت المدينة للسلب والنهب حيث وابت القوضى التي حلت بالمدينة الفرصة للصومس وقطاع الطرق والرعاع وأهل السوق لسلب الناس والاعتداء عليهم، وهدم طاهر بعض قناطر بغداد، وشن هجماته^(٢) على الكرخ، وحاصر بغداد، وهاجم قصر أم جعفر وقصر الخلد ونصب المنجنيقات خلف سور بغداد، وقذف المدينة، وتفرق جنده في السكك والطرق لا يلوى منهم أحد على أحد، وتحصن محمد الأمين بالمدينة هو وأنصاره، وشدد طاهر الحصار، وفي سنة ١٩٨هـ وقع الأمين في الأسر بعد أن حوَصر في قصر الخلد، ولم يلبث أن قتل، وتوقفت الحرب بعد أن تحولت بغداد

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ١٩٨هـ.

(٢) المصدر السابق ذكره حوادث سنة ١٩٨هـ.

إلى خرائب ورماد حتى أتت النيران على أحياء باكملها ودمرت هذه الحرب
قصرى الخلافة، باب الذهب في وسط المدينة، والخلد على دجلة^(١)

وكان لمقتل الأمين أثر سيء في نفوس أهل بغداد، فاشتدت معارضتهم للمأمون
وثاروا على وزيره الحسن بن سهل حتى خادر بغداد سنة ٢٠١هـ، وراد أهل
بغداد، معارضة المأمون حين بايع لعلى الرضا بولاية العهد وأمر الناس بلبس
الخضرة - شعار العلويين - بدلاً من السواد - شعار العباسيين - لذلك بايعوا
إبراهيم بن المهدي ولقبوه المبارك وظل يحكم بغداد مدى عامين، غير أن خيانة
قواده له، ومتمردهم عليه أجبرته على تسليم المدينة وزمام الحكم إلى المأمون،
ونزل المأمون بالجانب الشرقي حيث نقل إليه مقر حكمه في قصر من قصور
البرامكة وقام بتوسيعه^(٢).

وقدر لبغداد أن تنزل عن مركزها الممتاز بعد أن انتقلت حاضرة الدولة إلى
سامراء، ذلك أن المعتصم جمع جيشاً من الترك بلغ عدة آلاف وألبسهم أئراج
الدجاج، والمناطق الذهبية والخلية الملهبة، وأبانهم عن سائر جنوده، وكان
الأثراك يؤذون الناس بمدينة السلام بجريها الخيول في الأسواق، وما ينال الضعفاء
والعبيان من ذلك^(٣) وضائق بهم بغداد وتآذى بهم الناس بعد أن راحموهم في
دورهم وتعرضوا بالنساء، فتلزم أهل بغداد وتقدموا بالشكرى إلى المعتصم،
فرأى الخليفة ضرورة الانتقال من بغداد مع عسكره، ووقع اختياره على سامراء،
وشيدها سنة ٢٢١هـ، وأتخذها حاضرة بدلاً من بغداد. وبذلك فقدت بغداد
أهميتها كحاضرة إسلامية كبرى.

حقيقة ظلت بغداد محتفظة بقدر كبير من النشاط الأدبي والإرادي
الإقتصادي، لكن انتقال حاضرة الخلافة عنها، أفقدها السيادة على المملكة
الإسلامية الكبرى.

(١) المسعودي: مروج الذهب ج٢ ص ١٢٦.

(٢) ابن طططا: القسري في الأندلس السلطانية ص ١١١.

(٣) المصدر السابق ذكره.

الحالة الاقتصادية في بغداد

في العصر العباسي الأول

()

- ١- الثروة الزراعية.
- ٢- مظاهر تقدم الصناعة.
- ٣- النشاط التجاري.
- ٤- الإدارة المالية.
- ٥- المعاملات المالية والتجارية.
- ٦- الدواوين المالية.



الحالة الاقتصادية في بغداد

في العصر العباسي الأول

١- الثروة الزراعية:

عنى الخلفاء العباسيون الأوائل بتمية الثروة الزراعية في منطقة بغداد، فعملوا على تيسير الري حتى يتمكن الرّاع من زراعة الأرض دون جهد ومشقة، من ذلك أنهم شقوا للترع وأقاموا المصارف وشيدوا القناطر، ولما كانت الأرض الواقعة بين نهري الفرات خصبة، زاد إفتاحها بمدّ لمحسن ربيها.

استغل الخليفة المنصور نهر دجلة الغزير المياه، فأمر بشق عدد من الجداول والترع تستمد مياهها منه، تيسر ري الاراضي القريبة منه مثل قناة دجيل، كما أحسن استغلال نهر الفرات - على الرغم من قلة مياهه، وذلك بإقامة قناة تؤخذ من كرخايا - إحدى روافد الفرات - وتجرى في عقود وثيقة من أسفلها محكمة بالأجر من أعلاها، وتنفلد في أكثر شوارع بغداد صيفاً وشتاءً، وصممت بحيث لا ينقطع ماؤها في وقت من أوقات السنة، كما أمر المنصور بشق قناة تجرى إلى الكرخ وما اتصل به، سميت نهر الدجاج، ونهر يسمى نهر طابق، ونهر عيسى الأعظم الذي يستمد معظم مائه الفرات، ويتفرغ منه أنهاراً تحترق ببغداد - ومن بينها الصراة - ويصب في دجلة^(١). وكذلك شق المنصور في الرصافة نهر المهدي^(٢). وكان لتوفر المياه في منطقة بغداد أكبر الأثر في وفرة إنتاجها الزراعي.

(١) باقوت: معجم البلدان ج ٢، ص ٢٣٦

(٢) الفيضوي: البلدان ص ٣٥٣

واستخلم العباسيون الأسلوب العلمى فى الزراعة، فدرسوا الوسائل التى تؤدى إلى خصوبة الأرض، وأنواعه النباتات، ونوعية التربة التى تصلح لكل نبات^(١)، ورشحت المستنقعات بنظام دقيق^(٢).

كانت أرض العراق من الناحية القسرية ملكاً للدولة، وأبقاها الخلفاء فى أيدي أصحابها يزرعونها ويؤدون خراجاً عنها، وقد حرص الخلفاء العباسيون على عدم ائقال كاهل الأهلىن بضريبة الأرض الأمر الذى شجعهم على بذل الجهود لزيادة إنتاج الأرض، وبذكر الجهشياري^(٣) أن الخليفة المهدي نهى عمال الخراج عن التعسف وإلحاق الجور بالمزارعين وكرد الوالى الذى يلحق الأذى بأهل الخراج يعزل أو يعاقب^(٤).

وكانت الحكومة تمتلك أرضاً آلت إليها من الأمويين الذين صودرت أملاكهم، أو مات أصحابها دون أن يتركوا من يرثهم، أو أراضى صادرها الخلفاء عقوبة لأصحابها، وأرض الدولة هذه يقطعها الخلفاء إلى رجال يثقون بهم، أو عن أدوا خدمات جليلة لأمتهم، وقد عمرو هذه الإنطاعات، وسميت بأسمائهم، من ذلك أن المنصور أقطع العباس بن محمد بن على الجزيرة بين الصراتين، فجعلها العباس بستاناً ينمو فيه مختلف الزروع، ولا تنقطع غلاتها صيفاً ولا شتاءً، وسميت بالعباسية^(٥)، وأقطع المأمون وزيره الحسن بن سهل الصلح، وهى كورة فوق واسط لها نهر ينزع من دجله على الجانب الشرقى يسمى قم الصلح^(٦).

ولم يكن إقطاع الأرض مقصوراً على الخليفة وحده، بل إن صاحب الأرض الواسعة كان يقطع أحياناً بعض المزارعين جزءاً من أرضه فيقومون بزراعتها.

(١) حسين إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى ج ٢، ص ٣٠٧.

(٢) سيد أمير على: مختصر تاريخ العرب والنمى للإسلامى ص ٣٦٤.

(٣) الوزراء والكتب ص ١٤٣.

(٤) الجهشياري: الوزراء والكتب ص ٢١٩.

(٥) اليعقوبى: البلدان ص ٢٥٩.

(٦) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ٢٢١ هـ.

ومعدهم بما يحتاجون إليه من مواد وأدوات في الزراعة، ويسر لهم سبل الري،
ويعمنحهم جزءاً من المحصول، ويقوم المقطع بأداء الخراج عن الأرض المقطعة
بواقع العشر فقط، وتظل الأرض ملكاً له يتوارثها أبناؤه من بعده^(١).

وقد يحدث أحياناً أن يرغب صغار ملاك الأراضي الزراعية في الإفلات من
عبء الخراج العادي، فدونوا ضياعهم مع ضياع كبار ملاك الأراضي الأقوياء،
فكانوا يدفعون عنها (عشر فقط، كما هو الحال في الإقطاعيات، على أن هذا
التصرف لم يمنعهم من ممارسة حقوق ملكياتهم لأراضيهم، فظلوا يتابعونها
ويتوارثونها، وإن كانت بأسماء كبار الملاك المسونة مع ضياعهم^(٢)، فالجهشياري^(٣)
يذكر أن رجلاً من أهل الأهواز قدم إلى أبي أيوب المورياني - وزير المنصور -
وقال له: إن ضيعتي بالأهواز قد حمل على فيها العمال، فإن رأى الوزير أن
يعيرني اسمه أجعله عليها مقابل قدر من المال، فوافق الوزير على أن يهب اسمه
للرجل.

شاع نظام الضمان على جباية الخراج، فكان على الضامن أن يقدم للحكومة
مبلغاً معيناً من المال سبق أن اتفق مع الحكومة عليه، وإذا ما أحل الضامن
بالتزامه، فإن الحكومة تفرض عليه عقوبات، وقد ألحق الضمان ضرراً كبيراً بأهل
الخراج من المزارعين وبالأرض، لأن الضامن كان يلجأ في بعض الأحيان إلى
استخدام العنف للحصول على المال المحدد بالضمان فيسلمه إلى الحكومة فضلاً
عن الربح الذي يحرص على جمعه من أهل الخراج، فيضر ذلك بهم، فيخربوا
ما عمروا^(٤).

وكانت المزارع سبيحاً أو بواسطة الآلات الرافعة، وأكثر هذه الآلات شيوخاً،
الدالية والناعورة والدولاب (الساقية) قالدالية دولاب يحره ثور أو بقرة، أما

(١) أبو يوسف الخراج ص ٣٣

(٢) عصام الدين عبد الرزاق تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا في العصر التركي ص ١٨٢

(٣) الأوزاء والكتاب ص ١١٨

(٤) أبو يوسف: الخراج ص ٦٠

الناعورة دولاب يلحى ثيار النهر، والدولاب أكثر الثلاثة تعقيداً يديره حصان أو ثور^(١).

وتقع بغداد فى منطقة خصبة، تصم قرى تنمو وتزدهر فيها الكثير من الغلات، وشجع توفر المياه أهل بغداد على غرس النخيل الذى حمل من البصرة، حتى صار فى بغداد أكثر منه فى البصرة والكوفة، كما غرسوا الأشجار، وأنتجت أجود الثمار، وانتشرت الحدائق والبساتين فى كل ناحية من نواحي بغداد^(٢).

واردهت قرى بغداد التى توفر فيها المياه، فكانت بلدة المحول التى تقع عند الموضع الذى يتفرع منه نهر الصراة ونهر عيسى بها سد على النهر الرئيس - عيسى الأعظم - لتنظيم المياه فيه، وتقسمها بين فرعى الصراة وعيسى الذين ينحدران شرقاً إلى بغداد، لذا اشتملت على البساتين الرائعة التى تنمو فيها مختلف المزروعات^(٣) ويذكر الأصبهري^(٤) أن بادوريا - إحدى قرى بغداد - كانت خصبة الأرض غنية بمزارعها لحسن ريها، وجودة أرضها.

ومن المزروعات التى أنتجتها بغداد الحنطة والشعير والتمر والأرز والفواكه كالعنب والمشمش، والخضروات والرياحين وأنواع الأزهار كالرجس والياسمين والورد، وكذلك الجوز والموز واللوز والقرنفل^(٥) وكان ببغداد سوق البطيخ يباع فيه الفواكه^(٦) وجلب إلى بغداد البارج من الهند، وحسنت زراعته فيها.

٢- مظاهر تقدم الصناعة:

عنى الخلفاء العباسيون بتحسين الصناعات فى بغداد وتيسير أمرها للعاملين

(١) النورى: تاريخ العراق الاقتصادى ص ٥١

(٢) اليعقوبى: البلدان ص ٢٩٣

Hitti: Hist. of the Arabs p.340

(٣) ياقوت: معجم البلدان ج ٤ ص ٢١٤

(٤) للمالك والمالك ص ٨٥

(٥) النورى: تاريخ العراق الاقتصادى ص ٥٣

(٦) اليعقوبى: البلدان ص ٢٦٤

فيها، فشيّد الخليفة المعتصم مصانع في بغداد لصناعة الصابون بالدهون والعطور، وكانت بغداد تنتج أنواع الزيوت^(١). كذلك أنشأ العباسيون مصنعاً للورق في بغداد، وجلبوا له الصناع وأرباب الحرف من مصر التي اشتهرت بهذه الصناعة منذ وقت بعيد^(٢)، وكان ببغداد عدد كبير من المصانع حتى قيل أنه كل بها أربعمئة رحى مائة وأربعة آلاف معمل لصنع الزجاج، ويضعة آلاف معمل لصنع الخزف، وكان لكل صناعة سوق خاص^(٣).

واردهرت في بغداد صناعة الأدوات الحديدية والخشبية المختلفة في سوقى الحدادين والنجارين، كذلك كانت تصنع السفن والقوارب في بغداد سواء الحربية أو التجارية أو الترفيهية. ويذكر الطبرى^(٤) أن الأمين أمر بعمل خمس حراقات في دجلة على خلفه الأسد والميل والعقاب والحية والفرس، وأنفق في عملها مالاً عظيماً، كما ابنتى سفينة عظيمة أنفق على بنائها ثلاثة آلاف درهم، واتخذ أخرى على شكل دابة محربة قبل إنها تنفذ الفريق اسمها اللدنيين.

وتقدمت صناعة حياكة الثياب الحريرية وبلقطنية والأقمشة بأنواعها في بغداد، وكان ببغداد سوق للبزازين، ويبيع فيه بالإصافة إلى الأقمشة والمنسوجات، للعمائم الدقيقة من صنع بغداد والمناديل، وكان السقلاطون وهو نسيج حريري سميك - يصنع في بغداد، وفي محلة العتايبة تصنع الثياب العتايبة، وهي ثياب مخططة تصنع من خيوط قطنية وحريرية^(٥)، وتقدمت صناعة البسط في بغداد، ويصنعونها من القطن والكتان^(٦) ويذكر صاحب كتاب الفخري^(٧) أن الحسن بن

(١) الخطيب البغدادي تاريخ بغداد ج ١ ص ٧٠-٣٤٠ Hitti. Hist. of the Arabs

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٢٤٥

(٣) أمين دكي: كتاب عمران بغداد ص ٥٠

(٤) تاريخ الأمم والملوك، حوادث سنة ١٩٨ هـ

وقال أبو نواس في ذلك.

مفتحها في تلك من ينجها
واشرف الشيطان واستهجا
أعصى بئس لك قد توجا

لذ ركب القلقى بحر الدجى
فاشرفت دجلة لى حـ
أعصى به الله الأبرس الذى

Hitti. Hist. of the Arabs p.345. (٥)

(٦) الدورى: تاريخ العراق الاقتصادي ص ٩٣، ١٤١

سهل، فرش للخليفة المأمون يوم رواجه من ابنته بوران حصيراً منسوجاً من الذهب، وصنع للسيدة زبيدة زوجة الرشيد بساطاً من الديباج، جمع صورة كل حيوان وطائر من جميع الأجاسر، وأنفقت عليه نحواً من ألف ألف دينار^(١) وأتخذ المأمون في قصوره ثلاثة آلاف وثمانمائة بساط منها ألف ومائتين مزركشه بالذهب^(٢).

وأنشأ العباسيون في بغداد - كما فعل الأمويون في دمشق من قبل - دور الطراز، فكانت تنقش أسماءهم أو علامة مميزة تختص بهم على الأبواب التي يرتدونها، وكذلك ملابس أجنادهم ورجال دولتهم، وعليها شارة الخليفة أو لقبه وبعض عبارات الدعاء^(٣)، والكتابة تحاك بخيوط من الذهب أو من خيوط ذات ألوان زاهية وكان القائم بالنظر في دور الطراز يسمى صاحب الطراز^(٤) وهو ينظر في أمور الصباغ والحكاة، ويشرف على أعمالهم ويجرى عليهم أوقافهم، وتتج دور الطراز البسط والثياب والأعلام والبنود والفرش، ويستعملها الخليفة أو يمنحها لكبار عماله^(٥).



واشتهرت بغداد بالصناعات الزجاجية، أخذوها عن الفرس، وبلغت درجة كبيرة من الدقة والاتقان، وبلغ من مهارة الصانع أن الزجاج كانوا يرصعونه بالجواهر ويكتبون عليه بالذهب للحسم ويصنعون أقفاحاً بديعة الصنع.

كذلك ظهر فن الصناعة على المباني، فكان على الجدران والسقوف نقوش في رسم ملون أو فسيفساء من ذهب، وعلى دوائر الأبواب كتابة من الزجاج الملون ويحيطونها بخشب أسود من الأبنوس وغيره، ويعلق الصانع رسوماً من النحاس تمثل غصوناً وثماراً أو أزهاراً إلى غير ذلك من الأشكال التي تؤكد براعة الصانع وفوقه الفنى ودقته ومهارته^(٦).

(١) ابن طباطبا، ص ٢٠٣.

(٢) ابن الأثير، السطرف ج ١، ص ٨٩.

(٣) للذوق، حضارة الإسلام في دار السلام، ص ٩٥.

(٤) مقدمة ابن خلدون، ص ٢١٠ - ٢١١.

(٥) الدميري: حيلة الحيوان الكبير، ص ٧٩.

(٦) Hitti: Hist. of the Arabs p.345.

لم يأل الخلفاء العباسيون جهداً في سبيل تشجيع التجارة على اعتبار أنها مصدر هام من مصادر الثروة.

وكانت التجارة داخل بغداد مركزها الأسواق، وقد حرص الخليفة المنصور عند تأسيس مدينة بغداد على انعاش الحالة التجارية فيها فأمر المشرفين على تشييدها أن يراعوا في تخطيط المدينة ما يحتاجه كل ريف من أسواق وحوانيت، وأن يتوسعوا في إنشاء الحوانيت ليكون في كل ريف سوق جامعة تجمع التجارات، وكان لكل نوع من التجارة شوارع معلومة وصفوف في هيئة الشوارع وحوانيت، وليس يختلط قوم بقوم ولا تجارة بتجارة، ولا يباع صنف مع غير صنف، ولا يختلط كل فئة من التجار بغيرهم، وكل سوق مفرد وكل أهل منفردين بتجارته^(١).

ازدهرت التجارة في أسواق بغداد حتى أن الكباش كان يباع بدرهم والحمل بأربعة درائق، وينادي على لحم الغنم كل ستين رطلا بدرهم، ولحم البقر كل تسعين رطلا بدرهم، والتمر كل ستين رطلا بدرهم، والزيت ستة عشر رطلا بدرهم، والسمن ثمانية أرطال بدرهم، والعسل عشرة أرطال بدرهم، ولهذا الأمن والرخيص كثرة سكان بغداد، وكثر الدارج في أسواقها، حتى أن المار لا يستطيع أن يجتاز أسواقها لكثرة رحام أهلها^(٢).

على أن المنصور لم يلبث أن أمر التجار بالخروج من المدينة، كما سبق أن أوضحنا - وأمر ببناء سوق للتجار ما بين الصراة ونهر هيس^(٣)، وشيد بحيث يكون صفوفاً، ورتب كل أهل تجارة في موضع، وأمر بجعل سوق القضاة في آخر السوق لأن في أيديهم الحديد^(٤). وهذا السوق الجديد يعرف بالكرخ، وكان

(١) اليعقوبي: البلدان ص ٢٣٠

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٠ ص ٩٩

(٣) ياقوت: معجم البلدان ج ٧ ص ٢٢٢

(٤) اليعقوبي: البلدان ص ٢٥٠

يباع فيها مختلف البضائع، ولقد أعفا المنصور التجار من الضرائب تحقياً عليهم، وتشجيعاً لهم على مواصلة عملهم، ولما استخلف المهدي فرض الضرائب على الخوانيث^(١)، وبمرور الزمن كثر التجار في الكرخ، وضاق بهم، فبنى التجار أسواقاً من أموالهم حتى اتسع الكرخ^(٢).

وكانت التجارة في الرصافة تتركز في محلة باب الطاق في طرف الجسر المركزي، ومن ساحة هذا الجسر يتفرع سوقان، سوق الأساكفة وسوق الطيب حيث تباع العطور والزهور، ويلى هذا السوقان سوق الخبازين وسوق القصابين، وسوق الصاغة وسوق الموراقين^(٣) وظلت التجارة مزدهرة في هذه الأسواق حتى عهد الامين فتعطلت بسبب الحصار، وفي بداية عهد المأمون ارتفعت الأسعار بسبب الاضطرابات التي حدثت داخل بغداد.

كانت بغداد ملتقى التجارة في العصر الساساني، وازدهرت التجارة فيها بعد تأسيسها مباشرة، فقد سكنها أناس من مختلف الأمصار، وآثارها السكان الجدد على أوطانهم «فليس من أهل بغداد ولا أولئك فيها محلة ومتجر ومتصرف، فاجتمع بها ما ليس في مدينة أخرى»^(٤) وأدى موقعها التجاري الممتاز، وجريان دجلة والفرات في حافتيها إلى أن كانت استجابة تاتيها براً وبحراً بأيسر السبل حتى اجتمعت بها بضائع المشرق والمغرب من أرض الإسلام وغير أرض الإسلام، فتأتيها التجارة من الهند والسند والصين والتبت وبلاد ما وراء النهر والترك والخزر والحبشة وسائر البلدان^(٥).

ومن أسباب اختيار المنصور لموقع بغداد حاضرة لدولته موقعها التجاري، رآها جزيرة بين دجلة والفرات، دجلة شرقها والفرات غربها فتأتيها من دجلة تجارات واسعة، من البصرة والأبلة والأهواز وفارس وعمان والبحرين واليمامة وما

(١) ياقوت معجم البلدان ج ٧ ص ٢٢٣

(٢) Le Strange: Hist. of Baghdad P.181.

(٣)

Ibid pp. 271-272.

John Glubb: The Empire of the Arabs, p 330.

(٤) اليعقوبي: البلدان ص ٢٣٤.

يتصل بذلك، وكذلك ما يأتي من الموصل وديار ربيعة وأذربيجان وأرمينية مما يحمل في السفن في دجله، ويأتي من دير مضر والرقه والشام والشعور ومصر والمغرب مما يحمل في السفن في الفرات من أهل الجبل وكور خراسان وأصفهان^(١).

خرجت من بغداد رحلات تجارية من مختلف البلدان، ويرز رحاله يسروا للناس أمر الوصول إلى البلدان المختلفة، فبن خردادبه وضع دليلاً للمسافرين وصف فيه الطريق البحري الذي يبدأ من مصب دجلة عند الأبله، وينتهي إلى بلاد الهند والصين^(٢).

وكانت رحلات العرب البحرية تبدأ من بغداد وتسير في الخليج الفارسي حتى تصل إلى شبه جزيرة ملقا (الملايو) وكاتو، يمرون بعدة موانئ تمكنهم من إبتاع بضائع الهند والصين وغيرها^(٣). وجدير بالذكر أن طرائف الصين كانت تباع في سوق خضير بالرصافة.

ويتفرع من بغداد طرق تجارية أبرزها طريق شرقي أتي حلوان ومنها إلى إيران وأواسط آسيا ثم البصرة وطريق شمالي إلى الموصل والجزيرة وطريق جنوبي إلى واسط ثم البصرة وطريق جنوبي غربي إلى انكوفه ومنها إلى الجزيرة العربية حيث ينتهي عند الحجاز، وطريق غربي إلى الرحبه ومنها إلى سورية فمصر^(٤).

قلنا إن التجار حملوا السلع من مختلف البلدان إلى بغداد فحملوا الحديد من خراسان والرصاص من كرمان والآنيه والنوابل من الهند والتسبيح الملون من كشمير، والعود والمسك وسائر المعطور من الصين، والعطر وأنواع الطيب من اليمن، ومن إفريقية الذهب والأبنوس، والكافور والعود والثياب والقطنية من السند، ومن سونديب اليواقيت المختلفة، والماس والدر واللؤلؤ والمرجان من

Heyd: Hist du commerce de Levant au Moyen Age. I p. 27.

(١)

(٢) الحقوي البلدان من ٢٥٣.

(٣) المصدر السابق من ٢٥٢.

Hitti: Hist. of the Arabs p.345.(٤)

سواحل الخليج، والجلود والرقيق من بلاد الروم، والسلاح والحديد والجلود من بلاد الروس^(١)، وكانت السفن تأتي إلى بغداد محملة بالبضائع خصوصاً الدقيق والخضراوات من سورية في الفرات ثم تسلك نهر عيسى إلى بغداد^(٢). ومن بلاد ما وراء النهر كانت بغداد تشتري القطن والمنسوجات الحريرية والملابس الصوفية والقرو والرقيق التركي والأسلحة والكغذ، ومن أرمينية البسط والطنافس والسجاد وثياب الكتان والثياب الرق والطيالس من الصوف والقلائس^(٣).

واشتهرت شمال فارس بجودة فواكهها، وبصفة خاصة مرو التي كانت تنتج أجود أنواع البطيخ^(٤)، وكان يقدم ويحمل إلى العراق وكان يحمل هذا النوع من البطيخ إلى الخليفة للآمون ثم إلى الوثق في قوالب الرصاص المعاء بالثلج^(٥).

وكان التجار في عداد الطبقة المتوسطة، لذلك أنف من الاشتغال بها عليه القوم، فلما اعتزم يحيى بن خالد البرمكي الاشتغال بالتجارة واتصل ببعض التجار لهذا الغرض، قال له أحدهم أنت رجل شريف وابن شريف وليست التجارة من شأنك^(٦)، وكان وزير المعتمد محمد بن عبد الملك الزيات أبوه تاجراً موسراً ونشأ محمد وتادب وكان ذكياً فسرع في كل شيء، وكان يقول: الحمد لله الذي نقلني من ذل التجارة إلى عز الوزارة^(٧).

٤- الإدارة المالية:

حرصت الدولة العباسية على تحقيق التوازن بين مواردها ومصروفاتها، ومن أهم الموارد الثابتة لبيت المال الجزية والخراج والمكوس.

١- الخراج: هو ضريبة الأرض، ويحدد طبقاً للمحصول التي تنتجه الأرض،

(١) القزويني: حاضرة الإسلام في دار الإسلام ص ١١٦.

(٢) القزويني: البلاد ص ٢٥٠.

(٣) الجاحظ: القصر بالتجارة ص ٣٤٤-٣٤٦.

Hitti: Hist. of the Arabs p.343.

(٤) الثعالبی: لطائف المعارف ص ١٢٩.

(٥) محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص ١٢٨.

(٦) الجاهلي: الوزراء والكتاب ص ١٨٦.

(٧) الجاهلي: الوزراء والكتاب ص ٢١٣.

ونوع التربة. وطريقة ريها، ونوع الزرع، ومساحة الأرض، وكانت سياسة عمر ابن الخطاب. كما رأينا من قبل - عدم تقسيم الأرض بين الغزاة الفاتحين، فتركها في يد أهلها يزرعونها يؤدون خراجها، وقال. قد رأيت أن أحبس الأرضين بعلاجها، وأضع عليهم فيها الخراج، وفي رقابهم الجزية يؤدونها فتكون فينا للمسلمين المقاتلة والذرية ولمن يأتي من بعدهم، والمقاتلة الذين يلدودون عن الثغور ويعسكرون في المدن الكبرى وقال: فمن أين يؤتى هؤلاء إذا قسمت الأرضون والعلاج؟^(١). ويقول أبو يوسف^(٢). إن ما رآه عمر بن الخطاب من جمع خراج ذلك وقسمته بين المسلمين عموم النفع لجماعتهم، لأن هذا لو لم يكن موقوفاً على الناس في الاعطيات والأرزاق لم تشحن الثغور ولم تفر الجيوش على السير في الجهاد، ولما أمن رجوع أهل الكفر إلى مدنتهم إذا خلت من المقاتلة والمرترقة.



عنى المنصور عناية كبيرة بالخراج، غرقب جمال الخراج مراقبة شديدة وأمرهم ألا يقبلوا من الناس إلا النقد للموثوق بسلامة وثاقته لمن يدفع نقداً، والمكيال الصحيح لمن يؤدي الخراج عيناً^(٣) ولصبط الخراج العيني استحدث كيلاً جديداً، وأدخل المهدي نظاماً جديداً في جباية الخراج، فبعد أن كان الخراج يؤدي على حسب مساحة الأرض، بصرف النظر عن نوع المحصول وطرق الري، قرر المهدي إدخال نظام المقاسمة، وبمقتضاه كانت الدولة تقاسم المزارعين المحصول بنسب معينة بغض النظر عن مساحة الأرض. وقد حدد المهدي نسبة المقاسمة بمقدار نصف المحصول^(٤).

وما لا شك فيه أن نظام المقاسمة ضمن للدولة الحصول على نصيبها من الخراج بعد تحديده، وأراح الناس، فنشطوا في زراعة الأرض وأطمأنوا على

(١) أبو يوسف: الخراج ص ١٤.

(٢) الخراج: ص ١٥.

(٣) البلاذري: روض البلدان ص ١٤٦٩.

(٤) الفخرى في الآداب السلطانية ص ١٩٨.

أحوالهم المعيشية بعكس نظام المساحة الذي كان يضر ببعض الزراع لأنه يفرض عليهم خراجاً على الأرض زرعت أو لم تزرع.

كانت دواوين الخراج في الدولة تقوم مقام خزائن الدولة، فتستولى من مال الخراج النفقات وأعطيات الجند، ثم يحمل ما تبقى إلى بيت المال العام بمدينة بغداد، ولذلك فإن بيت المال في بغداد لم يكن يعنى إلا بدار الخلافة وحاجاتها وبشؤون الدواوين^(١).

انتظم الخراج في عهد الرشيد بعد الإصلاحات التي استحدثتها البرامكة في الزراعة والرى، كما شعر الزراع بالأمان بعد أن نظر البرامكة في ظلماتهم، وألغوا المبالغ المتأخرة على الزراع العجزين من السداد وقد أوصى القاضي أبو يوسف الرشيد بأن تقوم الدولة بحفر الترع والقنوات وتيسير سبل الرى^(٢). وكان الرشيد لا يتهاون مع عمال الخراج الذين يُلحِقون الأذى بالأهلين، ويحملونهم فوق طاقتهم.

ظل نظام المقاسمة معمولاً به حتى ولي الرشيد الخلافة فخفض المقاسمة بحيث أصبحت في السواد، كما حددها القاضي أبو يوسف^(٣) على الحنطة والشعير خمسين والخل والكروم والرطاب والبساتين الثلث، وأما خلال الصيف فعليها الربع، وتكون المقاسمات في أثمان ذلك بعد تحديد قيمتها تحديداً عادلاً لا يكون فيه إحجاف بأهل الخراج، وظل الحال كذلك حتى أيام المأمون إلا أنه أحدث كيلاً جديداً في تقدير الخراج^(٤).

وأما القطن فيحدد خراجها تبعاً لطريقة ريها فما كان ريها مبيحاً فعليها العشر، وما سقى منها بالدلو أو بمشقة نصف العشر، ويعنى بعض أنواع المحاصيل مثل الخضروات والبطيخ، وما يكال الفقير ويوزن بالأرطال فهو مثل الحنطة والشعير

(١) متز: الحضرة الإسلامية ج ١، ص ١٤٣.

(٢) أبو يوسف: الخراج، ص ٢٧.

(٣) أبو يوسف: الخراج، ص ٢٧-٢٨.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١، ص ٢٥١.

والذرة والأرز والحبوب والسمن، إذ عليه العشر إذا كان ربه سيحاً ونصف العشر إذا كان ربه بمشقة^(١).

وأما الإقطاعات التي كانت في الأصل صوافى - وهي أرض كانت لكسرى ومرابته وأحوايه وأنصاره، أو التي فر أصحابها أو قتلوا في الحرب وأُكِلت إلى الدولة الإسلامية - فكان عمر بن الخطاب يقطعها لمن له مواقف في الإسلام، وعليها العشر، ويلزم صاحب الإقطاع تسير أمر ربه وإصلاحها، ومن الناحية النظرية كان كل من يعتنق الإسلام تصح أرضه أرض عشر بعد أن كانت أرض خراج^(٢).

٢- الجزية: الجزية واجبة على جميع أهل الذمة، وتجب على الرجال منهم دون النساء والصبيان، على الممرس ثمانية وأربعون درهما وعلى الوسط أربعة وعشرون، وعلى المحتاج الكادح اثني عشر درهما، يؤخذ منهم ذلك في أول كل سنة فمربة، ولا تؤخذ الجزية من المسكين الذي يتصدق عليه ولا من أعمى لا حرفة له وكذلك المترهون في الديارات إذا كانوا فقراء، ولا تؤخذ من الشيخ الكبير الذي لا قلبه له على العمل.

وكان ولاية الخراج في العراق يعثون رجالاً من قبلهم ينقون بدينهم وأمانتهم، يأتون القرية فيأمرون صاحبها بجمع من كان فيها من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والسامرة، فإذا جمعوهم أخذوا منهم الجزية على قدر طاقاتهم^(٣).

٣- الضرائب التي تفرض على تجار أهل الذمة وتسمى المكوس وقد حددت بمقدار $\frac{1}{4}$ من قيمة بضائع التجار، إن كانوا يقيمون في الدولة الإسلامية، ولجبي مرة في السنة، بشرط أن تزيد قيمة التجارة عن عشرين ديناراً أو مائتي درهم، وعشر قيمة بضائع التجار القادمين من خارج البلاد الإسلامية، إن رادت

(١) أبو يوسف: الخراج، ص ٢٨.

(٢) الفصل السابق ذكره، ص ٣٧.

(٣) أبو يوسف: الخراج، ص ٧٠.

القيمة على عشرين دينار أو مائتي درهم ، وكان جباة هذه الضريبة يتخذون أماكنهم في طرق التجارة البرية والنهرية^(١) ، ويمنح التاجر إيصالاً بتأديته الضريبة يسرى لمدة سنة. وكان العراق كثير المراصد في البر والبحر ، كذلك فرضت ضرائب على الأسواق وعلى الأوران والمكايل والطواحين ، ونظم الرشيد المراصد على الحدود ، وأمر بتفتيش لتجار المارين بها تفتيشاً دقيقاً ، وعندما حوصرت بغداد في عهد المأمون ، عمد بعض قادة طاهر بن الحسين إلى فرض ضرائب على التجار^(٢) . وفرضت الدولة ضرائب على سك النقود في دار الضرب بنسبة ١٪ عما يضرب بها من سنانير ودراهم^(٣) .

وكانت الدولة العباسية يرد إليها أموال من الدولة البيزنطية في بعض السنوات التي تحرر انتصارات عليها ، فلما غزا الرشيد دولة الروم سنة ١٩٠ هـ طلب منه نفقور فوكاس - إمبراطور الروم - الهدنة مقابل جزية سنوية قدرها ثلاثمائة ألف دينار سنوياً ، فوافق الرشيد^(٤) .

شكلت المصادرات مورداً مالياً هاماً ، فصادر الرشيد أموال البرامكة. فكانت ٢٧٦,٠٠٠,٣٠^(٥) وصادرت أموال علي بن عيسى بن ماهان - واليه. على خراسان - فكانت ٨٠,٠٠٠,٠٠٠ من الدراهم وصادر الأمين أموال أخيه المأمون وضياعه في بغداد ونواحيها لما نشبت الفتنة بينهما^(٦) ، وصادر المعتصم أموال وزيره الفضل بن مروان^(٧) .

تدفقت الأموال على بغداد في العصر العباسي الأول بفضل استقرار الدولة الذي كفله لها الخليفة المنصور وخلفاؤه من بعده خصوصاً الرشيد ، وامتلاً بيت المال بالذهب والفضة حتى بلغ دخل أسولة في بعض السنوات المبكرة من الحكم

(١) سواد أمير على: مختصر تاريخ العرب ص ٢٩٢.

(٢) الهندي: تاريخ بغداد ص ٧.

(٣) الطبري: البلدان ص ١٢٢.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١ ص ٣٠٢.

(٥) الجعفي: الوزراء والكتاب ص ٢٣٥.

(٦) المصدر السابق ذكره ص ٢٩٢.

(٧) القسري في الأدب السلطاني ص ٢١٢.

العباسي. خمسمائة ألف ألف درهم من الفضة وعشرة آلاف دينار من الذهب ما عدداً الخلال والمصنوعات التي تشتهر بها البلاد العباسية^(١) وجدير بالذكر أن المنصور خلف لابنه المهدي قبل وفاته من الأموال ما إن كسر عليه الخراج عشر سنين كفاه لأوراق الجند، وسائر النفقات، وكان ما خلفه في بيت المال أربعة عشر ألف ألف دينار ومستمائة ألف ألف درهم^(٢). وبلغ دخل الدولة في عهد الرشيد خمسة آلاف ألف دينار، ومن الدراهم أربع مائة ألف ألف وأربعة آلاف ألف وسبع مائة وثمانية آلاف درهم^(٣).

حرص الخلفاء العباسيون على التمييز بين أموالهم الخاصة والأموال العامة. فلما شعر المنصور بذنو أجله، استدعى ابنه المهدي وقال له: على دين أحب أن تقتضيه وتضمنه قدره ثلاثمائة ألف درهم ونيف وليست أستحلها من بيت المال، فاضمني عنها^(٤).

كانت الدولة تنفق الموارد السابق ذكرها في دفع أجور العمال والموظفين وقد بلغ رزق كل كاتب من رؤساء الكتاب ٣٠٠ درهم شهرياً^(٥) والكاتب المبتدئ عشرة دنائير^(٦) وكاتب ديوان القضاء والجند ٢٠ درهم، وأنفق المنصور أموالاً طائلة في تشييد مدينة بغداد، وحدد أجور الموظفين والعمال الذين عملوا في بنائها، وبعد تشييدها مثل أئمة المساجد والمؤذنين الذين عملوا في مساجد المدينة، وكذلك الكتاب الذين اشتغلوا في دولابها^(٧).

وكان الخلفاء يفرقون الأموال الكثيرة على أفراد البيت العباسي حتى أن المنصور أطلق في يوم واحد لبعض أحمائه ألف ألف درهم، وفي هذا اليوم فرق

(١) السعدي، مروج الذهب ج٢، ص ٢٤٣.

(٢) الجهشيارى، الوزراء والكتاب ص ٢٨٨.

(٣) الجهشيارى: ص ٢٨٢ وما بعدها.

(٤) الطبري - تاريخ الأمم والملوك حركات سنة ١٥٨ هـ.

(٥) ابن كثير - البداية والنهاية ج١٠ ص ١٠٠.

(٦) الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص ١٣٦.

(٧) المصلح السابق ذكره ص ١٣٩.

فى بيت عشرة آلاف درهم^(١) وإزداد عدد أفراد البيت العباسى فى عهد المهدي، فحدد لهم رواتب ومخصصات بلغت ستة آلاف درهم فى السنة غير المنح والهبات واستمر هذا الوضع من بعده، وكان للخليفة حرس خاص من أهل بغداد لهم رواتب كبيرة^(٢).

أنفق الخلفاء أموالاً جلية فى المنح والهبات والعطايا للأدباء والشعراء والعلماء والندماء ومن يلوذ بهم من ذوى الحاجة.

كانت الدولة تنفق أموالاً باهظة فى إعداد الجيوش وتجهيزها بالمؤن والعتاد، وفى سنة ١٥٤هـ أعد المنصور جيشاً بقيادة يزيد بن حاتم، وأمره بقتال الخوارج فى إفريقية وأنفق على هذا الجيش نحواً من ثلاث وستين ألف درهم^(٣)، وفى سنة ١٦٥هـ جهز المهدي ولده الرشيد لغزو الروم، وأعد له من النفقة مائة ألف دينار، وأربعة وتسعون ألف دينار، وأربعمائة وخمسون ديناراً، ومن الدراهم إحدى وعشرون ألف ألف وأربعمائة ألف وأربعة عشر ألفاً وثمانمائة درهم^(٤) وفى سنة ١٩٥هـ عقد الأمين لعلى بن عيسى بن ماهان الأمانة على الجبل وهمدان وأصبهان وقم وتلك البلاد، وأمره بحرب المأمون^(٥)، وجهز معه جيشاً كبيراً، وأنفق فيه نفقات عظيمة، وأعطاه مائتى ألف دينار ولولده خمسين ألف دينار، وفى سنة ٢٢٢هـ جهز المعتصم جيشاً كبيراً مدداً الأفسين على محاربة بابك الحرمى، وبعث إليه ثلاثين ألف ألف درهم نفقة للجند^(٦).

كذلك كان العباسيون يعملون على استرضاء بعض الثائرين خصوصاً العلويين بالمال. ليكفوا عن مناوأة الدولة، فأطلق الرشيد من بيت المال أربعمائة

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٠ ص ١٢٦.

(٢) البغدادى: تاريخ بغداد ج ٥ ص ٣٩٣.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٠ ص ١١١.

(٤) المصدر السابق ج ١٠ ص ١٤٧.

(٥) المصدر السابق ج ١٠ ص ٢٢٦.

(٦) المصدر السابق ج ١٠ ص ٢٨٣.

ألف دينار ليحيى بن عبد الله العلوي^(١) وأوصى المأمون أخاه المعتصم بالعلويين خيراً، وأن يواصلهم بصلاتهم في كل سنة^(٢).

وكان الخلفاء العباسيون ينفقون الأموال الجزيلة على أهل مكة والمدينة. ففي سنة ١٦٠ هـ حج المهدي، وفرق في أهل مكة والمدينة ثلاثين ألف ألف درهم ومائة ألف ثوب، ورد من مصر ثلاثمائة ألف دينار ومن اليمن مائتا ألف دينار، فأعطاهما كلها لأهل مكة والمدينة^(٣).

وكانت الدولة تكافأ قوادها الذين أظهروا براعة وشجاعة في التغلب على أعدائها، فالخليفة المعتصم كافأ الأفشين عقب انتصاره على بابك وأسرء والقضاء على ثورته بأن قلده وشاحين من جوهر، وأطلق له عشرين ألف ألف درهم، وكتب له بولاية السند^(٤).

وكان تأخر رواتب الجنود من الأمور التي تحدث الاضطرابات والقلقل فلما خلع أهل بغداد بيعة المأمون سنة ٢٠٣ هـ وبايعوا إبراهيم بن المهدي، طلب منه الجنود أرواقهم فمأطلمهم ثم أعطى لكل واحد منهم مائتي درهم، وكتب لهم بتعويض من أرض السواد، فخرجوا إلى العراق بشيء إلا انتهبوه، وأخذوه حاصل على الفلاح والسلطان^(٥).

حرص الخلفاء العباسيون على تحسين أحوال الدولة المالية، فعرف عن المنصور الخيرة الواسعة في إدارة المال^(٦) حتى أنه فرض رقابة شديدة على عمال الخراج، وأمرهم بعدم قبول الدنانير والدراهم من الناس إلا الموثوق بسلامتهما من الغش والتزيف، وكان يقول: لولا أن المال حصن للسلطان ودعامة للدين والدنيا ما بت ليلة وأنا أحرر منه ديناراً ولا درهما لما أجد لبذل المال من اللذة، ولما أعلم في إعطائه من جزيل الثوبة^(٧).

(١) المصدر السابق جـ ١٠ ص ١٦٩

(٢) المصدر السابق جـ ١٠ ص ٢٨١

(٣) المصدر السابق جـ ١٠ ص ١٣٢

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية جـ ١٠ ص ٢٨٥

(٥) المصدر السابق جـ ١٠ ص ٢٤٨

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية جـ ١٠ ص ١٢٩

ومع حرص المنصور على المال إلا أنه كان ينفق الأموال الكثيرة في تعمير البلاد وحماية الثغور وتحصينها وتجهيز الجيوش، وقد عرف عنه الدقة الشديدة في حسابات الدولة، فأنفق في بناء بغداد أربعة آلاف ألف وثمان مائة وثلاثة وثلاثين درهما، ولما فرقت حاسب القواد بما كان حول عليهم لعمارتها، فالزمهم بالبواقي حتى استوفى من بعضهم ما اقتضاه الحساب خمسة عشر درهما^(١)، وكان يباشر بنفسه جميع العمال وأصحاب الحرف ويحدد لهم رواتبهم^(٢).

ولم يكن المهدي كأيهِ المنصور في حرصه الشديد على المال، بل عرف بسخائه، وإجزاله والعطايا والمنح، وعمل على تخفيف أعباء الناس المالية، وانتعشت الأحوال المالية في عهد الرشيد بفصل كفاءة البرامكة وحسن إدارتهم للدولة، وأخذت موارد الدولة المالية تنضال في عهد الأمين بسبب الحروب التي نشبت بينه وبين أخيه، وأنفقت الأموال الكثيرة في إعداد الجيوش واستئجاره الأنصار كما أن بعض ولايات الدولة لم تعد ملتزم بإرسال ما عليها من أموال إلى بغداد في خضم الفوضى التي عاشت فيها إبان إلفته.

كفل المأمون للدولة الاستقرار والهدوء فتحسنت موارد البلاد المالية، ولما ولي المعتصم الخلافة أنفق الأموال الكثيرة في شراء الترك وإعدادهم للجندية، ومع ذلك فقد حرص على المحافظة على حقوق الدولة المالية^(٣)، وأمر الوائق بعقوبة عمال الدواوين لاستخلاص الأموال منهم بعد أن ظهرت له خياناتهم، وأخذهم أموال الدولة بدون وجه حق^(٤).

٥- المعاملات المالية والتجارية:

ظهرت بيوت مالية في بغداد كانت تقوم مقام البنوك من تقديم القروض، وإيداع الودائع، والتوسط بين الناس ودلر الضرب والإنجار في المعادن النفيسة والنقود والسندات الممثلة للنقود، وهذه البيوت المالية يمتلكها الجهابذة، وكانت

(١) الفخرى في الأدب السلطانية ص ١٤٥.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٠ ص ٣٠٠.

(٣) المصدر السابق ذكره.

تسند إليهم مهمة جباية الخراج، ويوكل إليهم أيضاً مهمة العمل في بيت المال لخبرتهم المالية الواسعة، وقد اتهم خالد البرمكي حين حكم عليه المنصور بأداء مبلغ من المال، بأنه يودع أمواله عند أحد الجهابذة^(١).

أدى ازدهار التجارة والعمليات التجارية إلى اتخاذ أساليب جديدة في العمليات المالية، تيسر للعملاء التعامل في أمن وطمأنينة ويسر، ومن هنا استعمل الناس السفائح، والسفتجة حواله خطاب يشمل على قيمة معينة من المال قابل للصرف من أى مكان من عملاء وجهابذة الشخص الذى له السفتجة، فكانت تدفع النقود في أى بلد من البلاد ويحصل صاحبها على سفتجة بقيمة ماله، ويحملها معه في رحلته الطويلة وهو آمن على ماله لأنه لم يكن يجوز صرف أى مبلغ إلا لصاحب السفتجة، وقد استخدم التجار هذه الوسيلة لإنجاز عملياتهم التجارية، وشاع استخدام السفائح حتى أن أموال الجبايات من الولايات العباسية كانت ترسل إلى بغداد بسفائح، وكانت السفائح تصرف في أوقات محددة، ولقد نظم الجهابذة التعامل بالسفائح، والسفتجة كانت تصرف في موعدها مجاناً، أما إذا تأخر صرفها صرفت بعموله^(٢).

أما الصك، فأشبه بالشيك في عصرنا الحالى، ثبت فيه قيمة القرض أو الاستحقاق، وموعد استحقاق صرفه، وقد استخدمه بعض الأفراد في معاملاتهم، وكان الجهابذة يصرفون هذه الصكوك لأصحاب الأموال المودعة لديهم نظير مبلغ معين من المال، ويشهد على الصك عادة اثنين ثم يختم، وفي بعض الأحيان يوقع عليه ضامن يتعهد بأنه يدفع قيمة الصك في حالة عجز المدين عن دفع قيمته، وفي بعض الأحيان كانت أرزاق الجند والموظفين تكتب قيمتها صكوكاً يوقع عليها رؤساء دواوينهم: وأحياناً الخليفة، ويصرفونها من بيت المال^(٣)، والصلوات التى يقررها الخليفة في بعض الأحيان يكتب بها صكوكاً، وجدير بالذكر أن الإمام العلوي محمد بن إبراهيم ركه دين، فقصد الفضل بن

(١) الجهشيلرى، الورداء والكتاب ص ١٠٠.

(٢) النورى: تاريخ العراق الاكصاى ص ١٢٣ - ١٢٤.

يحيى فقال له: قصرت بنا غلاتنا، وأغفل أمرنا خليفتنا، وترايدت مؤونتنا ولزمنا دين احتجنا لأدائه إلى ألف ألف درهم، فتوسط الفضل لدى الرشيد في فك ضيق الرجل، فكتب الرشيد صكاً إلى محمد بن إبراهيم بالمبلغ الذي طلبه^(١). واشترى الفضل بن يحيى ضيعه، كتب بثمنها صكاً إلى صاحبها^(٢).

شاع استعمال الدرهم في بغداد في العصر العباسي الأول، على أن وزنه نقص قليلاً عما كان عليه في العهد الأموي، وحرص العباسيون على نقش أسمائهم على العملة التي بدأوا في ضربها منذ فجر دولتهم^(٣)، فأبى العباس السفاح أول خلفاء بني العباس - ضرب درهما بالآبار، ونقص وزنه حبة واحدة ثم حبتين في خلافة المنصور، وظل الحال على ذلك حتى سنة ١٧٨ هـ حيث نقص ثلاث حبات وذلك في عهد الخليفة الرشيد. ولم يستمر الحال على ذلك، بل أخذ الدرهم في التخصان، حتى سنة ١٨١ هـ بلغ النقص قيراطاً وحبة ونصف^(٤).

والأمر الجدير بالاعتبار في هذه العملة هو وزنها لا قيمتها الاسمية، وكان يشرف على دار ضرب النقود **جعفر بن يحيى البرمكي** فلما قتل، فوض الرشيد أمر دار الضرب إلى **السكندر بن يونس** فصار ضرب الدراهم على العيار الصحيح، وحرص على نقاوة الذهب والفضة^(٥).

ضرب المنصور الدنانير الهاشمية، ويبلغ وزن الواحد منها مثقالاً بصرياً. وفي سنة ١٩١ هـ نقصت الدنانير الهاشمية نصف حبة، ولكنها تبودلت على اعتبار أنها مثاقيل كاملة بالرغم من أنها لم تضرب بوزنها الصحيح إلا فترة قصيرة^(٦)، ونلاحظ أن استعمال الدراهم في بغداد كان أكثر شيوعاً من الدنانير^(٧).

(١) Kremer, Orient under the Califate, p. 415.

(٢) الجعشيارى: الوزراء والكتاب ص ١٩٦.

(٣) المصدر السابق ص ٢١٤.

(٤) المقريزى: سلور العقود ص ٨.

(٥) الجعشيارى: الوزراء والكتاب ص ٢٣٨.

(٦) المقريزى: سلور العقود ص ٨.

(٧) الدورى: تاريخ العراق الاقتصادي ص ٢٢٧.

واستعملت في بغداد أجزاء من الدراهم والدنانير مثل الثلث والربع والخمس والسدس، كذلك ضرب العباسيون مضاعفات للعملة، ففي عهد الخليفة المأمون ضربت دنانير قيمة الواحد منها دينارين، وعليها الكتابة الآتية: ضرب العصر الحسنی لخريطة أمير المؤمنين ويذكر الجهشيارى^(١) أن جعفر بن يحيى ضرب دنانير وزن كل دينار مائة دينار ودينار، وعلى كل دينار من أحد جانبيه.

وأصفر من دار الملوك يلمح على وجهه جعفر
ومن الجانب الآخر:

يزيد على مائة واحداً إذا ناله معسر يسر

واستعمل الناس في معاملاتهم اليومية البسيطة أجزاء من العملة الفضية مثل القيراط والحبة والدانق والطسوج، كما استعملت الفلوس النحاسية^(٢). كذلك شاع نظام المقايضة.

وكانت النقود تضرب في دار ضرب النقود، ولا يجوز أن تضرب في غيرها خوفاً من الغش والتزييف، ويرى الماوردي^(٣) وجوب تعامل الناس بالنقد المطبوع بالسكة السلطانية الموثوق بسلامة طبعه، المأمون من تبدله وتليسه، وكان من حق كل فرد أن يضرب ما معه من ذهب وفضة دنانير ودراهم.

ويجدر بنا أن نشير إلى المظهر العام للدينار الأموي ظل قائماً في عصر العباسيين بنفس العبارات المسجلة على وجه السكة الأموية، وكانت دراهم المهدي مستدير الشكل، وظهر عليها اسمه وقد نقش العباسيون منذ عهد المهدي اسمه واسمى ولديه موسى وهارون، كما نقش الهادي اسمه واسم هارون على العملة^(٤) وكان الرشيد أول خليفة نقش اسمه على الدنانير، كما نقش اسم أبيه

(١) الوراء والكتاب ص ٢٤١

(٢) الدري: تاريخ العراق الاقتصادي ص ٢٢٩.

(٣) الأحكام السلطانية ص ١٥٠

(٤) القري: شلور النقود ص ١٠

الأمين، والمأمون، وذهب الحقوق نفسها لوزرائه وولايته وعمل المال^(١) وكان الرشيد لا يناشر بنفسه عيار الدراهم والدنانير، وكان الخلفاء قبله يتناولون النظر في العيار، كما نقش الأمين اسمه على العملة مع أخيه المأمون، ولو أنه أسقطه بعد ذلك، ونقش اسمه ابنه موسى بعد أن بايعه بولاية العهد بدلاً من المأمون، وضربت في عهد الأمين أنواع مختلفة من الدنانير، وكتب على بعضها عبارة «ربى الله» وعلى الوجه الآخر «محمد رسول الله»^(٢).

نقش المأمون اسمه، وأسماء بعض أولاده، وبعض عماله والمدينة التي ضربت العملة فيها، وضرب ديناراً كتب عليه اسم ولي عهده «على الرضا» وفي سنة ٢٠٧هـ أضاف المأمون على السكة بعض الآيات القرآنية على وجه الدينار، وأكملت عبارات أخرى على ظهر الدينار، «محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون»^(٣).

وقد ضرب المعتصم أول دينار له سنة ٢١٩هـ نقش عليه اسمه ولقبه، واسم ولي عهده.

٦- الدواوين المالية:

كان في بغداد ديوانان لبيت المال أحدهما ديوان بيت المال العام وهو خزانة الدولة الذي يثبت في سجلاتها أموال الدولة العامة التي ترد إليها من الولايات، أما بيت المال الخاصة، فهو خزانة الخليفة، ويحمل إليه أنواع معينة من الأموال، ويعتبر ديوان بيت المال العام من أهم الدواوين لأنه كان يضم دفاتر لكافة إيرادات الدولة العباسية، ولديوان بيت المال المركزي في بغداد فروع في مختلف الولايات^(٤) وإيراداته تشمل موارد لدولة الرئيسية وهي الخراج والمكوس وأموال المصادرات وهذه الموارد تنفق - كما أشرنا - في أوجه مصارف الدولة، مثل إعداد

(١) الجيهشيارى: الوزراء والكتب ص ٢٠٤.

(٢) القرظي: شذور العقود ص ٨٧-٨٨.

(٣) عبد الرحمن زهمي: فخر السكة العمية ص ٨٣٤.

(٤) الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ٦٠.

الجيش وتجهيزها للغزو، ودفع رواتب الموظفين، وإصلاح شؤون الزراعة والري.

وكانت لكل ولاية من الولايات العباسية بيت المال - كما أضربنا - وتتولى الولاية - جميع نفقاتها من إيراداتها الخاصة، وإرسال فائض الأموال إلى بيت المال المركزي في بغداد، وكانت هذه الأموال ترسل كما أوضح الجهشيارى^(١) نقداً عيناً، والكتب المتعلقة بالشئون المالية تعرض على صاحب ديوان المال قبل إرسالها إلى الديوان الأخرى، واعتبر توقيع صاحب بيت المال على الصكوك والأوامر المالية من الأمور اللازمة لصحتها^(٢).

عن الخلفاء العباسيون عناية كبيرة بديوان بيت المال، فحرص المنصور على وجود احتياطي في بيت المال، يفيد الدولة فيما عسى أن تتعرض له من طوارئ، وخصص مكاناً في بغداد لبيت المال يقع إلى جوار قصر باب الذهب في وسط بغداد^(٣) وعين عليه الفرّج بن فضالة التتويحي^(٤).

ظل بيت المال يتضمن فائضاً متبواً حتى رلى الرشيد الخلافة، فأسند الإشراف على بيت المال إلى جعفر بن يحيى البرمكي، فازدادت إيراداته بشكل ملحوظ، فلما استخلف الأمين ونشبت الحرب بينه وبين المأمون استنقل خزانة الدولة في إرضاء أنصاره، وفي الدفاع عن بغداد، وطم بيت المال يعاني عجزاً في إيراداته حتى استقرت خلافة المأمون، ولما اختط المعتصم سامراً نقل إليها بيت المال.

ديوان النفقات:

اختص ديوان النفقات بالإشراف على نفقات الخلافة واحتياجاتها، ويشترط على رئيسها أن يكون على دراية تامة بالحساب والمكايل والموازن والأسعار، وقد أشرف هذا الديوان على صرف استحقاقات رجال البلاط، ومحاسبة التجار الذين

(١) الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص ٤٢.

(٢) مثل الحصار الإسلامية ج ١ ص ١٠٠.

(٣) اليعقوبي: البلدان ص ٢١٠.

(٤) الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص ١١٢.

يتعاملون مع قصور الخلافة مثل توريد احتياجات قصور الخلافة، وكان من اختصاصه الإشراف على أعمال التشييد والتعمير التي يأمر بها الخليفة ومهمة صاحب هذا الديوان مرتبطة ببيت المال العام والخاص ارتباطاً وثيقاً لأنه يتولى بنفسه الحصول على استحقاقات الخليفة من بيت المال^(١)، والإشراف على نفقاته وكان لهذا الديوان مبنى خاصاً في بغداد بالقرب من قصر الخليفة ودولى الإشراف عليه في عهد المهدي يحيى بن خالد البرمكي، وفي عهد الرشيد الفضل بن الربيع^(٢).

ديوان الخراج:

يحفظ ديوان الخراج بسجلات يدون فيها تقديرات الخراج على مناطق الدولة المختلفة، والتعديلات التي قد تطرأ عليها، وتحديد أنواع الأراضي في كل منطقة من حيث أرض خراج وأرض عشر وأرض صوافي... الخ ويرجع إليها صاحب هذا الديوان عند جباية الخراج، وكان لـديوان الخراج المركزي في بغداد فروع في سائر الولايات، ويشرف صاحبها على مبالغ الخراج الواردة من الولايات إلى ديوان الخراج المركزي في بغداد.

كان يعمل في ديوان الخراج عدد من الكتاب الذين يباشرون أمور السجلات، وموظفون يقومون بجباية الخراج من نواحي الأقاليم وكان المساحون يقومون بمسح الأرض وتحديد الجزء المزروع منها، ويقدرّون كمية المحصول الناتج منها، وكان عامل الخراج يتبع الخليفة مباشرة وسجلاته التي يدون فيها الخراج وتقديراته، والجبايات التي ترد إلى ديوانه تسمى قانون الخراج^(٣).

وكان على عامل الخراج أن يراعى الرفق في الاستيفاء، والصبر على الزراع حتى يتيسر لهم أداء ما عليهم وأعفاء من يستحق الإعفاء، ويجب على عامل

(١) محمد جمال الدين سرور تاريخ الحضرة الإسلامية في الشرق ٩ ص ١٠٠.

(٢) البيهقي، البلدان ص ٢٤٠.

(٣) الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ٥٤.

الخراج الدراية التامة بالحساب والمساحة، وأن يكون معروفاً بالعدالة والأمانة، ولا نخاف من جور في حكم إذا حكم^(١).

أسندت إدارة ديوان الخراج إلى خالد بن برمك، فنظم شؤونه بحنكة ودراية، وهامل الناس برفق، وأجرى المهدي - كما أشرنا - تعديلاً في الخراج، فأحل نظام المقاسمة محل المساحة، وتطلب ذلك زيادة العمل في ديوان الخراج، حيث أصبح على حامل الخراج أن يقدر قيمة للمحاصيل ويحدد أماكن تخزينها، ويقدر قيمة المقاسمة على أساس ذلك، ويحصل منها حصة الحكومة، وقد أنشأ المهدي ديوان زمام الخراج لضبط حسابات الجبايات والإيرادات^(٢).

وقد أشرف على ديوان الخراج في عهد الرشيد يحيى بن خالد البرمكي، وأجاز الخليفة له أن يكتب إلى عمال الخراج في الولايات دون الرجوع له، وحرص الخلفاء العباسيون على إتباع منهج السلف في تقدير الخراج والجزية وسائر أمور الدولة المالية، لذلك طلب الرشيد من العقيه أبي يوسف تصنيف كتاب في الخراج يحدد فيه ما يجب أتباعه في الأوراق المالية، فصنف أبو يوسف كتاب الخراج.

(١) المسعودي: مروج الذهب ج ٢ ص ٢٢٢.

(٢) أبو يوسف: الخراج ص ٧٠.



الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي الأول

١- عناصر السكان وأثرها في الحياة الاجتماعية.

(أ) العرب والفرس والترك.

(ب) أهل الدمة.

(ج) الرقيق.

٢- الحياة العامة في بغداد

(أ) القصور والدور في بغداد في العصر العباسي الأول

(ب) المواكب والأعياد والمواسم.

(ج) الموسيقى والغناء وأنواع التسلية.

(د) المرأة في بغداد وأثرها في المجتمع.

(هـ) الأخلاق والعادات.



ويقول أستاذنا الجليل الدكتور عصام عبد الرؤوف في
كتابه الحواضر الإسلامية عن:

الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي الأول

١- عناصر السكان وأثرها في الحياة الاجتماعية:

(أ) العرب والفرس والترك.

العرب

انقسم شعب بغداد إلى عناصر رئيسية هي العرب والفرس والترك وينقسم العرب إلى قبيلة ومدينة، وانقسم السكان عموماً إلى مسلمين وأهل ذمة، والمسلمون انقسموا إلى سنة وشيعة.

قامت الدولة العباسية على أكتاف الفرس، وكان من الطبيعي أن يالوا حظوة في دولة بني العباس، وفعلوا اعتماد عليهم العباسيون في تدبير كثير من أمور دولتهم، ولم يكن الحال كذلك في العهد الأموي، إذا اعتمد الأمويون على العرب اعتماداً كلياً في تدبير ملكهم.

على كل حال ازداد نفوذ الفرس في بغداد على نفوذ العرب في بضع سنين من الحكم العباسي في العصر الأول، وليس في كل منى هذا الحكم، ذلك أن الخلفاء العباسيين لا يمكنهم مجال من الأحوال أن يتجاهلوا أصلهم العربي، فهم عرب هاشميون يعتزون بعروبيتهم ويفخرون بها، وحتى الفترات التي طغى فيها نفوذ الفرس على نفوذ العرب فلاحظ أن الخلفاء الذين مكنتهم الفرس من السلطة والسلطان هم أنفسهم الذين يقبلون عليهم ظهر المنح، وويتخلصون منهم، كما تخلص المنصور من أبي سلمة الخلال وأبي مسلم الخراساني، والمهدي من وزير يعقوب بن داود، والرشيد من البرامكة، والمأمون من الفضل بن سهل.

ويذكر الجاحظ أن دولة بني العباس أعجمية خراسانية، ويردد بعض المؤرخين أن العرب ذلوا وضعف شأنهم في العصر العباسي الأول فالمسعودي^(١) والسيوطي^(٢) يرويان أن المنصور أول خليفة ستمثل مواليه وعلماؤه، وصرفهم في مهماته وقدمهم على العرب، فاتخذت ذلك الخلقاء من بعده من ولده سنة، فسقطت وبادت العرب، وزال بأسها، وذهبت مراتبها. ولا يمكن قبول هذه الرواية لأن العباسيين اعتمدوا على بعض رجال من العرب في إدارة أمور دولتهم، ووقف بنو جلدتهم من العرب إلى جانبهم في الشدائد، فحينما ثار الراوندية الفرس على المنصور، وكدروا أن يفتكوا به لم ينقذه إلا رجل من سادات العرب هو معن بن زائدة الشيباني، لذلك كافأه المنصور وأسند إليه ولاية اليمن^(٣)، وأسند العباسيون بعض مناصب الدولة الكبيرة لرجال من العرب حتى لم يخل عصر خليفة من خلفاء العصر العباسي الأول من عرب يتقلدون في بغداد مناصب الوزارة والحجابه والكتابه والقضاء، وفي أشد فترات ازياد النفوذ الفارسي.

فحينما سيطر البرامكة على أمور الدولة في عهد الرشيد كان الفضل بن الربيع - وهو عربي - يتقلد منصباً كبيراً، ويستشير الرشيد، ويأمر به، وولي الرشيد أبا يوسف منصب قاضي القضاء في مملكته كلها، وهو أول من شغل هذا المنصب في الإسلام، وكان له ابن يسمى يوسف ولي القضاء في حياة أبيه^(٤) وظل يشغله حتى سنة ١٩٢هـ. ومن أشهر رجالات الدولة العباسية المسيب بن زهير بن عمر أبو مسلم الضبي، ولي شرطة بغداد أيام المنصور حتى عهد الرشيد في سنة ١٧٥هـ^(٥).

(١) مروج الذهب ج٢ ص ٢٢٣.

(٢) تاريخ الخلفاء ص ١٠٥.

(٣) ابن طباطبا. الفخرى في الأندلس السلطانية ص ١٤٣.

(٤) ابن النديم: الفهرست ص ٢٨٦.

(٥) الجهشيري: الوزراء والكتاب ص ١٣٤.

لذلك نرى إنه لا صحة لما ذهب إليه بعض المؤرخين من أن الخلفاء تجاهلوا العرب. واعتمدوا على الفرس اعتماداً كاملاً، بل كان الخلفاء العباسيون يحرصون على رفع منزلة العرب، ويأنفون من إذلالهم، فيروى الطبري^(١) أن المنصور رأى خادماً له من أصل عربي سبي من اليمن، وبيع إلى بعض بني أمية ثم إلى المنصور فاعتقه المنصور وقال: لا يدخل قصرى عربى يخدم جرمى، وأقدم على الهادى شهود على رجل أنه شتم قرشاً، فجلس الهادى مجلساً فيه فقهاء أهل زمانه، ومن كان بالحضرة على بابه وأحضر الرجل، وأحضر الشهود، وأقروا بما سمعوا عن الرجل فقال الهادى: إني سمعت أبى المهدي يحدث عن أبيه المنصور عن أبيه علي بن عبد الله بن عباس قال: من أمان قريشاً أمانه الله. وعاقبه الهادى أشد عقاب^(٢). وحتى الخليفة المأمون الذي تأثر كثيراً بالفرس لما اعترضه رجل من العرب وقال له: يا أمير المؤمنين أنظر العرب كما نظرت لأهل خراسان قال المأمون: والله ما أنزلت قبلاً عن ظهور الخيل إلا وأنا أرى أنه لم يبق في بيت مالى درهم واحد^(٣). وحتى الفرس على الرغم مما بلغوه من حظوة في بعض فترات الحكم العباسي ظلوا يعتقدون أن العنصر العربي أفضل منهم. بدليل أنهم احتاجوا في كثير من الأحيان إلى الانتماء إلى العرب بالولاء حتى أصحاب المكاتب الكبيرة منهم، فأبو مسلم الخراساني يزعم أنه من أصل عربي حتى يحظى بتقدير الناس وتأييدهم، فادعى أنه من ولد سليط بن عبد الله بن عباس^(٤) وحمزة بن ميمون - أحد المقربين إلى المهدي - يغضب ويعاتب الخليفة حينما قدمه إلى أحد جلسائه القرشيين على أنه مولى^(٥). وإسحاق الموصلي ذهب إلى خازم بن خزيمة - وهو عربي - وطلب منه أن يكون مولى له، فيقبل ذلك منه^(٦) ومهما يكن من أمر فقد ظهر في بغداد منذ نشأتها عنصران رئيسيان من سكانها

(١) تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ١٥٨هـ.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٠ ص ١٦٩.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ٢١٨هـ.

(٤) المصدر السابق حوادث سنة ١٣٧هـ.

(٥) الجيهشاري: الورداء والكتاب ص ١٤٢.

(٦) الأصفهاني: الأغاني ج ٥ ص ٢٦٩ - ٢٧٠.

يتناقسان حول الاستمرار بالسلطة والنفوذ في حاضرة الخلافة، وكان لابد للخلفاء من حفظ التوازن بين الفريقين حتى لا يطغى فريق على فريق. ونلاحظ في دراستنا لهذا الموضوع أن الخلفاء استعانوا بالفرس كما استعانوا بالعرب، وحينما طغى نفوذ الفرس، نكلوا بهم وأبعدوهم، واستعانوا بالعرب، ومكنوا لهم، وادى ذلك إلى الصراع مرير بين العنصرين استمر حتى خلافة المعتصم.

حرص الخليفة المنصور على عدم التمكين لأحد العنصرين - العرب والفرس - من ازدياد نفوذه على حساب العنصر الآخر، فكان للخليفة قواد وولاة من العرب، وقواد وولاة من الفرس، وكون جيشه من مضر واليمن وربيعة والخراسانية^(١)، وكما استورر المنصور أبا يعقوب المورياني - وهو فارسي - فقد استورر الربيع بن يونس - العربي الأصل - وكان جليلاً منفذاً للأمور فصيحاً حازماً، أصطحب المنصور في رحلته الأخيرة إلى مكة المكرمة وأوصاه المنصور قبل موته. وأخذ البيعة لخليفته المهدي، ولعيسى بن موسى من بعده، ولما فرغ من بيعة بنى هاشم، دعا بالقواد فابعدوا، وبلغ من حرص المنصور على حفظ التوازن بين عنصرى السكان في بغداد أنه لما شرع في تأسيس بغداد قسمها - كما قلنا - أربعة أرباض وعهد إلى أربع من كبار رجال دولته بالإشراف على عمارة هذه الأرباض فكما جعل رصاً يشرف على تأسيسه الربيع بن يونس، عهد إلى أبي يعقوب المورياني - وزيره الفارسي - بالإشراف على أحد الأرباض^(٢).

سار المهدي على سياسة أبيه في حفظ التوازن بين عنصرى السكان في بغداد، فأسند حجابته إلى الربيع بن يونس، وأختص به كما كان مع أبيه^(٣)، واستورر أبا عبيد الله بن معوية بن يسار مولى الأشعرين وفوض إليه تدبير مملكته فعهد إليه بالإشراف على النواوين، وتنظيم أمر الخراج، وصنف في الخراج كتاباً ذكر فيه أحكامه الشرعية، ودقائقه وقواعده، وحرص هذا الوزير العربي على إبعاد الفرس عن المهدي، حتى يصفو الأمر للعرب دون سواهم، فلما رأى تقرب

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ١٥١هـ.

(٢) ابن طباطبا: الفخرى في الأدب السلطانية ص ١٦٠.

(٣) الجهني: الوزراء والكتاب ص ١٠٠.

الفرس إلى الخليفة، جمع أربعة رجال من قبائل عربية شتى من أهل العلم والأدب فضمهم إلى المهدي، وصاروا من أصحابه المقربين، وحالوا بينه وبين الجلوس إلى الفرس^(١).

وكان المهدي يطمئن إلى العرب ويأمن بهم، فحينما ذهب إلى الحج سنة ١٦٠هـ أمر باختيار خمسمائة من الأنصار، ونقلهم إلى بغداد، ليكونوا حرساً له وأعواناً، وأجرى عليهم أرواقاً سوى أعصياتهم وأقطعهم عند... قلوبهم معه إلى بغداد قطيعة عرفت بهم^(٢). وكان الخليفة المهدي يجتمع بانتظام في بغداد مع القرشيين للنظر في حوائجهم^(٣) وكان في ذلك يسير على سياسة أبيه المنصور^(٤)، لكن للمهدي عاد فأسند بعض المناصب الهامة إلى الفرس، فعزل أبا عبيد الله بن معاوية عن الوزارة، وأسندها إلى يعقوب بن درد - الفارس الأصل - ثم الفضل بن صالح^(٥).

إزداد نفوذ الفرس في عهد الخليفة الرشيد الذي أسند أمور دولته إلى البرامكة الفرس، وأسندوا بأمور الدولة دونه، فالخلافة على الحقيقة كانت لهم، وليس للرشيد منها شيء إلا اسمها وقد استاء العرب في بغداد من ذلك وسعوا بهم إلى الرشيد ومن أبرر من تصدى للبرامكة من العرب، الفضل بن الربيع الذي مازال يحرض الرشيد على التخلص منهم، ويذكره باستئذانهم بالملك حتى أزعج صدره عليهم، فأوقع بهم، وكان لتأثير السيلة زبيدة - زوجة الرشيد - العربية الهاشمية - أثر واضح فيما حل بالبرامكة، وفي تولية ابنها محمد العهد قبل المأمون، كذلك حرص بنو هاشم في بغداد الرشيد على أخذ البيعة لمحمد الأمين قبل أحبة المأمون، وفيه ما فيه من الانقياد لهواه والتصرف مع طوبته، والتبذير لما حوته يده، ومشاركة النساء والأماء لرأية، وقالوا: إن ملت إلى عبد الله المأمون - وأمه فارسية - أسخطت بنو هاشم^(٦). وكان الأمين أصغر سنًا من المأمون، وأمه - كما قلنا - عربية أما المأمون فأمه فارسية.

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ١٥٩هـ.

(٢) المصدر السابق حوادث ١٦٠هـ.

(٣) المنور: حضارة الإسلام في دار السلام ص ٤٥.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ١٥٨هـ.

(٥) الجيشاري: الوزراء والكتاب ص ١٥٦، ١٦٤.

(٦) المصدر السابق ص ٢٢٨.

وجاءت نكبة البرامكة انتصاراً للعرب على الفرس، وازداد نفوذ العرب نتيجة لها. فاستندت الوزارة إلى الفضل بن الربيع بعد البرامكة - وكان حاجباً للمنصور والمهدى والهادى - ومازال الفضل وزيراً للرشيد حتى توفي^(١) - أي الرشيد - كذلك استند الرشيد قيادة الجيش وديوان الجند إلى الشحر الهذلي وعبد الله بن عبده الطائي^(٢).

لما ولي الأمين الخلافة انتعش العرب في بغداد، وازداد نفوذهم بينما ضعف شأن الفرس، واستندت المناصب الكبيرة إلى العرب فقلد الأمين، العباس بن الفضل بن الربيع حجابته، والفضل بن الربيع الوزارة، ويكر بن المعتز ديوان الخاتم^(٣).

رأى العرب في بغداد ضرورة تأمين ما حصلوا عليه في عهد الأمين من مكاسب وامتيازات، فسعوا إلى تخريب الأمين على نقض بيعته أخيه المأمون بولاية العهد، لأن المأمون تربى مثل نعمة أظفاره في أحضان الفرس، لذلك سعى العنصر العربي في بغداد - وعلى رأسه الفضل بن الربيع - بالأمين لخلع المأمون، ونقل ولاية العهد من بعده إلى ابنه موسى. والحقيقة أن ذلك لم يكن من رأى الأمين ولا من عزمه، بل كان عزمه الوفاء لأخويه عبد الله والقاسم بما كان أخذ عليه لهما والده من العهود والشروط، فلم يزل الفضل بالخليفة يصغر في عينيه شأن المأمون، ويزين له خدعه حتى قال له: ما تنتظر يا أمير المؤمنين بعبد الله والقاسم أخريك، فإن البيعة كانت لك متقدمة قبلهما، ولما أدخل فيها بعدك واحدا بعد واحد^(٤).

على كل حال أفلح العنصر العربي في إقناع الأمين بخلع أخيه المأمون من ولاية العهد، ومبايعة ابنه موسى، وسماه الناطق بالحق، وتسبب ذلك في

(١) المسعودي: مروج الذهب ج ٢ ص ٢٧٩

(٢) ابن طباطبا: القفري في الآداب السلطانية ص ١٩٢.

(٣) الجيهشاري: الوزراء والكتف ص ٢٨٩.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ١٩٤ هـ.

حدوث صراع بين الأخوين الأمين والمأمون انتهى بقتل الأمين.

وجاء انتصار المأمون على الأمين انتصاراً للفرس على العرب، فاستعاد الفرس نفوذهم، بينما ضعف أمر العرب.

على أن العرب في بغداد لم يستسلموا لما حل بهم من هزيمة على أيدي المأمون ورفاقه الفرس، فقد ساءهم وعلى رأسهم أمراء البيت العباسي ازدياد نفوذ الفرس، ووقوع المأمون تحت تأثيرهم، فلما سمع العباسيون في بغداد ما فعل المأمون من نقل الخلافة من البيت العباسي إلى البيت العلوي وتغيير لباس آبائه وأجداده من السواد إلى الخضرة، وأنكروا ذلك وخلعوا للمأمون من الخلافة غضب من فعله، وبأيعوا عمه إبراهيم بن المهدي وكان فاضلاً شاعراً فصيحاً أدبياً حاداً وقد عبر أحد وجوه العرب عن موقف المأمون المناهض للعرب - ويدعى نعيم بن خازم - بقوله للفصل بن سهل - وزير المأمون الفارسي - إنك إنما تريد أن تزيل الملك من بني العباس إلى ولد عني - ثم تحتال عليهم، فتصير الملك كسرويا. ثم أقبل هذا الرجل على المأمون وحذر من عاقبة فعله بأن قال له: لا يخذلك هن دينك وملكك فإن أهل خراسان لا يجيبون إلى بيعة رجل تقطر سيوفهم من دمه^(١).

ومهما يكن من أمر فقد خشي المأمون من ثورة أهل بغداد، فتخلص من وزير الفضل بن سهل، وقصد بغداد سنة ٢٠٠ هـ وكان العرب قد سيطروا عليها سيطرة كاملة فهرب عنها إبراهيم بن المهدي، والفضل بن الربيع، ودخل المأمون بغداد، واسترد نفوذه عليها^(٢). على أن الفرس ظلوا في عهده يشغلون المناصب الكبيرة في بغداد إلا أننا نلاحظ أن المأمون لم يغفل العرب نهائياً بل قرب إليه أحمد بن أبي دؤاد، وكان ضليعاً في الفقه وعلم الكلام والمنطق ومن أبرز العلماء الذين ينعتق بهم مجالس المأمون العلمية، وبثأثيره أمر المأمون بامتحان

(١) الجعفي: الوراء والكتاب ص ٣٨٣.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ حوادث سنة ٢٠٠ هـ.

الناس في خلق القرآن، وبلغ من تقدير المأمون له أن أوصى المعتصم به بقوله:
لا يفارقك الشركة في المشورة في كل أمرك فإنه موضع ذلك^(١).

عول العرب على استرداد نفوذهم في بغداد بعد وفاة المأمون وتولية المعتصم،
فالتفوا حول العباس بن المأمون معتمدين توليته الخلافة بدلاً من المعتصم الذي
يميل إلى الترك، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل، وقولى المعتصم الخلافة^(٢)،
وجرت على العرب نقمة المعتصم في كراهيته، وأهمل أمرهم، واستعان بالترك
في أمور دولته، ورفع شأنهم، لكن العرب لم يرضخوا لما حل بهم من ضعف
ووهن، بل تأمروا على المعتصم، وترغم هذه الحركة العباس بن المأمون، وحاول
العرب تنفيذ هذه المؤامرة أثناء غزو الخليفة لعمورية، وكان المعتصم قد أظهر
انحيازاً واضحاً ضد العرب فحين وجه عجيف بن حنيفة إلى بلاد الروم، لم
يطلق يد هذا العربي في النفقات كما أطلق يد الأفشين، بل استصفى المعتصم من
شأن عجيف، واستبان ذلك لعجيف، فحرص العباس بن المأمون على التآمر ضد
المعتصم، والسعى بمساعدة العرب على التخلص من الخليفة وتولية العباسي،
وبينما المعتصم يتجه بعجيشه إلى عمورية، حاول العرب التكيل، بقيادة الترك،
ولكن المؤامرة باءت بالفشل، وتكل الخليفة بالمتأمرين، ويقول المؤرخون إن ذلك
أدى إلى إيمان المعتصم في الاعتماد على الترك، وأبعاد العرب، وحذفهم من
الديوان^(٣)، فضعفت فيهم الروح العسكرية.

إلا أننا نلاحظ أن هذا القول فيه بعض المبالغة، إذ ظهرت شخصيات كبيرة في
عهده لعبت دوراً كبيراً في سياسة الدولة فأحمد بن أبي دؤاد، ولاء المعتصم
منصب قاضي القضاة في الدولة، وبلغ من تقدير المعتصم له أن قال: هذا والله
الذي يتزين بمثله، ويتهج بقربة، ويعتز به ألف من جنسه، ولما مرض نذر
المعتصم إن شافاه الله من مرضه بأن يتصدق بعشرة آلاف دينار^(٤). ولقد استغل

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج١ ص ١١٢

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ حوادث سنة ٢١٨ هـ

(٣) Muir: The caliphate, p. 54.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج١ ص ٣١

هذا الرجل نفوده في الرفع من شأن العرب وإبعاد الضرر الأذى عنهم فالأفشين - قائد جيش المعتصم - كان يكره العرب ويقول: إذا ظفرت بالعرب شددت رموس عظمائهم بالدبوس وظهرت نواياه الانتقامية ضد أبي دلف - أحد القواد العرب سيد قومه كريماً شجاعاً شاعراً^(١) وهم الأفشين بقتله. فأسرع ابن أبي دؤاد إلى الأفشين، وأنقذ الزعيم العربي^(٢) وشجع هذا أهل العلم والأدب فالتفوا حوله وأغلق عليهم، ووقف ببابه الشعراء مثل أبي تمام، وقرب إليه الجاحظ.

ولم يستسلم العرب لميل المعتصم إلى الترك فنسج عن كثير من البارزين منهم يطلبون من المعتصم رعاية أصحاب الحاجات من العرب الهاشميين والأئصار^(٣).

ومهما يكن من أمر فقد كانت الحياة الاجتماعية في بغداد عربية في روحها ومساهم العرب بدور رئيسي في توجيهها، فسادت تقاليد العرب وعاداتهم وأساليب حياتهم على غط المعيشة في بغداد فالدين الإسلامي الذي حمل لواءه العرب. وبشروا به في العراق، كما بشروا به في غير العراق، كان من الطبيعي أن يحدد الأسس الاجتماعية لحياة الناس، كما هو الحال في المعاملات الشخصية والقضاء واتخاذ الجوارى والغلمان وبناء المساجد، وغير ذلك من الحدود التي رسمها الشرع، وظهر أثر الدين في تعدد المذاهب الفقهية، فقد شهدت بغداد أئمة المذاهب الرئيسية، كما أن اللغة العربية - لغة القرآن - والدغة الرسمية للدولة - لها أثرها في تأكيد مركز العرب، ونبغ من العرب في بغداد في العصر العباسي الأول كثيرون في علوم الدين واللغة. على كل حال ظل مركز العرب مرموقاً في بغداد بصفة عامة في العصر العباسي الأول، فمنهم الخليفة وأمراء البيت الحاكم وسائر بني هاشم، والعرب لهم مركزهم أمام العناصر الأخرى فهم الذين مصرخوا الأمصار، ويذلوا أموالهم ودماهم في سبيل رفع راية الإسلام

(١) السعدي: مروج الذهب ج٢ ص ٣٧٢.

(٢) التنوخي: الفرج بعد القشة ج٢ ص ٦٨.

(٣) السعدي: مروج الذهب ج٢ ص ٣٧٠.

قلنا إن الفرس أزداد نفوذهم في بغداد في بضع سنن العصر العباسي الأول واستعان بهم العباسيون في بداية حكمهم، لأنهم أقاموا ملكهم على أكتافهم، ويتضح لنا ذلك من قول المنصور لأهل خراسان: أنتم شيعتنا وأنصارنا وأهل دعوتنا. كما أوصى ولي عهده بهم بقوله: وأوصيك بأهل خراسان خيراً فإنهم أنصارك وشيعتك، بذلوا أموالهم في دولتك ودماءهم دونك، ومن لا تخرج محبتك من قلوبهم أن تحسن إليهم، وتتجاوز عن سيئهم، وتكافئهم على ما كان منهم^(١). ولما أسس المنصور مدينة بغداد سمى باب خراسان، باب الدولة لإقبال الدولة العباسية منه^(٢).

على أن الاعتماد على الفرس والرفع من شأنهم في العصر العباسي الأول أثار مشاكل عدة في بغداد، ذلك أن الفرس طموحون يعملون على إحياء مجدهم القديم، ويميلون إلى إيراد فعلهم، لقد تم، ويناصرون الشيعة. لذلك تصدى لهم الخلفاء وسخطوا عليهم، ولحق بهم من العباسيين الكثير من المكبات، لأن اتهماتهم تهدد أمن الدولة وسلامتها واستقرارها.

أسند العباسيون إلى الفرس في بغداد مناصب كبيرة مثل الوزارة وقيادة الجيش. لكن كثيراً منهم لم ينج من بطش العباسيين للأسباب التي ذكرناها فالخليفة المنصور قتل وزيره أبا أيوب المورياني، وقتل أقاربه، واستصفى أموالهم، لأنه أساء استغلال نفوذه وثقة الخليفة فيه^(٣).

واستوزر المهدي يعقوب بن داود، وفرض إليه أمور دولته وسلم إليه الدواوين، وقلمه على جميع الناس، حتى قيل إن المشرق والمغرب بيد يعقوب. ولما اتضح للمهدي أن هذا الوزير يتعصب للعلويين، وأسند إليهم بعض المناصب

(١) عصام الدين عبد الرموف، تاريخ الإسلام في العصر التركي ص ١٤.

(٢) للمسعودي: مروج الذهب ج ٢ ص ٢٢٧.

(٣) ابن طماطبا: الفخرى في الأئمة السلطانية ص ١٥٧.

الهامه، وأطلق سراح أحد العلويين دون إذن الخليفة، - عزله وزجه في السجن، ولم يزل في سجنه حتى أخرجه الرشيد فاقد البصر^(١).

أرداد نفوذ الفرس في عهد الخليفة الرشيد، فقد استوزر كاتبه يحيى بن خالد ابن برمك، وكان البرامكة قديماً على دين المجوس، ثم دخلوا في الإسلام وحسن إسلامهم، وقد كان خالد بن برمك من الشخصيات البارزة في بغداد في عهد الخليفة المنصور، ومن أهل الرأي فيها، وكان سخياً جليلاً، حتى قيل لم يكن يرجل ليس خالد دار إلا وخالد بناها له ولا مبيعة إلا وخالد ابتاعها له، ولا دابة إلا وخالد حملها عليها ويرجع الفضل إلى يحيى بن خالد في تولية الرشيد الخلافة^(٢) ذلك أن الهادي اعترم خلع أخيه الرشيد من ولايه العهد وتوليه ابنه موسى بدلاً منه فتصدى له يحيى بن خالد، وحذره بقوله: حملت الناس على نكث الإيمان، ونقص اليهود، وتجرأ الناس على مثل ذلك، ولو تركت أخوك هارون على ولاية العهد، ثم بايعت لجمعفر بعده، كأنك ذلك أوكد في بيعته، وحذره من اعتراض بني هاشم. ولما ولي الرشيد فلجأ ليحيى بن خالد موقفه، وعد هذا فضلاً كبيراً من يحيى عليه^(٣).

واستوزره الرشيد، وكان يخاطبه بالأبوة، ويبلغ من ثقته به أن قال له: يا أبة أنت أجلسنى هذا المجلس ببركة رأيك وحسن تدبيرك، وقد قللتك أمر الرعية، وأخرجته من عنقى إليك، فاحكم بما ترى واستعمل من شئت، وأسقط من رأيت، فلانى غير ناظر معك فى شئ^(٤).

نهض يحيى بن خالد بأعباء الدولة أتم نهوض، وسد الثغور، وتدارك الخلل، وجبى الأموال، وعمر الأطراف، وأظهر رونق الخلافة وتصدى لمهمات المملكة، وكان صائب الرأي حسن التدبير.

(١) المصدر السابق ص ١٦٦-١٦٧-١٦٩.

(٢) الجيهشيارى: الوزراء والكتاب ص ١٥٠.

(٣) ابن طباطبا: القصص فى الأقطاب السلطانية ص ١٧٩ - ١٨٧.

(٤) الجيهشيارى: الوزراء والكتاب ص ١٢٧.

على أن نفوذ البرامكة ازداد في بغداد وطمح على نفوذه الخليفة، وقد أستاء الرشيد من ذلك وقال: استبد يحيى بالأمور دوني، فالخلافة على الحقيقة له وليس له منها إلا اسمها^(١).

كذلك وقف الرشيد على ميل البرامكة إلى التشيع، وسعى أعداء البرامكة عند الرشيد، وأوضحوا له استبدادهم بالملك وبأموال الدولة حتى أَوْضروا صدر الرشيد على البرامكة، فنكل بهم، وقد كانت نكبة البرامكة هزيمة الفرس، وأدت إلى ضعفهم.

ظل الفرس بعيدين عن السلطة والنفوذ في بغداد بقية عهد الرشيد وطوال عهد الأمين، ودارت رحى الرب بين الأخوين الأمين والمأمون انتهت بمقتل الأمين وانتصار المأمون وتوليته الخلافة معاد النفوذ الفارسي إلى قوته. فقد قرب المأمون الفرس إليه، وأسند إليهم المناصب الهامة في الدولة. وجدير بالذكر أن المأمون نشأ وترعرع في أحضان الفرس، فأما فارسية، وأشرف البرامكة وبنو سهل الفرس على تربيته^(٢).

استورد المأمون الفضل بن سهل الذي سمى ذو الرئاستين لجمعه بين السيف والقلم، والفضل بن سهل من أولاد ملوك الفرس المجوس، وكان قهرماناً ليحيى ابن خالد بن برمك، ولما رأى الفضل محابة المأمون في صباه لزم ناحيته، ودبر أموره، وتنبأ بوصوله إلى الخلافة، وكان سخياً كريماً يجاري البرامكة في جوده جليلاً عالماً بآداب الملوك^(٣).

وقع المأمون تحت تأثيره وزيده لفارسي، لذلك أحدث تغييراً جذرياً في نظام الخلافة، فعهد إلى علي بن موسى، وكتب بذلك كتاباً بخطه، وأمر المأمون

(١) ابن طباطبا: المعرى في الآداب السلطانية ص ١٩٠.

Hitti: Hist of the Arabs p. 280.

(٢) ابن طباطبا: المعرى في الآداب السلطانية ص ١٧٩.

(٣) للسعودي: مروج الذهب ج ٢ ص ٣٢٩.

الناس يخلع لباس السواد، ولبس الخضر وكان هذا بخراسان فلما سمع العباسيون في بغداد ذلك آثارهم نقل الخلافة من البيت العباس إلى البيت العلوي، وخلصوا المأمون، وبايعوا عمه إبراهيم بن المهدي، ولما بلغ المأمون ذلك تخلص من وزيره الفضل بن سهل، وكان يحجبه في مرو عن سائر الناس، ويمنع الأخبار عنه، وصار إلى بغداد، وأعاد لباس السواد وأرضى بني هاشم، على أنه استمر في إسناد الوزارة إلى الفرس، ففقد الحسن بن سهل وزارته، وتزوج ابنته، وكان أعظم الناس منزلة عند المأمون^(١) على أن نفوذ الفرس لم يستمر طويلاً، فلما توفي المأمون، وولى المعتصم الخلافة، أمد الفرس كما أمد العرب، واستعان بالترك.

وصفوة القول أن الفرس اشتركوا في الحياة السياسية في بغداد وكان لهم أثر أوضح في إدارة أمور الدولة، واشتركوا في الجيش، الذي كان يضم فرقة منهم، وساهموا بنصيب كبير في الحياة الفكرية لكن بعضهم لم يصح إسلامه فأظهروا محلهم القديمة كالرندقة، وبذل الخلفاء قصارى جهدهم في تعقبهم واستئصال شأفتهم وكان هؤلاء الفرس قد دخلوا في الإسلام ظاهراً ليستفيدوا من حقوق المواطن المسلم لكنهم ظلوا يخلصون لعقيدتهم القديمة، ويعملون على بثها في العلوم والآداب.

الأتراك

إستاء المعتصم من الفرس والعرب، ورأى ضرورة استبدالهم بعنصر آخر، ليس له مطامح الفرس القومية، ولا الأهواء السياسية التي للعرب يضاف إلى ذلك أن المعتصم أمه تركية، وكان به صفات الأتراك من حيث الشجاعة وقوة البأس، فصلاً عن أن الأتراك يميزون بالروح العسكرية.

جلب الأتراك إلى بغداد من بلاد ماوراء النهر، وكانوا رجالاً أشداء يعيشون

(١) ابن طاباطبا الفخرى في الألقاب السلطانية ص ٢٠٢.

رعاة وصيادين في هضابهم وجبالهم العالية، لذلك عرف عنهم. خشونة الطبع وقوة الشكيمة، واثرت هذه الحبة في أخلاقهم لذا برعوا في أساليب الحرب والقتال. وساعدتهم على الاندماج في مجتمع بغداد، اعتناقهم الإسلام وتعلمهم اللغة العربية.

توافد الأتراك على بغداد بطرق شتى، إما عن طريق وقوعهم في أسر العرب الفاتحين، ويبيعوا في الأسواق الرقيق، وإما عن طريق إرسال ولاية الأقاليم التركية تركيا ضمن الجبايات التي كانت ترسل إلى بغداد^(١)، وأما عن طريق هجرة كثير من الأتراك إلى بغداد بعد فتح بلادهم لتحسين أحوالهم المعيشية. وكانت بلاد ما وراء النهر خصوصاً سمرقند أكبر أسواق تجارة الرقيق الأبيض. وكانوا مدربين تدريباً خاصاً^(٢).

توافد الأتراك بكثرة على مدينة بغداد منذ تأسيسها، وازداد طلب الخلفاء لهم لأن عميراتهم العسكرية تؤهلهم. كما قلنا - للعمل في حراسة الخلفاء، وكان المنصور أول من استخدم الأتراك كحرس ببل واعتمد عليهم كذلك في الأعمال المدنية، فالجهشيارى^(٣) يذكر أن المنصور أمر حماد التركي - أحد كبار موظفيه - بتعديل نظام الضرائب في السواد. وكان قصر الرشيد يضم بضعة مئات من الغلمان الترك^(٤).

استكثر المعتصم من الترك حتى بلغ عددهم ثمانية آلاف رجل، وتكون منهم فرق من الجيش يقودها قواد من الترك، وكانت هذه الفرق في عزله تامة عن بقية الجيش. وازداد نفوذ الترك في بغداد، وأصبح لهم السلطة والنفوذ فيها، بينما ضعف أمر العرب والفرس.

(١) الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص ٢٨٥ - ٢٨٦

(٢) ابن حوقل: المسالك والممالك ص ٢٦٨.

(٣) الوزراء والكتاب ص ١٣٤.

(٤) الأصفهاني: الأغاني ج ٥ ص ٢٣٠.

وبذلك دخل في نزاع العvisية عنصر قوى جديد، فقد كان النزاع من قبل محصوراً بين الفرس والعرب، فأصبح بين العرب والفرس من ناحية والترك من ناحية أخرى، ووجه الترك كل جهودهم للنيل من الفرس والمستبدين بالسلطان، وبعد أن كانت الأحداث تنصل بأعلام الفرس كأبي مسلم الخراساني والبرامكة وبنى سهل ظهر تاريخ مرتبط أحداثه بأشناس وإيتاخ، إذ كانوا القابضين على زمام الدولة والمتصرفين في شئونها^(١).

حافظ المعتصم على جنوده الترك، وحرص على أن تبقى دماؤهم متميزة فجلب لهم نساء من جنسهم، وكان المعتصم ينفق على جنده الترك سخاء، وعنى بزيهم وألبسهم أنواع الديباج والمناطق المدهبة وأنخلهم ثكنات خاصة، يعيشون فيها معيشة كريمة، وقد خص المعتصم الأتراك بالفوذ - كما قلنا - وجعل لهم مراكز كبيرة في مجالات السياسة والحرب، وأجزل عليهم الهبات والأوراق وفضلهم على سائر جنوده^(٢).

وكانت الأتراك تؤذى أهل بغداد بجريئها للخيول في الأسواق وما ينال الضعفاء والصبيان من ذلك، فكان أهل بغداد يرب ثاروا ببعضهم فقتلوه عدد صدمه لإمرأة أو شيخ كبير أو صبي أو ضرير^(٣) وضافت بغداد بعسكر المعتصم، فتأدى منهم الناس، وزاحموهم في دورهم، وتعرضوا للنساء فخشي المعتصم من أن تحدث فتنة في بغداد بين جنده من ناحية وأهل بغداد العرب والفرس من ناحية أخرى. لذلك نقل حاصرة دولته إلى سامراء، ونقل إليها جنده الترك وقال: إن ربهني من عساكر بغداد حادث كنت بنجوة، وكنت قادراً على أن آتيهم في البر وفي الماء^(٤).

يذكر بعض المؤرخين مثل الفخري وليسيوطي أن المعتصم قدم إليه رجل شيخ

(١) أحمد أمين: ظهر الإسلام ص ٦.

(٢) السعدي: مروج الذهب ج ٢. ص ٢٦٦.

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٦٦.

(٤) ابن طياتبا. الفخري في الألفب السلطانية ص ٢١١.

وقال له: جئتنا بهؤلاء العلوج من غلمانك الأتراك، والله لنقتلك بسهام السحر -
يعنى الدعاء - فسار المعتصم إلى موضع سامرا فبناها. وهذه الرواية متؤخرة لا
يمكن قبولها لأن العمل الكبير الذى قام به المعتصم من حيث بناء مدينة جديدة
يتخللها حاضرة لدولته لا يمكن لقيام به خوفاً من دعاء شيخ وإنما المعقول أن
المعتصم رأى بنفسه بذور فتنة تزدى إلى اضطراب أمور دولته وانقسام جيشه،
وكان يعرف ويدرك جيداً قوة بأس جنده الترك وتهورهم، بلليل ما ذكره الطبرى
من أن المعتصم شكى إلى نديمه إسحاق الموصلى من مغبة اصطاعه للترك^(١).

وصفوة القول أن عناصر السكون فى بغداد كانت تتكون - كما رأينا - من
العرب والفرس والترك، وأنهكت العناصر العربية والفارسية قواها بالصراع الذى
دار بينهما حول الاستئثار بالسلطة والنفوذ، وظهر الترك أخيراً على مسرح
الأحداث، وحلوا محل العرب والفرس. غير أن ازدياد نفوذهم فى بغداد أدى
إلى طغيانهم فنقل المعتصم [حاضرة دولته] من بغداد إلى سامرا، ففقدت بغداد
مركز السيادة على العالم الإسلامى، وتأثرت الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى
بغداد نتيجة لذلك، وزادت بقمة أهل بغداد على الترك، وتجلت ذلك فى
الاحاديث التى وضعها المحدثون فى ذم الترك تعبيراً عن شعورهم وشعور أهل
بلدهم.

وكما أنقسم أهل بغداد إلى عرب وفرس وترك، أنقسم المسلمون فيها إلى سنة
وشيعه: فأما أهل السنة فلهم المركز الأول فى بغداد لأن السنة مذهب الدولة
الرسمى، وعاش فى بغداد كبار أئمة السنة، وصنعوا فيها المصنفات القيمة، مثل
أبى حنيفة النعمان وأبى يوسف وأحمد بن حنبل.

أما الشيعة فى بغداد فعلى الرغم من أن الخلفاء العباسيين كانوا فى عداء مع
العلويين - حتى لا يكاد يخلو عهد خليفة منهم من غير أن يثور عليه أحد الشيعة

(١) تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ٢٢٧هـ.

- فقد عاش في بغداد فريق منهم دون أن يتعرض لأضطهاد العباسيين، وكان وزراء العباسيين الفرس يميلون إلى العلويين، ويحاولون إبعادهم عن بطش بني العباس، بل ويسعون لدى الخلفاء للنظر في احتياجاتهم وتلبيتها، وظهر طالبيون في بغداد وصلوا إلى أعلى المناصب، فيقطنون داخل في خدمة أبي العباس والمنصور - وكان شيعياً - وكان ابنه علي يحمل الأموال إلى أبي جعفر محمد بن علي^(١)، وولد علي بغداد وأقام بها فترة من الوقت الإمام الشافعي، وكان شديداً في التشيع، وحضر ذات يوم مجلساً فيه بعض الطالبيين. فقال لا أتكلم في مجلس يحصره أحدهم، وهم أحق بالكلام ولهم الرياسة والفضل^(٢)، علي أن ازدياد خطر العلويين في عهد الرشيد دفعة إلى إخراج الطالبيين من بغداد إلى المدينة المنورة^(٣).

وبما لا شك فيه أن العلويين انتعشوا في عهد المأمون فقد نقل - كما ذكرنا - ولاية العهد إلى علي بن موسى، وأمر الناس بلبس الخصره بدلاً من السواد. لكن علي بن موسى لم يلبث أن توفي، وعاد المأمون إلى بغداد، وأمر الناس بالعودة إلى لبس السواد. وظهر في بغداد علويون لهم نشاط علمي كبير مثل الواقدي، ولى القضاء المأمون، وكان عالماً بالمغازي والسير والفتوح واختلاف الناس في الحديث والعقده^(٤). وأوصى المأمون أخاه المعتصم بالعلويين خيراً.

ب- أهل الذمة

شكل أهل الذمة في بغداد في العصر العباسي الأول عنصراً هاماً من عناصر المجتمع. والواقع كانت معاملة الخلفاء ورجال الدولة لهم تتم عن عدل وتسامح وكرم، وأطلق الخلفاء لرؤسائهم الروحيين مباشرة أمور وشئون أبناء ملتهم، وكان

(١) ابن النديم: الفهرست ص ٣١٤

(٢) المصدر السابق ص ٢٩٥.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ١٢١ هـ.

(٤) ابن النديم: الفهرست ص ١٤٤.

رئيس النصارى فى بغداد يسمى الجاثليق، ويعينه الخليفة بعد استشارة كبار الاساقفة، ويتم تعيينه بعهد أو مشور يتضمن الحقوق والامتيازات التى تمنحها الدولة له - أى للجاثليق - وتمنحه الحق فى مراجعة حكومة بغداد فى الأمور التى تتعلق بالمسيحيين الرعايا^(١).

وكان الجاثليق الجديد إذا تم تعيينه، يسير بحفاوة إلى قصر الخلافة وهناك يمنحه الخليفة عهد توليته، ويتضمن حقوقه فى مباشرة سلطاته ثم تلقى عليه الخلع الثمين، وبعد ذلك يتوجه إلى المدائن، وتصحبه فرقة من الجنود وجماعة من القسس والاساقفة، وكبار رجال الدولة حيث يزور ضريح مارى فى دير، وفقاً للتقاليد المتبعة فى ذلك ثم يعود إلى بغداد، ويقيم فى كنيسة دار الروم - مقره الرسمي -^(٢).

قلنا إن الجاثليق كان من حقه مباشرة شئون النصارى، وإصدار قرارات تعيين أفضل القسس والاساقفة ومسائر رجال الكنيسة ومن حقه معاقبة النصارى، وذلك بفرض الغرامات عليهم، وإصدار قرار الحرمان على من يستحق منهم، غير أن الأحكام الجبائية الكبيرة كالأعلام لا تدخل فى اختصاصاته، إنما كانت من حق الحكومة^(٣) ومن أبرز من ولى منصب الجاثليق فى بغداد طيمثاوس الأول (٧٨٠م-٨٣٢م) وقد كن على علاقة وثيقة بالخلفاء العباسيين الخمسة الأول الذين حاصروهم ولقى منهم كل رعاية وتقدير، وكان الخليفة موسى الهادى يستدعيه إلى قصره ويحاوره فى مسائل الدين، ويجيبه بما يتفق مع وجهة نظره^(٤).

أما اليهود فلهم رئيس خاص، يلقب أحياناً بلقب ملك، يدفع له أهل ملته الضرائب، وكان نصف ما يحصل من اليهود يعطى لرئيسهم،

(١) متر الحضارة الإسلامية ج١ ص ٤٢

(٢) روثايل بأبر إسحاق: تاريخ نصارى العراق ص ٦٧.

(٣) متر. الحضارة الإسلامية ج١ ص ٤٢.

(٤) المصدر السابق ص ٦٨.

ويرسل النصف الآخر إلى بيت المال بخلاف ما كان الحال عليه بالنسبة
لنصارى اللين كانوا يؤدون الضرائب لبيت المال مباشرة^(١).

أذن الخلفاء العباسيون للنصارى واليهود بتشييد كنائس ودور عبادة لهم،
فوافق الخليفة المهدي على تشييد كنيسة للنصارى في محلة الروم بالجانب الشرقي
من بغداد - الرصافة - وتقضى القاعدة الفقهية بترك البيع والكنائس لأهل الذمة،
ويخرج النصارى بالصلبان أيام أعيادهم، ومن حق أهل الذمة على المسلمين
حقن دماهم، ويقاتل المسلمون من نواهم من عدوهم، ويلبوا عنهم^(٢).

ويبلغ من تسامح بعض الخلفاء أن يحضر مواكبهم وأعيادهم - ويأمر بصيانتها،
ففي أيام الرشيد كان النصارى يخرجون في بغداد يوم عيد الفصح في موكب كبير
وبين أيديهم الصليب، إلا أنهم كانوا يخرجون بلا رايات^(٣)، وكان أهل الذمة
يقيمون حفلاتهم الدينية بحرية تامة يظهر فيها اللهو والطرب، ويبلغ السرور
أقصاه، ويشاركهم المسلمون في هذه الاحتفالات وكان الخليفة المأمون يهتم
بالنظر في أمور أهل الذمة، ويعقد مجلساً استشارياً يتألف من ممثلي جميع
الطوائف، ويستمع إلى مطالبهم، ويعمل على تحقيقها^(٤).

ولا أدل على تسامح الخلفاء من أنهم تركوا أرقاءهم وجواريتهم على ملتهم،
وكان المهدي جارية نصرانية، ترتدى رداءها القومي وتعلق في صدرها صليبا من
ذهب^(٥).

وكانت الأديرة المسيحية منتشرة في جميع أنحاء بغداد حتى لم تخل منها
ناحية، ويقم فيها للنصارى شعائرهم الدينية في أمن وطمأنينة، وتحاط بالأسوار
العالية والأبواب الحديدية وتأوى اللاجئين إليها والمجتاز بها، وأقام رهبانها دور

(١) مثل: الحضارة الإسلامية ج١ ص ٥٨.

(٢) أبو يوسف: الخراج ص ٨٠.

(٣) دوناتيل بابر إسحق: تاريخ نصارى العراق ص ٢٠.

(٤) المصدر السابق.

(٥) ابن رسته: الأعيان النخبة ص ٢١٣.

ضيافة لميت الزوار، وعابري السبيل، ويقضى للنصارى في بغداد أعيادهم في ديارات معروفة، ولا يبقى أحد من يحب اللهو إلا تبعهم، والواقع أن الديارات كانت أماكن مناسبة جدا للترفيه ولترفيه، فكانت تقع في أماكن غاصة بالبساتين والشجر والنخل والرياحين، لذلك حرص المسلمون من أهل بغداد على قضاء أوقات فراغهم بها، وعقد مجالس اللهو هناك^(١) ومن أقرب الديارات إلى مدينة بغداد دير قوطا في قرية البردان على شاطئ دجلة، ويفصله عن بغداد بساتين ومترهات متتابعة^(٢).

ومن أشهر بيع بغداد بيعة سمار وبيعة درب دينار، وبيعة درب القراطيس، وبيعة سوق الثلاثاء^(٣)، على أن الحرب بين قوات الأمين وقوات المأمون قد ألحقت الكثير من التخريب والتدمير بكائس بغداد وأديرتها^(٤).

ساهم أهل الذمة في بغداد في إزدهار الحركة العلمية في العصر العباسي الأول ونشر المعرفة، فأُسِرَ المدرّس وقاموا بالتدريس لأبناء كبار رجال بغداد، وترجموا الكتب من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية ذلك أن الخلفاء العباسيين الأوائل عتوا بترجمة الكتب العلمية واستعانوا بأهل الذمة في حركة الترجمة هذه، وقدر الخلفاء جهودهم ومنحهم الرواتب الحريّة، وكان الخلفاء يرسلون العلماء الموثوق بهم من أهل الذمة إلى الدولة البيزنطية لاقتناء طرائف الكتب وغرائب المصنّفات في الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب ويعهدون إلى الترجمة من أهل الذمة بنقل هذه الكتب إلى العربية^(٥).

ومن أشهر من ساهم في حركة الترجمة بنصيب موفور من أهل الذمة، حنين ابن إسحاق، نشأ على حب العلم، وتعلّم على الطبيب الحاذق يوحنا بن

(١) الثابتى: الديارات من ٣٠، ١٨، ١٦، ٩، ٣.

(٢) المصدر السابق ص ٤١.

(٣) دوقايل بأبو إسحق: تاريخ نصارى العراق ص ٦٩.

(٤) ابن التليّم: الصهرست: ص ٣٣٩.

(٥) Hitti: Hist. of the Arabs. p.327.

ماسوية، وتوجه إلى الدولة البيزنطية وأقام بها فترة من الوقت درس خلالها اللغة اليونانية، وعاد إلى العراق ودرس اللغة العربية دراسة مستفيضة على الخليل بن أحمد، ثم عاد إلى بغداد، ومكثته معرفته القوية باللغتين اليونانية والعربية من القيام بنشاط كبير في حركة الترجمة، فنقل كتاب أفليدس وكتاب المجسطي لبطليموس وكتاب أبولونيوس في المخروطات وتلخص مؤلفات أفلاطون وسقراط وجالينوس، ونقلها إلى العربية، ولم يكن مجرد مترجم للكتب التي أشرنا إليها، بل كان يعلق عليها، ويوضح ما فيها، ويلخص ما يحتاج إلى تلخيص، ويؤوبها، وبالجملة كان خير ما قدم خلاصة الفكر اليوناني إلى المثقفين العرب، وبالإضافة إلى ما قام به من ترجمة، فقد صنف أكثر من خمسة وعشرين كتاباً^(١).

ومن أبرز مترجمي المأمون من أهل الذمة يوحنا بن البطريق، وكان أميناً على ترجمة الكتب العلمية حسن التأدية للمعاني^(٢) وكانت الفلسفة أغلب عليه من الطب^(٣)، وعنى المأمون بعقد مجالس علمية في قصره يناظر فيها العلماء على اختلاف تخصصاتهم، وكان أغلب العلماء العلوم العقلية من أهل الذمة^(٤).

من أبرز المهن التي حمل بها أهل الذمة في بغداد - لاسيما النصارى - مهنة الطب، فقد برعوا في تشخيص الأمراض، ووصف العلاج الناجع لها ونقلوا الكتب الطبية من اللغة اليونانية إلى العربية، واكبوا على دراستها، وإضافة الجديد لها مما يتمشى مع خلاصة تجاربهم وقراءاتهم. ومن أشهر أطباء المنصور جيورجيس بن بختيشوع استدعاه المنصور لما ألم به مرض شديد، وكان رئيساً لمستشفى جنديسابور فحضر إليه مع تلميذه عيسى بن شهلاتا، ودعا للمنصور بالفارسية والعربية، فأعجب المنصور من حسن منطقته، وعالج المنصور وأحسن علاجه، فأمر له بخلعة جليلة، وأمر بإنزاله في أجمل موضع وأكرمه كما يكرم

(١) القنطري: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٤٤.

(٢) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٣٣٦، ٣٣٩.

(٣) المصدر السابق ٢١٤.

أخص الأهل^(١) وجدير بالذكر أن المنصور، دعا طبيبه إلى اعتناق الإسلام، فرفض الطبيب وقال: أنا دين لباي أموت، وحيث يكون آبائي أحب أن أكون إما في الجنة أو في جهنم^(٢).

على كل قدر المنصور طبيبه أحسن تقدير، وأهداه ثلاث جوار روميات مع منحة قدرها ثلاثة آلاف دينار، ولما مرض هذا الطبيب زاره المنصور، وأمر بحمله إلى دار العامة، ووافق على رغبته في العودة إلى بلده، وأنفذ معه خادماً، ومنحه عشرة آلاف دينار واتخذ المنصور من بعده عيسى بن شهلانا طبيباً خاصاً له بعد أن وقف على مهارته^(٣) لكن هذا الطبيب استغل صلته الوثيقة بالخلافة، وأذى بني قومه من النصاري، فلم يفل المنصور منه ذلك، وعاقبه ونفاه^(٤).

ووفد على الرشيد الطبيب بختيشوع بن جيورجيس من أطباء جنديسابور، فأكرمه وخلع عليه خلعة سنية، ورهب له مالاً وأخيراً جعله رئيس الأطباء ودخل ابنه جبريل في خدمة البرامكة، وما يجزم ذكره أن جبريل هذا عالج الأمين والمأمون، وكانت رواتبه سبعمائة ألف وأربعة وثلاثين درهم سنوياً، وأحصى ما ربحه من الرشيد فكان ثلاثمائة ألف وثمانين مليوناً من الدراهم^(٥).

ومن أساتذة الطب في عهد الرشيد يوحنا بن ماسوية النصراني السرياني ولاء الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة، وكان موضع تقدير الناس في بغداد، وله مصنفات قيمة، وكان يعقد مجالس علمية يتناول فيها خلاصة معرفته، وقد وفد إليه طلاب العلم للاستفادة من علمه، والاستزادة من معرفته^(٦).

كما عالج بختيشوع بن جبريل المأمون والمعتمد والواثق^(٧) وجالسهم ونادهم ونال منهم العطايا السنية، وصنف كتباً في الطب.

(١) Hitti: Hist. of the Arabs P. 363.

(٢) ابن أبي أصيبعة: هيون الأتياء في طبقات الأطباء ج ١ ص ١٢٤

(٣) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٢١٥.

(٤) المصدر السابق ج ٢١٥.

(٥) المصدر السابق ص ٢٢٦.

(٦) القفطي: إخبار العلماء بأخبار العلماء ص ٧١-٧٢.

(٧) المصدر السابق ص ٩٩-١٠٠.

ومن أبرز الأطباء النصارى في بغداد سهل بن مابور، ومن أطباء المأمون جبريل الكحال، وكان يتقاضى راتباً شهرياً قدره ألف درهم، وكان أول من يدخل إليه في كل يوم^(١)، كان سلموية عالماً بصناعة الطب وعالج المعتصم مرضه، وبلغ من اعتزال المعتصم به أن هذا الطبيب لما توفي قال المعتصم: سألحق به لأنه كان يمسك حياتي، ويدير جسمي ومنتع عن الطعام في ذلك اليوم بل أمر بإحضار جنازته إلى قصره، وأن يصلى عليه بالشمع والبخور وفقاً للرسوم الجنائزية المتبعة عند المسيحيين^(٢).

كذلك شغل أهل الذمة في بغداد، وظائف التنجيم لمعرفة أمور الكواكب والنجوم، ومن أبرز من عمل هذا المجال، ما شاء الله اليهودي الذي كان منجماً للمنصور، وكان أوحد زمانه في رصد النجوم^(٣) وكان للمخلقة المهدي منجم نصراني يسمى ثوفيل بن توما، وبلغ من ثقته به أن جعله رئيس مجييه، وصنف وترجم بعض الكتب في هذا المجال^(٤)، وكان مند بن علي - وهو يهودي - منجماً للمأمون، ودخل في الإسلام، وهو في جملة الراصدين، ثم أهله كفاءته إلى أن أصبح على الأرصاد كلها^(٥).

أندمج أهل الذمة في المجتمع العربي في بغداد ولم يقتصر نشاطهم على الترجمة أو الاشتغال بالطب والفلك بل أنكبوا على دراسة اللغة العربية وآدابها، وصنف رجال منهم كتاب أدبية مثل حبيب أبو رائطة التكريتي والجاثليق طيشماوس، وعرف أيضاً من شعراء وأدباء النصارى أبو قابرس، وانقطع إلى البرامكة، واشتهر كذلك عيسى بن فرخنشاء - وكان من أهل بغداد ومن كتاب الدواوين^(٦) وكان إتقان أهل الذمة للغتين

(١) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٢٣٩.

(٢) المصدر السابق ٢٤٠، ٢٤٣.

(٣) ابن النديم: الفهرست ص ٢٣٩.

(٤) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٢٢٠.

(٥) ابن النديم: الفهرست ص ٣٤٠.

العربية واليونانية سبباً في إسناد الخلفاء لهم السفارات الدبلوماسية إلى الدولة البيزنطية وغيرها^(٢).

كذلك اشتغل أهل الذمة في الدواوين، وكان لعدم إخلاص بعضهم في تأدية واجباته أثره في ارتياب في إخلاصهم فموسى - وهو ذمى - أحد اثنين كلفهما المنصور بجباية الخراج - ولما ساءت سيرته، غضب منه المنصور وعزله. وأمر بمعاينة كل عامل أو والى يستعمل كاتباً من أهل الذمة^(٣) وعلى الرغم من أن الرشيد عرف بتسامحه مع أهل الذمة إلا أنه أمرهم بالألا يتشبهوا بالمسلمين في لباسهم وركوبهم^(٤) ومما لا شك فيه أن هذا الإجراء ليس اضطهاداً من الخليفة لأهل الذمة، أو امتهاناً لهم، بل دليل أن القاضي أبا يوسف الذى حث الرشيد على اتخاذ هذا الإجراء هو نفسه الذى حث الرشيد على حسن معاملة أهل الذمة فقال للخليفة: ينبغي أن تتقدم بالرفق بأهل الذمة والتفقد لهم حتى لا يظلموا أو يؤذوا، ولا يكلفوا فوق طاقتهم، ولا يؤخذ شيء من أموالهم بحق يجب عليهم^(٥).

ومهما يكن من أمر فقد كان عدد النصارى في بغداد أكثر بكثير من عدد اليهود، واشتغل اليهود بالتجارة والصناعة، ونبغ بعضهم في الطب، كما كانوا على صلة وثيقة بالخلافة وكبار رجال الدولة لاشتغالهم بتجارة المجوهرات.

انفصلت الطوائف الدينية عن بعضها تمام الانفصال، فلم يقع تزواج بين المسلمين وغير المسلمين، ولا يمكن للمسيحي أن يعتنق اليهودية، ولا يستطيع اليهودى أن يدخل فى المسيحية، واقتصر التغيير فى الدين على الدخول فى الإسلام فقط، ولا يجوز للمسيحي أن يرث اليهودى، ولا اليهودى أن يرث

(١) روفائيل بآيو إسحق. تاريخ نصارى العراق ص ٨٤-٨٥.

(٢) الجيهشيارى. الوزراء والكتاب ص ١٣٤.

(٣) الخراج ص ٧٢.

(٤) المصدر السابق ص ٧١.

(٥) Hitti: Hist. of the Arabs P.352.

المسيحي ولا يرث المسيحي واليهودي المسلم، والمسلم لا يرث المسيحي أو اليهودي وفي ذلك قال الرسول: «لا يتوارث أهل ملتين»^(١).

(ح) الرقيق،

كثر الرقيق في بغداد في العصر العباسي الأول، وساعد على كثرته الانتصارات الكثيرة التي كانت تهرزها الدولة الإسلامية على أعدائها وما يتبع ذلك من استخواذها على مقام كثيرة، من بين هذه الغنائم الأسرى^(٢)، وكانت بعض الولايات الإسلامية ترسل إلى بغداد رقيقاً كجزء من الأتاوة المفروضة عليها^(٣). فضلاً عن أن الرقيق يجلب من الأسواق.

كذلك امتلأت قصور الخلفاء وكبار رجال الدولة بالرقيق من أجناس مختلفة منها الأبيض والأسود والأصفر تختلف في لغاتها وعاداتها وتقاليدها^(٤)، ولم ينظر الخلفاء العباسيون إلى الأرقاء نظرة امتهان وإدراء، ولا أدل على ذلك من أن كثيراً منهم كانوا أبناء أمهات وقعن في أيدي أبائهن عن طريق الأسر أو الاسترقاق، بل إن بعض كبار رجال الدولة كانوا يتخذون الإماء من غير العرب، ويفضلونهن على العربيات الحرائر^(٥).

وما يجدر ذكره أن الخليفة المنصور أمه أم ولد يقال لها سلامة البربرية^(٦) كذلك كان الهادي والرشيد والمأمون والمعتصم من أمهات أولاد ولم يكن من خلفاء العصر العباسي الأول من أم عربية حرة سوى المهدي والأمين وقد ينجب الرجل ذرية بعضها من أولاد الجوارى والبعض الآخر من أولاد الحرائر. فيفخر أولاد الحرائر على أولاد الجوارى، فالأمين كان يفخر على المأمون بأنه لم يجر في عروقه دم رقيق^(٧).

(١) متز: الحضارة الإسلامية ص ٥٦-٥٧.

(٢) الماوردي: الأحكام السلطانية ص ١٢٨.

(٣) الجعشيري: الوزراء والكتاب ص ٢٨٣.

(٤) المنصور: حضارة الإسلام في عار السلام ص ٩٨.

(٥) محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص ١٩٤.

(٦) السعدي: مروج الذهب ج ٢ ص ٢١٣.

(٧) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٤٣.

على أن الجارية أو الأمة قد أتيحت لها الفرصة للانتقال إلى مرتبة أعلى من مرتبة الرق. فإذا أنجبت من سيدها سميت أم ولد وصارت في وضع أرفع شأنًا من وضع الأمة، فلا يجوز لسيدها أن يبيعها أو يهبها وإنما تبقى حلاله، وإذا توفي سيدها، صارت حرة، ينطبق عليها أحكام الميراث، والطفل الذي يولد من أمة يكون حراً.

انتشرت تجارة الرقيق في بغداد، فكان بها محلة تسمى دار الرقيق^(١) وكان بالرصافة - الحانب الشرقي من بغداد - محلة دار الروم نسبة إلى سكانها الذين قدموا إليها في عهد المهدي أسرى من بلاد الروم، واشتهر كثير من تجار الرقيق في بغداد من النخاسين، وسبب شهرتهم كثرة ما كان يفد عليهم من الشعراء والأدباء لابتياح الجوارى احسان، وكان بالكرخ نخاس يسمى أبو عمير له جوار قيان لهن ظرف، وكذلك أبو خطاب النخاس، ومنهم حرب بن عمير، وله جارية مغنية يعد إليها الشعراء وأهل الأدب في بغداد للاستماع إليها^(٢)

والنخاس يتنادى لمن حوله من الراغبين، ويصف لهم الجارية بعد الجارية بأحسن ما يكون من أوصاف الحسن والجمال. ومن يبنهن جوار عليهن اللباس الفاخر ويتخذن العصائب المحلاة بالدر والجواهر، وكان على تجار الرقيق عامل من قبل الحكومة يشرف على أعمالهم، ويراقب تجارتهم، يسمى قيم الرقيق.

قلنا إن الرقيق تنوعت أجناسه وألوانه، وأحسن أنواع الرقيق، النوع الأبيض، وكان من الترك أو الصقالبة، والصقالبة يفصلون على الترك ويقول الخوارزمي^(٣): ويستخدم التركي عند غيبة الصقبي. وأكثر ما يجلب من بلاد البلغار، وكانت سمرقند أكبر مراكز تجارة الرقيق الأبيض، وخير رقيق بلاد ما وراء من تربيتها، وكان أهلها يتخذون من تهذيب وتربية الرقيق صناعة يعيشون منها.

ولقد كان لكل نوع من أنواع الرقيق صفات خاصة، فالهنديات عرفن بالطاعة

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج ٨ ص ٤٧

(٢) الأصفهاني: الأغاني - ج ٤ ص ١٩٩.

(٣) متر: الحضارة الإسلامية ج ١ ص ٢٢٧

والهدوء وإتقان مباشرة الشؤون المنزلية والاشغال اليدوية، واشتهرت مولدات المدينة بالمرح والميل إلى اللهو، وعرفت السودانيات بالميل إلى الرقص والوان الطرب، والمغريبات والتركيات عرفن بإتقان الشؤون المنزلية، والعبد الرومي يجيد تدبير المنزل ويحب النظام ويميل إلى القصر في الانفاق، والعبد الروي ويجيد الفنون الجميلة، والأرمن فيهم خشونة في الطبع. على أن الرقيق المجلوب من بلاد السند كثرت جرائمهم مع ساداتهم، فقل إقبال الناس على شرائهم، لذلك رخص سعرهم^(١).

انتشرت في بغداد ظاهرة تعليم الجوارى الغناء، وكانت الجارية إذا أتقنت الغناء تباع بثمن مرتفع جداً، وأول من عنى عناية كبيرة بتعليم الجوارى الغناء إبراهيم الموصلی، فإنه بلغ بالقيان كل مبلغ ورفع من أقدارهن، وكان بعض الناس يعيشون بجواريتهم إلى إبراهيم وإبنه إسحاق لتعلم الغناء، فإذا برعت فيه، استطاع سيدها أن يبيعها بثمن مرتفع^(٢) وكان عند إبراهيم الموصلی العديد من الجوارى يتقن الغناء من الحانة، فبيعت جارية هندية تعلمت الغناء على أيدي إبراهيم الموصلی بمائتي ألف درهم^(٣).

وبلغ من حرص الناس على تعليم الجوارى للغناء أن بعض وحوه أهل خراسان كانوا يرسلون غلمانهم إلى إسحاق الموصلی ليعلمهم الغناء وكان يعلم الغلام منهم اللحن بألف درهم^(٤).

وجدير بالذكر أن إبراهيم الموصلی وابنه إسحاق علما جارية مولدة صفراء تسمى قلم الصالحية الغناء، وبرعت فيه حتى ابتكرت حوالي عشرين لحناً، واشترها الواثق بعشرة آلاف دينار^(٥)، وكانت شارية جارية تعلمت الغناء حتى أنفثته، فاشترها إسحاق الموصلی بثلاثمائة دينار، ولما تدربت على الغناء

(١) السعدي. مروج الذهب ج٢ ص ٢٥٨.

(٢) الأصفهاني: الأغاني ج٢ ص ١٧٠-٢٩٤.

(٣) المصدر السابق ج٥ ص ١٢٧.

(٤) المصدر السابق ج٥ ص ٢٧٩.

(٥) المصدر السابق ج١٢ ص ٣٤٢.

اشتراها، إبراهيم بن المهدي بعد ستة بثلاثمائة ألف دينار، واشتراها المعتصم بعد ذلك بخمسة آلاف وخمسمائة دينار^(١).

وكان للمهدي جارية من أصل فارسي، تعلمت في الطائف وتنققت وألحيت إبراهيم بن المهدي وكان رجلاً أدبياً ديناً شاعراً راوية للشعر وأيام العرب فصيحاً خطيباً^(٢)، وكانت مكنونة من أبرر الجوارى في الغناء، نشأت في المدينة، وأتقنت الغناء، واشتراها بمائة ألف درهم^(٣)، فغلبت عليه، وألحيت عليه، وكانت شاعرة أيضاً تتقن الغناء ولها ألحان كثيرة^(٤). والواقع أن كبار الموسيقيين في بغداد قد تخرج على أيديهم الكثير من الأرقاء والجوارى، ومن أبرر هؤلاء الأرقاء عبد أسود يقال له زرياب، كان مطبوعاً على الماء، إبراهيم الموصلي، وربما حضر به مجلس الرشيد يغنى فيه، ثم انتقل إلى خدمة بني الأغلب في القيروان، وغضب عليه زيادة الله فعادر القيروان، وقصد الأندلس ودخل في خدمة الأمير عبد الرحمن بن الحكم، وقام صيته^(٥).

ومن الجوارى ظهرت شاعرات يتقن الشعر، وأول من اشتهر منهن بقول الشعر في الدولة العباسية عنان بيعت بمائة ألف درهم، ولم يزل فحول الشعراء في عصرها يلتقون بها في منزل مرلاها فيتفادونها الشعر وتنتصف منهن^(٦).

اشتغل الرقيق والجوارى عند ساداتهم في جمع الأعمال التي تدر عليهم الربح، فمنهم من عمل في زراعة أرض سيده. ومنهم من اشتغل بالصناعة، ومنهم من عمل في الحراسة أو في الخدمة المنزلية، على أن أهم الأعمال التي أسندت إليهم كانت الجندية، فقد اشترى الخليفة المعتصم الرقيق الأبيض، وأدخله في جيشه، وعنى به حتى بلغ عددهم بضعة آلاف^(٧).

(١) المصدر السابق ج ٤ ص ٢٦٩.

(٢) الأصفهاني، الأغاني ج ١ ص ١١٢.

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ١٦٢.

(٤) المصدر السابق ج ١ ص ١٩٤.

(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد ج ٤ ص ١١٠.

(٦) المصدر السابق ذكره ونفس الصفحة.

(٧) الطبري، تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ٢٢١ هـ.

قلنا إن الرقيق كثر في بغداد حتى كانت قصور الخلفاء والأمراء ورجال الدولة تضم الألوف منهم، ولقد رغب الإسلام في عتق العبيد. لذلك أقبل الناس على ذلك تقرباً إلى الله، فكانت ربطة ابنة أبي العباس تشتري رقيقاً للعتق^(١) وأوصى الخليفة المعتصم قبل وفاته بعتق ثمانية آلاف من مماليكه^(٢) بل كان العبد يستطيع أن يشتري حريته، بدفع قدر من المال.

أثر الجوارى تأثيراً كبيراً في ازدهار الفنون الجميلة في بغداد، لأن الناس حرصوا على أن تجمع الجوارى بين الجمال الخلقى والجمال الفنى، فأخذوا يعلمون الجوارى فنون الرقص واللس إلى غير ذلك من ضروب الفن، وسرعان ما لقن المغنون جواريتهم ألحانهم، وطريقة غنائهم^(٣).

وظهرت جوار اتقن كتابة الأشعار الرقيقة والمبارات اللطيفة تطريزاً على الثياب، وبعضهن أحب الأزهار وتغني بها لقللن فيها الناس^(٤).

وكان للجوارى فضل آخر، إذ أنهم - كما رأينا - من بلاد مختلفة روميات وتركيات وهنديات وصقلييات وغير ذلك، وحاولن إدخال عاداتهن، وأدى ذلك إلى انقسام الناس إلى طائفتين، طائفة تنعصب للقديم، وأخرى تفضل الجديد الذى أدخل عليه نغمات رومية أو تركية أو هندية أو نحو ذلك^(٥).

وقد تأثر الإنتاج الأدبى بكثرة الرقيق، فألف بعض الكتاب كتباً في تجارة الرقيق، وذكر أوصاف الرقيق من كل جنس وحاول بعضهم وضع قواعد للجمال، كما تكلم بعضهم فى الألوان وحسنها.

(١) ابن طباطبا القفوى فى الآداب السلطانية ص ٢١١.

(٢) متر: الحضارة الإسلامية ج ١ ص ٢٢٣.

(٣) أحمد أمين: ضحى الإسلام ج ١ ص ٩٤.

(٤) المصدر السابق ذكره.

(٥) محمد جمال سرور، تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ص ١٧٠.

(أ) القصور والدور في بغداد في العصر العباسي الأول:

عنى الخلفاء والأمراء العباسيون ومن يلوذ بهم من الوزراء والأبهاء والعلماء بتشييد القصور الفخمة في مدينة السلام، وبلغت درجة من الاتساع جعلتها أشبه بمدن كبيرة، واشتملت على دور واسعة وقاعات ذات قباب وأروقة وبساتين^(١).

وأول القصور التي شيدت في بغداد قصر باب الذهب ذي القبة الخضراء وارتفاعها ثمانون ذراعاً، ويمكن منها الإشراف على فواحي بغداد المختلفة وما يحيط بها من حدائق وبساتين، ويدت كأنها «إكليل من نور قد ثلثي على مدينة السلام»^(٢) وعلى رأس القبة ظهر تمثال على صورة فارس في يده رمح، وتحت القبة مجلس بمستوى سطح الأرض مساحته عشرة أمتار في مثلها. وفي صدر إيوان عظيم على الطراز العارسي، وكان يسمى قصر السلام^(٣).

على أن المنصور شيد قصراً آخر على أطراف بغداد وسماه الخلد نسبة إلى حدائقه الرائعة^(٤) ويقع على دجلة تجاه خراسان وتائق في بنائه وتجميله، وبنيت حوله الدور حتى أصبح القصر وما حوله من عمائر يعرف بالخلد^(٥) وكان بهذا القصر قباب بديعة الشكل وبأبوابه مسامير من ذهب وقضة «كما تخللتها العمدة الكثيرة الفخمة، التي زينها المنصور بالرسوم البديعة، والصور الجميلة وكان مجلسه في هذا القصر مفروشاً بالرخام يتوسطه قضبان ذهبية، وفرش بالبسط والديباج التي نقش عليها أبيات شعرية في مدح الخليفة، وفي المجلس كراسي فخمة مرصعة باللؤلؤ معدة لجلوس كبار رجال الدولة الذين يحضرون بالجلوس في

(١) محمد جمال سرور: تاريخ الحضرة الإسلامية في الشرق ص ١٧٥.

(٢) المنصور. حضرة الإسلام في دار السلام

John Glubb. The Empire of the Arabs p.243.

(٣) القنطري في الأدب السلطانية ص ٢٢١.

(٤) Hist. of the Arabs p. 293.

(٥) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج ١ ص ٧٥.

مجلس الخليفة، أما الخليفة نفسه فيجلس في قبة مفروشة بأفخر أنواع الحرير المنسوج بالذهب^(١).

هذا الخلفاء العباسيون حذو المنصور في العناية بتشيد القصور الفخمة فشيد الخليفة المهدي قصرأ بعيسى باذ شرقي بغداد، وسماء قصر السلامة^(٢).

كما شيد الرشيد قصرأ على دجلة تأتق في تجميله وزينه بأبهى معالم الزينة وأقام فيه أساطين الرخام^(٣) وقام الأمين بتوسيع قصر باب الذهب، بأن أضاف إليه مباني جديدة. وكانت قصور الخلافة تكتنفها حدائق غناء تبلغ مساحتها ما يعادل مسيرة عدة ساعات، ويطل القصر على ميدان فسيح يعرض فيه الجنود الذين كانت ثكناتهم تطل على الضفة اليسرى للنهر^(٤).

كذلك تعددت قصوراً أمراء البيت العباسي وتميزت بفخامة بنائها واستاعها مثال ذلك قصر عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس، وكان يقع على أحد فروع نهر دجله، وهو أول قصر بناء الهاشميون في أيام المنصور ببغداد، ولا أدل على سعته من أن المنصور زار عيسى بن علي في قصره ومعه أربعة آلاف رجل، وكان عيسى بن علي يقيم فيه ومعه عدة آلاف من عياله ومواليه^(٥).

وكان لكل هاشمية من بنات البيت العباسي قصر منفرد، وأعظم هذه القصور قصر السيدة زبيدة، وكانت هذه القصور تضم من الخدم والغلمان أعداداً كبيرة مما يدل على حياة الترف والنعيم وجمال السلطان بالبهاء والإشراف^(٦).

لم يقتصر تشيد القصور الفخمة على بني العباس، لكن سار على منوالهم الوزراء وكبار رجال الدولة وأهل الثراء، فشيد البرامكة في الجانب الشرقي من

(١) Hitti: Hist. of the Arabs p. 293.

(٢) الاصفهاني: الألفاني ج٢ ص ١٦٥.

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج٢ ص ٧٥.

(٤) سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب ص ٢٨٢-٢٨٤.

(٥) ياقوت: معجم البلدان ج٢ ص ١٠٧.

(٦) للذوق: حضرة الإسلام في دار السلام ص ١٧٣.

بغداد قصوراً منيفة لهم بالشماسية فكان جعفر بن يحيى البرمكى يحب حياة
 الدهر لذا نصحه والده يحيى بن خالد بأن يتخذ لنفسه قصراً فى الرصافة يجمع
 فيه ندماءه وقياته، ويقضى معهم أودت فراغه يبعداً عن الآخرين، لذلك شيد
 قصراً بالشماسية، وأحاطه بساتين دت أرياض خصبة مربعة وفرش به من أنواع
 الأشجار ما يأتي بأطيب الثمار، واتخذ لكل مقصورة فرش على مقدار أبنيتها،
 «وكان هذا القصر من أحسن القصور وأبهاها وأحب المواقع إليه وأشهاها لا
 طلاله على نهر دجلة» وكماله فى النظر واشتماله بالروض والشجر، وزين هذا
 القصر بالرسوم والزخارف البديعة من الداخل والخارج، وعليه صور من الجص
 المجسم^(١)، وقد حث يحيى بن خالد البرمكى ابنه الفضل وجعفر على البناء
 فقال: لا شئ أبقى ذكراً من البناء، فاتحلوا منه ما يبقى لكم ذكراً، فشيد الفضل
 قصراً كذلك^(٢).

ولقد اتصلت عمائر البرامكة فى حرم لا يخالطهم فيه أحد فى الشماسية
 بالرصافة، ويرز فيها قصر يحيى المعروف بقصر الطين، الذى أنفق فى بنائه أموالاً
 طائلة، وحى البرامكة هذا كان قريباً من قرية البردان، ولقد اشترى البرامكة
 الدور من أهل هذه القرية، ورهبوها لمن يلوذ بهم من أهل العلم والأدب^(٣).

ظل قصر جعفر بن يحيى - الذى سقت الإشارة إليه - قائماً حتى قتل الأمين
 وولى المأمون الخلافة. فأقام المأمون بمرور فى بداية خلافته وعهد إلى الحسن بن
 سهل بحكم العراق نيابة عنه، ونزل فى القصر الجعفرى وأقام به، ولما قدم
 المأمون من خراسان، وأقام فى بغداد، بقى الحسن بن سهل مقيماً فى القصر
 المشار إليه وقام بتوسيعه وكتب أسم الحسن عليه وعرف بالقصر الحسنى بدلاً من
 الجعفرى. على أن الحسن بن سهل خصص هذا القصر لابنته بوران بعد زواجها
 بالمأمون، وأضاف إليه المأمون عدداً من المباني المجاورة^(٤).

(١) الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص ٢١٧.

(٢) ابن السامى: نساء الخلفاء ص ٩٠-٧١.

(٣) المصدر السابق ذكره.

(٤) سيد أمير على: مختصر تاريخ العرب ص ٢٨٣-٢٨٤.

ويذكر ابن طيفور^(١) أن الفضل والحسن ابني سهل عنيا بالعمارة وكان لا يتزلان من المنازل إلا أطراف البلدان، وقد أوضح الحسن السبب في ذلك فقال -
الأطراف منازل الأشراف، يتناولن ما يريدون بالقلوة، ويتناولن ما يريدون بالحاجة.

عنى شعب بغداد بتشيد الدور الفخمة خصوصاً أهل اليسار منهم وكانت تشتمل في الغالب على طابقين ومبني بالجص والأجر، وتحاط بأسوار، وأقاموا فيها أحواض ماء، وزرعوا حولها بعض الأشجار والزرع، وأقاموا على الأحواض عمداً مزخرفة من الرخام، معقودة بقباب من فوقها، نقش عليها آيات قرآنية. أما العوام فكانت منازلهم بلا أسوار وتكون في الغالب من طابق واحد وتطل نوافذها على الشوارع مباشرة^(٢).

أخذ العباسيون من الفرس العمل على تخفيف حرارة الشمس صيفاً فكانوا يغطون بيوتهم بطبقة من الطين. تجدد في كل يوم، يقضى أهل المنزل وقت الظهيرة فيه ويرصف حول البيت كميات كبيرة من القصب^(٣).

كذلك يسر الخلفاء وصول المياه إلى القصور والدور فأنشأوا جداول في بغداد تأخذ من دجلة والفرات، وكانت الرحاب والشوارع تكتس وترش بأحسن نظام، ولم يكن يسمح قط بالقاء القاذورات على جانبي الشوارع والأزقة، وكانت الشوارع تضاء بالمصابيح ليلاً^(٤).

حرص أهل بغداد على تزيين مجالسهم بالفرش الفاخرة والأثاث وكانوا يكسون حيطان بيوتهم بالديباج، ويعنون بفرش الأشجار والأرهار في حدائق منازلهم، ويحلبون الرياحين من بلاد الهند.

والخلاصة أن مدينة بغداد عظم فيها العمران في العصر العباسي الأول حتى أن ضفتي دجلة أقيمت فيها القصور الفخمة والحدائق والمنتزهات البديعة والأسواق العامرة والحمامات الجميلة والمساجد الفخمة.

(١) فضائل بغداد: ص ٧٢

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ١٥٨هـ.

(٣) سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب ص ٢٨٣.

(٤) سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب ص ٢٨٢-٢٨١.

(ب) الموكب والأعياد والثواسم

فاقت مواكب العباسيين مواكب لأمويين، وتميزت بالروعة والبهاء، وكان رجال الحرس يصحبون الخليفة المهدي في مركبه مرتدين الأزياء الفخمة وبأيديهم الأسلحة، ولكن الرشيد والمأمون كثيراً ما كان يفضلان البساطة^(١).

تجلت روعة مواكب الخلفاء العباسيين في الجمع والأعياد، فكان مركب الخليفة يتقدمه الغلمان - أي رجال الحرس على اختلاف طبقاتهم - يحملون الأعلام والمقارع وآلات الموسيقى بلحلاء بالذهب، ثم يليهم أمراء البيت العباسي على الخيول المطهمة، ثم الخليفة مختصاً بجواداً باصع البياض وبين يديه الأشراف وكبار رجال الدولة، ويأتي بعدهم بقية الغلمان، وكان الخليفة في تلك المواكب يلبس القباء الأسود الذي يصل إلى الركبة، ويتمتطق بمنطقة مرصعة بالجواهر، ويتخذ عباءة سوداء ويلبس قلنسوة، وقد زينت بجوهرة ثمينة، ويده قضيب رسول الله والخاتم. وتتدلى على صدره سلسلة ذهبية مرصعة بالجواهر الثمينة. أما القباء فكان مفتوحاً عند الرقبة^(٢).

وتجلت مظاهر الخلفاء العباسيين الخاصة التي تدل على سيادتهم الروحية في مواكبهم المتجهة من بغداد إلى الحجاز للحج، فحينما خرج المنصور في إحدى السنوات للحج، اجتمع حشد كبير من أهل العراق وخراسان وغيرهم من المتجهين لأداء فريضة الحج في باب الكوفة، وكل معه إبله ومؤنثه ومناحه، واجتمع هناك فريق من الجند لحراسة الحجاج في حلهم وترحالهم، وصار الموكب وفي طليعته هو أوج تظللها قباب من الديباج، وفيها يقبم أمر الحج، ثم أذن للحج بالمسير، فضرب بوق إبلنا بركوب الخليفة، وجلس في هودج وفي يده قضيب الخلافة، وفي الأخرى الخاتم، وعليه جبه وشي من فوقها بردة خضراء للرسول، ويصاحبه جماعة من الأمراء ورجال الدولة، ومن خلفهم الإبل التي يركبها أهل بيته، ولهم حرس خاص بهم يحملون الرايات السوداء، فلما وقف

(١) سيد أمير علي: مختصر العرب ص ٣٨٦-٣٨٧.

(٢) سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب ص ٣٨٧.

الأمراء ورجال الدولة لوداع الخليفة، أوصاهم بالسهر على الرعية ثم نفخ في البوق لإيلائنا بالنفير، وزحف الحجيج وفي مقدمتهم هودج الخليفة^(١).

ويصف لنا ابن قتيبة^(٢) أحد مواكب الرشيد في رحلة الحج فيقول: لما اعتزم الرشيد الحج أمر بتمهيد طريق، الحج، وذلك بإزالة العوائق من الطريق، ولذلك حولت بعض القنوات - التي تعترض الطريق - عن مجراها، وأزيلت المرتفعات والآكام التي تعرقل الطريق، وردمت الخنادق، حتى صار الطريق من بغداد إلى مكة المكرمة ممهداً وأمر بعمل محطات في الطريق تبعد الواحدة عن الأخرى مسافة اثني عشر ميلاً، وفي كل محطة دار فرشت بالبسط الفاخرة، ونصبت لها جدار بالستور وصمكتها بأكسية الخبز الربيع الملون، وعلى كل فرسخ من الطريق أقيمت قبة مفروشة، وقد أحاط بها الأشجار التي تظللها، وأقيمت الرواقات الكثيفة بها أنواع الطعام والشراب والفاكهة، فكان يمشى ثلاثة أميال ثم ينزل في قبة أمامها رواق فينال راحته، ويصيب ما اشتهى من ألوان الطعام، واقفه في طريقه الوزراء والقواد وأمراء الأجناد والأعلام والفقهاء والعساكر قد صاروا منه بمنزل يحادونه في طريقه إذا نزل وكان في تواقفه يتابع أمور دولته، فيأتيه البريد بأخبار الأمصار والبلدان. ويصدر أوامره وتعليماته إلى بلدان دولته.

لم تقتصر مواكب الخلفاء على الخروج للصلاة أو الحج. وإنما اشتملت أيضاً رحلات الخليفة إلى الصيد. فحينما كان يخرج الخليفة المهدي للصيد يحاط بفرسان من الحرس متقلدين سيوفهم، يتبعهم عدد من الجند وطاقفة من الغلمان^(٣).

وكانت نساء الخلفاء يتنقلن في مواكب خاصة بهن، فالخيزران - أم الهادي والرشيد - كانت تنقل في مركب عظيم من الغلمان المزينة، والحيل عليها كسوة من الديباج والحلية الثقيلة من الفضة^(٤).

(١) الملوك: حضارة الإسلام في دار السلام من ٥٣-٥٥.

(٢) الإملاء والسياسة من ٢٢٣.

(٣) Gorní Ghabb the Empire of the Arabs p. 264.

(٤) الملوك: حضارة الإسلام في دار السلام من ٢٢.

أهتم الخلفاء العباسيون بالاحتفال بالأعياد في شئ كثير من الإبهة، والأعياد نوعان دينية وتشمل عيد الفطر وعيد الأضحى وأعياد كان يحتفل بها أهل العراق قبل الإسلام.

كان الخلفاء يحتفلون بعيدى الفطر والأضحى احتفالاً دينياً فيؤدون صلاة العيد في المسجد الجامع، ويؤمون الناس في الصلاة، ويلقون خطبة العيد عليهم، وفي ليالى هذا العيد تضاء الأنوار في المدينة، وفي العيد يركب الناس نهر دجلة في زوارق مطلية بأبهى الأصباغ والألوان، ويتللا قصر الخلافة بضوء باهر، ويلبس الناس العيالى السود، وتقام الزلائم لناس على مراتبهم^(١).

أما الأعياد التى كان يحتفل بها أهل العراق من قبل الإسلام مسيحية تماماً، وكان أهل بغداد مسيحيين ومسلمين يحتفلون في الأديرة بأعياد القديسين، ويوم أحد الشعانين عيد كبير للعامة، ويبدو أنه كان عيداً قديماً من أعياد الأشجار، والوصائف في هذا العيد يظهرون في قصر الخلافة مرتديات أفخر أنواع الثياب، وفي أعناقهن صلبان من ذهب، ويأيدنهن قلوب النخل وأغصان الزيتون^(٢).

وفي يوم عيد الفصح، يقصد النصارى دير سمالو شرقى بغداد بباب الشماسية على نهر المهدى، ويشاركهم احتفالهم أهل اللهو من المسلمين حيث تحف به المنتزهات ويحتفل النصارى بأحد أعيادهم في دير الثعالب بالجانب الغربى من بغداد، ويشاركهم المسلمون أيضاً، الاحتمال بهذا العيد، ويشمل المكان الذى يقع فيه الدير البساتين التى تضم أنواع الأشجار والرياحين، وهذا العيد كان في آخر صبت من أيلول. (سبتمبر)^(٣).

أما عيد دير أشعوى فكان في اليوم الثالث من تشرين الأول، (أكتوبر) وهو من الأيام العظيمة في بغداد، يجتمع أهلها فيه وخصوصاً أهل الطرب واللهو،

(١) المصدر السابق.

(٢) حمز: الحضارة الإسلامية ج٢ ص ٢٧٨.

(٣) الشلبسى: الديارات ص ٩

(٤) المصدر السابق ص ١٦.

ويتنافسون فيما يظهرونه هناك من ذبهم، ويباهون بما يعدونه لتصفهم، ويعمرون شطه وديره وحاناته ويضرب لذوى البسطة منهم الخيم والفساطيط، ويعزف القيان ويتمتع الناس هناك باللهو والطرب. ويكثر الغناء^(١).

وأعياد النصارى ببغداد يقسمونها على أعياد معروفة فالأحد الأول منه عيد دير العاصية، وهو على ميل من سمالو ولأحد الثانى دير الزريقية والأحد الثالث دير الزندورد والأحد الرابع دير درمالس، هذا وعيده أحسن عيد، يجتمع نصارى بغداد إليه، ولا يبقى أحد ممن يحب اللهو والطرب إلا تبعهم، ويقيم الناس فيه الأيام الطوال^(٢).

وكان هناك مواسم أخرى يحتفل بها العباسيون منها التوروز وهو أول أيام السنة عند الفرس، وأحد مواسمهم بمقدية، وقد نهى العرب أهل فارس بعد الفتح - عن الاحتفال بهذا العيد غير أن العباسيين فى عصرهم الأول أباحوا الاحتفال به^(٣)، وكان الناس يتبادلون فيه الهدايا، والخليفة يوزع على الناس أشياء منها صور مصنوعة من حديد^(٤).

ويأتى بعد عيد التوروز بمائة وأربعة وتسمى يوماً عيد المهرجان ويعتبر أول أيام الشتاء، وظل إلى جانب التوروز أكبر الأعياد، وكان الناس يتهادون فيه، وتخلع فى هذا العيد على القواد وكبار رجال الدولة ملابس الشتاء، وكان العامة يغيرون فيه الفرش والثياب، وكثيراً من الملابس، وكان هذا العيد يمتاز خاصة بأن الرعية يهدون فيه السلطان^(٥).

(ج) الموسيقى والغناء والمجاسن الاجتماعية

كانت مجالس الخلفاء العباسيين والأمراء والوزراء وكبار رجال الدولة تضم الندماء والمغنين، فالتندماء يقصون النواثر الأدبية ويرون الأشعار، أما المغنون

(١) الديارات للشافعى ص ٣٠.

(٢) المصدر السابق ص ٣.

(٣) متر: الخطبة الإسلامية ص ٢٨٧.

(٤) الجاحظ: التاج ص ١٤٦.

فيؤدون أغانيهم. وقد يكون التنديم مغيياً في نفس الوقت مثل إسحاق بن إبراهيم الموصلي.

وصناعة الغناء هي تلحين الأشعار والمرونة بتقطيع الأصوات على نسب منتظمة معروفة يوقع كل صوت منها توفيقاً عند قطعة، فيكون نغمة ثم تؤلف تلك النغم بعضها إلى بعض على نسب متعارفة فيلذ سماعها لأجل ذلك التناسب، وما يحدث عنه من الكيفية هي تلك الأصوات.

انتشر الغناء في بغداد في العصر العباسي الأول، وأقبل أهل بغداد عليه - على اختلاف مستوياتهم - بشغف شديد، وزاد من شغف الناس به، إقبال الكثير من الطرب واللهو من بلاد الإسلام على بغداد. وإقامتهم بها، وعرض فنهم فيها، وكان بعض الخلفاء في العصر العباسي الأول يتخرج من الظهور للمغنيين، فلما ولي المنصور الخلافة شغل بإقرار الأمور في دولته، والقضاء على أعدائها، لذلك لم يكن له في اللهو والطرب مجال، ولم ير في دار المنصور لهو ولا غناء، ولم يظهر لتنديم قط. وكان بيته وبين الستارة عشرون ذراعاً، وبين الستارة والندماء مثلها^(١). أما المهدي فكان في أول الأمر لا يحتجب عن الندماء، تشبهها بأبيه المنصور، وظل على ذلك نحواً من سنة، ثم ظهر لهم فأشار عليه أحد خاصته بأن يحتجب عنهم تشبهها بأبيه فرقص وقال: إني ثلثة في مشاهدة السرور، وفي الدنو ممن سرني. وكان محباً للندامة لا يترك جليسه إلا عن ضرورة^(٢) ومن أشهر ندمائه مروان ابن أبي حفصة، كان يأتي باب المهدي على يردون قيمته عشرة آلاف دينار والسرور واللجام المزينين، ولياسه الخبز والنوش ورائحة المسك والطيب تفوح منه^(٣).

والحقيقة أن المهدي شجع أهل بغداد على الإقبال على الغناء واللهو، إلا أنه رفض أن يتجاوزوا باللهو حدود ما أمر به الله، ولكن الأمور سارت على غير

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٢٣.

(٢) للصلح السابق ص ٣٤-٣٥.

(٣) الأصفهاني: الأغاني ج ١ ص ٧٧.

مارسهم، فقد شاع شعر بشار بن برد في عهد المهدي بما فيه من مجون وعبث وغزل مكشوف حتى ضج رجال بغداد من شعره، وشكوا إلى المهدي لأنهم خافوا على نساءهم وبناتهم، فتدخل المهدي ونهى بشار عن الغزل بالنساء^(١).

وكان الهادي يستمع إلى الغناء ويجزل عليه العطاء^(٢). أما الرشيد فقد شغف بمجالس الطرب والغناء، ولم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والفقهاء والقراء والقضاة والكتاب والسماء والمغنيين ما اجتمع على باب الرشيد، وكان يصل كل واحد منهم بأجزل صلة، ويرفعه إلا أعلى مرتبه، وكان فاضلاً شاعراً راوية للأخبار والآثار والأشعار^(٣) وكثيراً ما يتلثم فيحضر مجالس العلماء وهو لا يعرف، ولقد قسم الأيام والليالي قليلة للوزراء يذكروهم أمور الناس، ويشاورهم في أمور الدولة الداخلية والخارجية، وليلة الكتاب يتعقد أعمالهم، ويرتب الناس ما ظهر من صلاح أحوال المسلمين وليلة للقواد أمراء الأجناد يذكروهم أمر الأمصار ويسألهم عن الأخبار، ويذكروهم العلم ويدارهم الفقه - وكان من أعلمهم - وليلة للقراء والعباد يتصفح وجوههم. ويتعظ برويتهم، ويستمع لمواعظهم، ويرفق قلبه لكلامهم، وليلة لأهل بيته يأنس بهم ويأشرهم، وليلة يخلو فيها بنفسه لا يعلم أحد قرب أو بعد ما يصنع، ولا يشك أحد أنه يخلو فيها يريه بسأله خلاص نفسه وفكاك رقه^(٤).

وجعل الرشيد للمغنيين مراتب وطبقات، فكان إبراهيم الموصلي وابن جامع وزلزل في الطبقة الأولى، والطبقة الثانية سليم بن سلام وعمرو الغزال، والطبقة الثالثة أصحاب المآزف والطباير وعلى قدر ذلك كانت تخرج جوائزهم وصلاتهم، وإذا أجاد أحد المغنين والموسيقيين الأداء أمر الخليفة بترقيته إلى المرتبة التي تعلو مرتبته فرفى الرشيد برصوما الزامر من الطبقة الثانية إلى الطبقة

(١) أحمد أمين: ضحى الإسلام ج١ ص ١١١.

(٢) الجاحظ: التاج ص ٣٥.

(٣) ابن خزيمة: الإمامة والسياسة ج١ ص ٢٩٧.

(٤) الجاحظ: التاج ص ٤١.

الأولى بعد أن أطرب الرشيد^(٤).

ومن أبرز نداء الرشيد الشاعر أبو العتاهية، كان لا يفارق الرشيد في سفر ولا حضر، إلا في طريق الحج، وكان يجري عليه في كل سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز والصلوات، وقد أعجب بشعره اللطيف المعاني السهل الالفاظ، القليل التكلف، وكثر شعره في الرهد والأمثال^(٥).

ولا أوافق الأستاذ أحمد أمين فيما ذهب إليه^(٦) من أن أردباد ونفوذ الفرس في عهد الرشيد، وما عرف عنهم من ميل إلى اللهو و السرور، نشروا مع نفوذهم حياة الأكاسرة وما كان فيها من حضارة ولهو وعبث، لأن الغناء كان متشركاً قبل عهد الرشيد في بغداد، وفي دمشق إبان الحكم الأموي^(٧)، حقيقة يبلغ الترف والنعيم في بغداد في عهد الرشيد أقصاه، إلا أن الفضل في ذلك يرجع إلى ما بلغت الدولة العباسية من سعة وغنى واستقرار، ومساهمة عناصر السكان على اختلاف أجناسهم في ازدهار الحياة العامة^(٨).

وكان الأمين لا يحتج بسعة التسلط، ويجزل عليهم العطايا، ويقصى أجل أوقاته في الاستمتاع بضروب اللهو، وعلى الرغم من أن أخباره وضع أكثرها في عهد المأمون للإساءة إليه، والخط من قدره، فإننا لا نستطيع أن ننكر ميله إلى اللهو، يؤيد ذلك ما ذكره الصبري^(٩) من أن الأمين لما ولي الخلافة وجه إلى جميع البلدان في طلب الملهم، وضمهم إليه، وأجرى لهم الأرزاق، كما أمر ببناء مجالس لمتنزهاته، ومواضع لهو وخلوته بقصر الخلد وقصور اللهو، واقتنى الوحوش والسياب والطيور وأنفق أموالاً طائلة في بناء مفن على شكل بعض الحيوانات، كالأسد والفيل والعقاب وغير ذلك، وقسم ما في بيوت الأموال من الجواهر على جلسائه ومحدثيه^(١٠).

(١) الأصفهاني، الأعتى ج ١٠ ص ٦٣.

(٢) ضحى الإسلام ج ١ ص ١١١.

(٣) انظر: الإدارة المركزية للدولة الأموية ١٢٥.

(٤) Gohn Glubb The Empire of the Arabs P. 279.

(٥) تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ١٩٨ هـ.

(٦) ابن طباطبا: الفخرى في الأدب السلطانية ص ٨.

كانت شخصية المأمون تخالف شخصية الأمين، فقد عرف المأمون منذ حداثةه بالجهد والحرص على طلب العلم والتفقه فيه حتى أصبح حجة في المسائل العلمية والفلسفية، ولما قدم بغداد ظل بها ما يقرب من عشرين شهراً لا يستمع إلى للغناء، ثم سمعه من ولاء ستار مثبها بالرشيد، واستمر كذلك سبع سنين ثم ظهر للمغنين والملهين^(١).

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أشهر المغنين في بغداد في العصر العباسي الأول. وذكرنا أن إبراهيم الموصل كان من المقربين إلى الرشيد لبراعته في الغناء، وأصله فارسي، تعلم الغناء في الموصل، ثم صدر إلى الري وتعلم فيها أيضاً، وتعلم الغناء العربي والفارسي، وأعجب به كثير من الناس، والتفوا حوله حتى أن الرشيد قال: ما أعرف أحداً أكثر أصدقاء من إبراهيم^(٢) يصنع فيحسن، وكان بمزله خطيب أو شاعر أو كاتب يتقن مهنته، فضلاً عن أنه كان شاعراً وأديباً حتى قيل إن إبراهيم بستان فيه جميع الثمار^(٣) والرياحين^(٤).

ولم يكن الناس يعلمون الجوّاري الغناء، وأول من علمهم إبراهيم فإنه بلغ بالقيان كل مبلغ، ورفع من أقدارهم، وكان يصنع اللحن، ويكرره لتستوى له أجزاءه، وجوّاريه يضرين عليه، صنع إبراهيم الموصل تسعمائة لحن، تفوق في ثلاثمائة منها على جميع الموسيقيين المعاصرين والسابقين عليه^(٥).

لما ولي الرشيد الخلافة وجلس بعد فراغه من إحكام الأمور، دخل عليه المغنون، وأول من غناه إبراهيم الموصل، فشفق به، وكان الرشيد يعقد مجالس المغنين، ويطلب منهم أن يبرز كل واحد منهم ألحانه، وفصل إبراهيم الموصل على غيره، وبلغ من محبته لأغانيه، أنه كان يذهب إليه في منزله، ويطلب منه أن يغنيه من ألحانه^(٥) وكان لكل واحد من المغنين مذهب في الألحان التي

(١) الجاحظ: التاج ص ٤٣.

(٢) الأصفهاني: الأغاني ج ٥ ص ١٦٩.

(٣) ابن عبد ربه: العقد القرني ج ٤ ص ١٠٨.

(٤) الأصفهاني: الأغاني ج ٥ ص ٢٨٧.

(٥) المصدر السابق ج ٥ ص ٢٣٠.

يختارها لأغانيه، ولم يكن أحد يتصرف في مذاهب الأغاني مثل إبراهيم الموصلي
ابنه إسحاق وترك إبراهيم الموصلي بعد وفاته ثروة قدرت بأربعة وعشرين ألف
ألف درهم سوى أرزاقه الجارية وهي عشرة آلاف درهم وسوى غلات ضياعه^(١).

كذلك اشتهر في الغناء في بغداد إسحاق بن إبراهيم الموصلي والرشيد شغف
به لأنه كان على جانب كبير من المقدرة العلمية والأدبية والرواية، وكان شاعراً
مجيداً، وعلى ذلك نقول إنه لم يكن مغنياً بارعاً فحسب بل عالماً وأديباً وشاعراً.
ويذكر صاحب كتاب الأغاني أن إسحاق لم يكن له نظير في الغناء، فإنه لحق من
مضى فيه، ومسبق من بقي، فهو إمام أهل صناعته جميعاً ورأسهم ومعلمهم.
يعرف ذلك عنه الخاص والعام، وكان إسحاق الموصلي يحدث الرشيد بأحاديث
القيان والمغنين تارة وبأخبار العرب وأيامها تارة أخرى، ويتفوق على غيره من
المغنين في مجالس الغناء^(٢).

كان إسحاق رغم تفوقه في الغناء يحب أن يوصف بأنه مغنى وبلغ من
تقدير الخليفة المأمون له أن قال: لولا ما سبق على السنة الناس وشهر به عندهم
من الغناء لوليت القضاء فإنه أولى به وأحق، وقد روى الحديث ولقي أهله مثل
مالك بن أنس، وهو الذي صحح أجناس الغناء وطرقه، وميزه تمييزاً لم يقدر
عليه أحد قبله، ولا تعلق به أحد بعده، وصنف كتاباً في الألحان رتب فيه جميع
طرقه والأجناس، وجمع الغناء القديم والحلق به الغناء الحديث إلى آخر أيامه بما
في ذلك أقوال العلماء الأقدمين من اليونان مثل أفليدس وغيره من أهل العلم
بالموسيقى، وتفهم ما أقول في بحثه الأيام والليالي. ومن أقوال إسحاق في
الغناء: إن الإيقاع من الغناء بمنزلة العروض من أشعر، والمغنى الحاذق من تمكن
من أنفاسه، ولطف في اختلاصه وتفرغ في أجناسه^(٣).

وكان الخليفة الواثق من أكثر العلماء تقديراً لإسحاق، وكان إذا صنع شيئاً من

(١) المصدر السابق ج ٥ ص ١٦٤

(٢) الأصفهاني: الأغاني ج ٥ ص ٢٦٧-٢٦٩.

(٣) ابن خردادبه: مختارات من كتاب النور واللامى ص ٥٥.

الألحان عرضه على إسحاق فيصلحه، وقد إسحاق: ما وصلني أحد بمثل ما وصلني به الواصل^(١)، وبلغ من تقدير الواصل لإسحاق أنه قال: ما عناني إسحاق قط إلا ظننت أنه قد زيد في ملكي^(٢) وكان الواصل أعلم الخلفاء بالغناء، وصنع مائة لحن، وهو أحلق من غنى بضرب العود^(٣).

ومما لا شك فيه أن إسحاق الموصلي لم يبلغ ما بلغه من إتقان للغناء إلا بفضل دراسته لهذا الفن دراسة واعية فقد تتلمذ على أبيه، وعلى منصور دزل - المغنى المشهور - واتفق على تعليمه مائة ألف درهم^(٤). ونىغ فى الغناء - كما ذكرنا - ومجالس المندامة فكان لا يمل جلوسه مجلسه، ولا تجم الآذان حديثه، إن حدثك الهاك وإن ناظرك أعاذك، وإن غنيت أطربك.

تتلمذ فى مدرسة إبراهيم وإسحاق الموصلي الموسيقى كثير من هواة الغناء، نخص بالذكر منهم علويه، كان مغنياً حاذقاً صانعاً متقناً، برع فى الغناء، وغنى للأمين، وعرفت ألحانه بالجودة وحسن السبك^(٥).

وكذلك نىغ محمد الرف، وكان إسحاق الموصلي يرفع من قدره ويرره فى مجالس الخلفاء^(٦).

كذلك حرص كبار رجال الدولة على عقد الغناء، وتقريب المغنين لهم أسوة بالخلفاء، فكان جعفر بن يحيى البرمكى - وزير الرشيد - له ظرف وأدب غناء وضرب بالطبل، وكان يأخذ بأجزاء حظ من كل فن من الأدب، ويأمر الجوارى بالثول بين يديه فى الغناء، وتغنى فى مجالس لهوه وطربه^(٧)، وجعفر من ندماء

(١) المصدر السابق ج ٩ ص ٢٨٢.

(٢) المصدر السابق ج ٥ ص ٢٨١.

(٣) المصدر السابق ج ٩ ص ٢٩٣.

(٤) المصدر السابق ج ٥ ص ٢٦٩.

(٥) الأصفهاني: الأغاني ج ١٤ ص ١٧٨.

(٦) ابن خردادبة: مختارات من كتاب اللهو والملاهي ص ٥٥.

(٧) الأصفهاني: الأغاني ج ٥ ص ٤٠٧.

الرشيد، وكان أبوه ينهيه عن منادته، ويأمره بترك الأتس به، لأنه كان لا يأمن أن ترجع العقابة عليه منه^(١).

بلغ الشغف بالغناء في بغداد حداً جعل العمل به لا يقتصر على عامة الناس بل تجاوزته إلى أمراء البيت العباسي، وكان أولهم وأتقنهم صنعة في الغناء إبراهيم ابن المهدي، فإنه كان لا يستتر منه، وفي أول أمره كان يغني من وراء ستار إلا إذا جلس مع الرشيد والأمين من بعده في خلوه، ولما أئمنه المأمون ظهر بالغناء، وكان من أعلم الناس بالنغم والرثاء والإيقاعات وأطبعهم بالغناء وأحسنهم صوتاً، وهو من المعدودين في طيب الصوت خاصة، وأصبح الناس ينقسمون في الغناء طائفتين، فمن كان منهم على مذهب إسحاق وأصحابه يفضل الغناء القديم ويعظم الإقدام عليه^(٢) ومن اعترى بمذهب إبراهيم بن المهدي مثل مخارق إنما يغني الغناء الجديد^(٣). وكان أديباً شاعراً رابحاً للشعر وأيام العرب فصيحاً، فكان يعني طرباً لا تكسباً ويعني لعل لا يناسي^(٤) وقد شغف به الناس في بغداد حتى قال بعضهم: لم ير في جاهلية ولا إسلام أحسن عناءً من إبراهيم بن المهدي^(٥) وكان يحتفظ بدفاتر الغناء^(٦) ولجلت مقدرة إبراهيم في مجالس الخلقاء، فمجلس المأمون والمعتصم يعني المغنون، ويعني هو، فإذا ابتدا لم يبق من الغلمان وخدم القصر وأصحاب الصناعات والمهن الصغار والكبار أحد إلا ترك ما في يده، وقرب من أقرب موضع يمككه أن يسمعه فلا يزال مصغياً إليه لاهياً عما كان فيه ما دام يغني حتى إذا أمسك وتغنى غيره رجعوا إلى التشاغل بما كانوا فيه^(٦).

وكان صالح بن الرشيد يحتفظ بدفاتر للغناء، ويطرحها على جواريه وغلمانه

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ١٩٢ هـ.

(٢) الأصفهاني: الأغانى ج ١٠ ص ١١١.

(٣) الأصفهاني: الأغانى ج ١ ص ١٧٥.

(٤) المصدر السابق ج ١١ ص ١٢٦.

(٥) المصدر السابق ج ١١ ص ١٤٠.

(٦) المصدر السابق ج ١ ص ١٦٢.

لغناء ما يستجيده منها^(١) أما أبو عيسى الرشيد فكان من أحسن الناس غناء وقيل انتهى جمال ولد الخلافة إلى أولاد الرشيد، ومن أولاد الرشيد إلى محمد وأبي عيسى وكان أبو عيسى إذا عزم على الركوب جلس الناس له حتى يروه أكثر مما يجلسون للخلفاء^(٢). وكان عبد الله بن موسى الهادي من أضرب الناس بالعود وأحسنهم غناء^(٣).

واشتهر في الغناء بعض أميرات البيت لعباسي مثل عليه بنت المهدي، وأما أم ولد مغنية. وكانت من أحسن الناس وأظرفهم، تقول الشعر الجيد وتلحنه أحسن تلحين، ويبلغ من ولعها بالشعر أنها كانت ترسل من تختصه بالأشعار^(٤).

كذلك ظهر مغنون من كبار البيوتات في بغداد، فقد كان عبد الله بن العباس ابن الفضل بن الربيع مغنياً ماهراً وماجناً يعيش عيشة لهُو وخلاعة^(٥).

وعلى الرغم من انتشار الغناء في بغداد في مجالس الخلفاء والأمراء ورجال الدولة وسائر الأهلين إلا أنه لقي معارضة من العناصر المحافظة وخصوصاً أصحاب الطيالس من رجال الدين، بل إن الخلفاء الملحين للهو، كرهوا أن ينشأ أبناؤهم على محبته، فالخليفة المهدي عاقب ابن جامع والحرائي - المغنين - لأنقطاعهما إلى ولي هذه الهادي، ولما ولي هذا الخليفة استدعى إليه ابن جامع، وضعه إلى مجلس منادته^(٦).

وظهر ندباء انقطعوا لبعض الأسر الكبيرة مثل الفضل الرقاشي الذي اقتصر على انشاد البرامكة الشعر دون غيرهم، وكانوا يفضلونه على سائر الشعراء، ويروون أولادهم أشعاره، ويدونونها تعصباً له، وحفظاً لخدمته، وتنويراً بإسمه،

(١) المصدر السابق ج ٧ ص ١٠٦.

(٢) المصدر السابق ج ١٠ ص ١٨٧.

(٣) المصدر السابق ج ١٠ ص ١٩٤.

(٤) المصدر السابق ج ١١ ص ١٦٢.

(٥) الأصفهاني: الأغاني ج ١٠ ص ١٩٤.

(٦) الأصفهاني: الأغاني ج ٦ ص ٢٩٢.

وتشجيعاً له على الاستمرار في نشاطه فحفظ ذلك لهم، فلما نكبوا صار إليهم في حبسهم، وأقام معهم بقية أيامهم ينشدون ويسامرون، ثم رثاهم فأكثر في الإشادة بمحاسنهم وجودهم ومآثرهم، فأذاع منها ما كان مستوراً^(١).

ولقد رأينا أن الجوارى في بغداد اشتغلن بالغناء، ويرز منهن كثيرات مثل عائكة، وبلغ من شهرتها وحسن غنائها أن المغنيين في مجلس الرشيد كانوا يغنون من ألحانها، وكانت عائكة تتقن الضرب بالعود، ومن أحسن المغنيات غناءً وأروجهن، وكان مخارق مملوكاً لعائكة، وهي علمته للغناء، ودربه على استعمال العود ثم باعته، فانتقل من رجل إلى رجل حتى صار إلى الرشيد وكان حسن الأداء طيب الصوت^(٢).

وكانت متيم صفراء مولدة من مولدات البصرة، وبها نشأت وتأديت وغنت، وانحلت عن إسحاق الموصلي وعن أبيه وعن المغنية المشهورة بزل، وبلغ من شهرتها بالغناء أن الخليفة المأمون كان يبحث إليها فتجيئه وتغنيه، فلما انتقل الخليفة المعتصم إلى سامراء أرسل إليها وأمر لها في دار سميت اللعشقي، ولكنها كانت ترفض الابتعاد عن بغداد طويلاً، فكانت تستأذنه في الذهاب إلى بغداد فيأذن لها، وتقضى بمدينة السلام بعض الوقت ثم تعود إلى سامراء^(٣).

من هذا نرى أن الموسيقى والغناء انتشرا في بغداد انتشاراً واسعاً وأقبل كثير من الناس عليهما من طبقات مختلفة حتى أن شعر الشعراء كان إلا التزر اليسير، داعراً، ولم يقاس أهل بغداد من البؤس والشقاء إلا إبان الفتنة بين الأمين^(٤) والمأمون.

اهتم الخلفاء العباسيون بعقد مجالس الغناء بمظاهر البذخ والروعة فيتخذ

(١) المصدر السابق ج٢ ص ٢٤٥.

(٢) المصدر السابق ج٢ ص ٢٦٠-٢٦٢.

(٣) الأصفهاني: الأغاني ج٧ ص ٢٩٢-٢٩٣.

(٤) سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب ص ٢٨٧.

الخليفة مجلسه في صدر الإيوان في القصر وبين يديه الحرس في أبواب راحية، ويقف حوله عن يمين ويسار كبار رجال الدولة وكثيراً ما كانت الأميرات وسيدات الطبقة الراقية في بغداد يشتركن في حفلات موسيقية خاصة، وأحياناً يحضر نساء قصر الخلافة مجلس غناء الخليفة. وفي هذه الحالة يجلسن خلف الستارة^(١) وكان مجلس الرشيد في بعض الأحيان يضم ألف جارية في أحسن رى من كل نوع من أنواع الثياب، يتخذن الخلى والجواهر^(٢).

كذلك عني كبار رجال الدولة وسائر أفراد الشعب بمقعد مجالس للطرب والغناء، وبعض هذه المجالس بمقعد في الحدائق والبساتين يجتمع فيها أهل الطرب، ويقضى الناس وقتاً ممتعاً: بل كان الملاحون يغنون في الزلازل، وأعجب الرشيد بغنائهم، وأمر الشعراء بأن يقولوا شعراً يغنيه هؤلاء الملاحون^(٣) وبالجملية كانت أيام الرشيد من حسناتها كأنها أعراس. وكان الأمين بمقعد مجالس غنائه في قبة اتخذ لها فراشاً مبطناً بأندع الحرير والدياج المنسوج بالذهب^(٤).

قلنا إن حياة الناس في بغداد في الفترة التي حدثت بين الأمين والمأمون قد عمها البؤس والشقاء حتى خربت الديار، وحقت الآثار، وارتفعت الأسعار، وقتل الأخ أخاه والإبن أباه وهدمت المنازل، وأحرقت الديار وانتهبت الأموال، فلما عادت السكينة، وعم الأمن والسلام ربوع بغداد، شعر الناس أنهم في حاجة أن يعرضوا ما فقدوا، فلهوا، وأفرطوا في اللهو والطرب^(٥).

وقد لعب المال دوراً كبيراً في ازدهار الفنون في بغداد، فتنوعت مصادر الثروة، والمال خير وسيلة لاردهار اللهو وسير جنباً إلى جنب مع الترف، فيكون

(١) الأصفهاني: الأغاني ج٢ ص ٢١٠.

(٢) المصدر السابق ج١٠ ص ١٦٢.

(٣) المصدر السابق ج٤ ص ١٠٢.

(٤) المسعودي: مروج الذهب ج٢ ص ٣٠٩.

(٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ١٩٨ هـ.

الترف حيث يكون المال وكل نابغ في فن أو مذهب يذهب إلى بغداد لعرض شعره أو غنائه، فقصدها أناس كثيرون من بلدان مختلفة من بلاد الفرس وبلاد الهند والروم وغيرهم. ومن هؤلاء كثيرون تبغوا في مجالات مختلفة في اللهو والغناء، ووجدوا الحياة في بغداد حقلاً خصباً تبرز فيه مواهبهم، ويقدرون فنهم أحسن تقدير، فعرضت كل أمة منها أنواع حضارتها فكان في ذلك معرض عام، وأخذ أهل بغداد من كل لون من ألوان الفنون بحظ وافر، وأخذت البلاد الأخرى تقتبس الفن من بغداد^(١).

على أن ما تحدثنا عنه من شغف أهل بغداد باللهو وللمجون لا يمنع من إبراز حقيقة، أن هذا اللهو لم يكر إلا جانباً من حياة الناس فقط المعقدة حقيقة كثر الغناء والطرب في بغداد لكن الناس جميعاً لم يكن كلهم يحيون هذه الحياة، ولا يخيب عن أذهاننا أن الأخبار التي أوردها صاحب كتاب الأغاني في كتابه لا تخلو من مبالغة ظاهرة ليكسب من وراء أخباره مهالاً أو جاهاً أو تشويقاً لسامعيه. وكان هناك تفاوت كبير بين طبقات الناس لذلك انقسم السكان في بغداد إلى فريقين، فرقة يتمثل فيها نعمة اللهو، وفرقة تفضل الزهد، ويمثل الأولى أبو نواس، والثانية أبو العتاهية، ذلك أن قوماً يسوا من الغنى وراو أن نفوسهم لا تطاوعهم في القرب من ذوى الجاه، أو حاولوا ذلك وفشلوا، فلبجأوا إلى القناعة يروضون أنفسهم عليها، وكثيرون وهبوا تدينوا^(٢).

على كل حال أدى الإفراط في اللهو إلى ظهور عناصر مفسدة للإخلاق في بغداد، ذلك أن فساق الحرية والبطار الذين كانوا ببغداد والكرخ آذوا الناس إيذاءً شديداً، وأظهروا الفسق وقطع الطريق، وأخذوا النساء والفلمن علانية من الطرق فكانوا يخطفون الطفل من أبيه ولا يردوه إليه إلا إذا أدى لهم كثيراً من المال، وكانوا يجتمعون فيأتون القرى ويرهبون أهلها، ويأخذون ما استطاعوا من ممتلكاتهم لا سلطان يمنعهم ولا يقدر على ذلك، لأن أمير بغداد، كان يعتر بهم،

(١) أحمد أمين: فصحى الإسلام ج ١ ص ١٢٥.

(٢) أحمد أمين: فصحى الإسلام ج ١ ص ١٢٥-١٢٦.

وكانوا بطائفة، ولا يمنعهم من فسق يرتكبونه، وكان الناس منهم في بلاء عظيم،
وارداد نهبهم لقرى بغداد.

ولم يستجب أمير بغداد لنداء أهلها بحمايتهم، وظلت الفوضى سائدة ببغداد
لذلك لم يكن هناك بد من أن يعتمد أهل بغداد على أنفسهم في حماية ممتلكاتهم
ونسائهم وأبنائهم: فقام صلحاء كل ريف وكل درب. وتدارسوا وسائل القضاء
على المفسدين، ونهض نفر منهم يدعوا الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر والعمل بكتاب الله وسنة رسوله، وتزعم هذه الحركة سهل بن سلامة
الأنصاري الذي علق مصحفاً في عنقه، واجتمع حوله الناس، ويأيموه على ما
اعتزم عليه «وطاف ببغداد وأسواقها وأرياضها وطرقها يتصدى للشطار، ويقاتل
المفسدين»^(١).

نخرج من ذلك إلى القول بأن الحياة في بغداد لم تكن كلها مجون ولهو كما
يصور ذلك بعض الأدباء، بل كان اللهو والطرب جانباً من جوانب الحياة
الاجتماعية، وعرف طريقه في قصور الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة وفي
بيوت ثمار الرقيق والقيان وغير ذلك «وكره فريق من أهل بغداد هذا الترع من
الحياة واستكروه، وعكفوا على المساجد يقضون فيها أوقات فراغهم حيث
يستمعون إلى الفقهاء ورجال العلم، ويستفيدون منهم، وفريق من الناس رهد في
الدنيا والحياة المترفة التي نعم بها الكثير من البغداديين، ولا يغيب عن الأذهان أن
طبقة رجال الدين والأدب كانت تأتي في المحل الأول من الأهمية والإعتبار قبل
طبقة المغنيين والموسيقين، ومن ثم نظر الناس إلى رجال الدين ونظرة الأدب
تختلف كل الاختلاف عن نظرتهم إلى أهل اللهو والطرب، بل ترى بعض
الفقهاء يتجنب الحديث مع الموسيقين والمغنيين، ويتحرج منهم، إسحاق الموصلي
يكره أن يوصف بأنه مغنى.

وبهذه المناسبة نذكر أن بعض الكتاب قد أفرط في وصف حياة الرشيد كانت

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ٢٠١ هـ.

في معظمها لهو وطرب، وهؤلاء الكتاب اعتمدوا فيما كتبوه على كتب الأدب التي لا تخلو من مبالغة - كما - ذكرنا - ذلك أن الرشيد كان يغزو سنة ويحج سنة في الغالب، ويقود الجيوش للقضاء على الفتن الداخلية وكان رجلاً عملياً في حياته، وأبعد ما يكون عن الاستهتار، بدليل أنه لم يقبل أن يبقى مسلوب السلطة، وأمور الدولة في أيدي البرامكة، لذا تراءى ينكل بهم ويسترد سلطانه، ولو كان - كما صورته بعض الكتاب - لعكف على اللهو والطرق - تاركاً أمور الدولة في أيدي البرامكة. ولم تكن حياة اللهو والطرب سوى جانباً من حياة الرشيد، ولم تحل بينه وبين نادية مهماته وأعبائه.

على كل حال تطوع بعض الرجال في بغداد للقضاء على المفاسد، فأمروا الناس بالمعروف، ونهوه عن المنكر، فسالم بن سالم البلخي لم يخش في دعوته أحد، حتى أنه أنكر على الرشيد رشح عليه، فحبسه وقيد^(١) كذلك نقم أسد ابن يزيد على الأمين لعبه وتهاونه في أمر الرعية، وارتكابه للمصيد وغيره في هذا الوقت^(٢).



وينبغي أن نشير هنا إلى أن المنصور - مؤسس الدولة العباسية لم يهتم بمجالس اللهو والطرب لأن شغله الشاغل انحصر في توطيد الأمن والنظام في ريع دولته، فكان في أول النهار يتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والولايات والعزل والنظر في مصالح العامة، فإذا صلى الظهر دخل منزله واستراح إلى العصر، فإذا صلاه جلس لأهل بيته، ونظر في مصالحهم الخاصة، فإذا صلى العشاء نظر في الكتب والرسائل الواردة من الآفاق، وجلس عنده من يسامره إلى ثلث الليل، ثم يقوم إلى أهله فينام في فراشه إلى الثلث الأخير، ليقوم في

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ج١ ص ١٥٦.

(٢) للمصدر السابق ج ١٠ ص ٢٣٥.

وضوئه وصلاته حتى يضجر الصباح ثم يخرج فيصلي بالناس، ثم يدخل فيجلس في إيوانه^(١).

أما الرشيد فقد اجتمع له من الجلد والهزل ما لم يجتمع لغيره من بعده، كان أبو يوسف قاضيه، والبرامكة وذرعه، وحاجبه الفضل بن الربيع من أنبه الناس وأشدهم تعاطفاً، وشاعره مروان بن أبي حفصة، ونديمه عمر بن العباس، ومغنيه إبراهيم الموصلي، ومضحكه ابن أبي مريم، ودامره برصوما، وزوجته أم جعفر - زبيدة - وكانت أرغب الناس في كل خير وأسرعهم إلى كل بر ومعروف^(٢).

أما الأمين فكان ينفق على مجالسه أموالاً جزيلاً، وتفرش بأنواع الحرير، والأنية من ذهب وفضة، كان كثير الأدب فصيحا يقول الشعر، ويعطى عليه الجوائز الكثيرة، وكان شاعره أبو نولس، وقدم قال فيه مدائح حسائناً، وقد وجدته مسجوناً في حبس الرشيد، فأطلقه، وأطلق له عمالاً، وجعله من ندمائه^(٣).

كان الناس يقصون أوقات قرائتهم في بغداد في الاستماع إلى الحكايات القصيرة، والنوادر الهزلية والأحاديث التي تتجلى فيها اللباقة والذكاء وذلك في المجالس الخاصة، أما للمجالس العامة فكان يجتمع فيها كثير من الناس يستمعون إلى القصص يروى لهم الحكايات الطوال^(٤).

ومن أحسن من حدث الرشيد، ابن عطاء الليث، صاحب أخبار وأسمار فضلاً عن علمه بالأنساب، وكان من أطرف الناس وأحلامهم^(٥).

ومن جلساء الرشيد ابن أبي مريم وكان مضحكاً محدثاً فكياً، حتى أن الرشيد

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١ ص ٣٢٥.

(٢) المصدر السابق ج ١٠ ص ٢١٧.

(٣) المصدر السابق ج ١٠ ص ٢٤٢.

(٤) ميز: الحضرة الإسلامية ج ٢ ص ٢٤٦.

(٥) الجاحظ: البيان والتبيين ج ١ ص ٣٤٤.

ففضل أن يقضى معه الكثير من الأوقات للاستمتاع بحديثه، لأنه جمع المعرفة بأخبار أهل الحجاز وألقاب الأشراف وأحوال اللجان، وبلغ من إعجاب الرشيد به أن أنزله في بعض غرف قصره^(١).

ومن أبرز ندماء الرشيد الأصمعي وهو من أعلم الناس بالنواحر والأخبار وأيام الناس، مشهور له بصدق الرواية، أقام في حياته في البادية أياماً طوالاً، يستطلع فيها عادات العرب ويستكشف أخبارهم، ويستنطق آثارهم، وكان يسوق أخباره في كلام رشيق بليغ حتى فاق غيره في النواذر^(٢) أما أبو نواس فكان من محدثي الرشيد ومسامريه، له كلام طريف في المجون والخلاعة، وحوادث تدل على خفة روحه^(٣).

وكان أبو دلامة صاحب نواذر وحكايات وأدب ونظم، وهو من أصل حبشي، نبغ في أيام بني العباس، وتلقط إلى المنصور والمهدي وغيرهما وكانوا يقدمونه ويفضلونه، ويستطيون نواذره، وكان يضحك المنصور وينشده الأشعار ويمدحه، وما يجدر ذكره أن المهدي خرج وعلي بن سليمان للصيد، ومعهما أبو دلامة فرأى المهدي ظيياً فأصابه، ورمى علي بن سليمان ظيياً فأخطاه، وأصاب كليلاً، فقال أبو دلامة شعراً:

قد رمى المهدي ظيياً شك بالسهم فزاده

وعلي بن سليمان رمى كلياً فصاده

فهنيئاً لكما كل امرئ يأكل زاده^(٤).

فأمر له المهدي بثلاثين ألف درهم، وتوفي أبو دلامة سنة ١٦١ هـ^(٥) ومن

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ١٩٢ هـ.

(٢) ابن خلكان: وفیات الأعيان ج١ ص ٣١٤.

(٣) المصدر السابق ج١ ص ٣٧٣.

(٤) مروج الذهب ج٢ ص ٥٥٥.

(٥) ابن خلكان: وفیات الأعيان ج١ ص ٦١٣.

ومسائل التسلية في بغداد لعب الشطرنج. وقد أدخلها الرشيد وانتشرت هذه التسلية بين أهل بغداد، وكان يلعبون بها على رقعة مربعة حمراء من آدم، والرشيد أول خليفة لعب بالصولجان في الميدان، ورمى بالنشاب، ولعب بالكرة والطباطب وقرب إليه الخلاق في ذلك، وقرب إليه هواة الشطرنج والنرد وأجرى عليهم الرزق، فسمى الناس أيامه لنضارتها وكثرة خيرها خصبها أيام العروس^(١).

ويذكر المسعودي^(٢) أن الخليفة المأمون كان من هواة لعب الشطرنج وقد وجه اللوم إلى الذين يلعبون معه، لأنهم كانوا يتوقرون بين يديه، وقال لهم: إن الشطرنج لا يلعب مع الهية.

كذلك انتشر لعب النرد في بغداد، ويلعب على رقعة بها اثني عشر أو أربعة وعشرون منزلاً بثلاثين حجر أو فصين. وشبه بعض الحكماء رقعة النرد بالأرض الممهدة لساكنها، ومنارل الرقعة وهي أربعة وعشرون بساعات الليل والنهار، وحجارتها وهي ثلاثون بعدد أيام الشهر، واختلاف ألوانها باختلاف بياض النهار ومرداد الليل^(٣).

كان سباق الليل من أجمل أنواع التسلية عند الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة في بغداد في العصر العباسي الأول. وبلغ من شغفهم به وتقديرهم له أن للسابق كان يأخذ حصان المسبوق، واشترط الفقهاء في هذه الرياضة التي أباحوها ألا تلعب طلباً للمال. وتنافس هواة سباق الخيل بتربية خيل السباحة. وجدير بالذكر أن الرشيد كان يسابق بالخيول فجاءه فرس يقال له المشمر سابقاً، والرشيد أعجبه ذلك الفرس، فأمر الشعراء أن يقولوا فيه شعراً، فقال أبو العتاهية^(٤):

جاء المشمر والأفراس يقدمها - هوتاً على رسله منها وما انبهرا.

(١) للمسعودي: مروج الذهب ج ٢ ص ٥٥٥.

(٢) مروج الذهب ج ٢ ص ٥٥٦.

(٣) منز. الحضارة الإسلامية ج ٢ ص ٢٥٣.

(٤) الأصفهاني: الأغاني ج ١ ص ٣١٢.

ومن وسائل التسلية للصيد. وكان الخليفة المهدي شغوفاً بالصيد ومطاردة الطيأ، وكان يقوم برحلات منظمة لهذا الغرض، يصحبه فرسان يتقلدون السيوف، ويتبعهم طائفة الجند والعمان ويسير الخليفة محاذياً لنهر دجلة اوتباداً للخضرة التي تجنح إليها الطيور، وتجذب إليها الغزلان، وقد عني غيره من الخلفاء والأمراء بالصيد حتى أنهم أخذوا يصنعون نصال سهامهم من الذهب كما عثوا باستخدام الصقر وغيره في الصيد، وحرصوا كذلك على تربية الكلاب السريعة العدو^(١) وكان الأمين يصارع الأسود ويخرج إلى الصيد ومعه أصحاب اللبايد والحراب على البغال، وهم الذين كانوا يصطادون السباع.

ووجد المتسكون بتعاليم الدين والمعادين لمجالس اللهو والطرب في الإمام أحمد بن حنبل ضالتهم المنشودة، فلتفروا حوله واعتنقوا مذهبه، ومن ها ظهرت في بغداد طائفة الخبابة التي اشتدت وطأتها على الناس، فكروا آلات الموسيقى، وضيّقوا الخناق على أهل الطرب واللهوا والعابثين والخارجين على الدين وتجولوا في شوارع بغداد يأمرؤن الناس بالمعروف وينهون عن المنكر.

(ج) المرأة في بغداد وأثرها في المجتمع

شاع الحجاب بين نساء بغداد الحرائر ومع ذلك لم ينزلن عن الحياة العامة، بل شاركن في أمورها بنصيب كبير. على أن الجوارى كان لهن نشاط ملموس في الحياة الإجتماعية أكثر من الحرائر، ذلك أن الناس حرصوا على حجاب الحرائر، أما الجوارى فكان الحجاب لا يفرض عليهن ما لم يتجبن، وقد يتزوج الرجل والمرأة الحرة دون أن يراها، وإذا أراد الرجل أن يستمع إلى الغناء أو يلهو يذهب إلى بيوت تجار الرقيق حيث القيان يقيمن بالغناء له دون حرج.

لذلك كان من الطبيعي أن يلقن الأدباء والشعراء أدبهن وشعرهم للجوارى دون الحرائر. فلا عزو أن يحرص الرجال على تعليم الجوارى أكثر من حرصهم على تعليم الحرائر^(٢).

(١) التميمي: مروج الذهب ج٢ ص ٢٤٦.

(٢) أحمد أمين: فصحى الإسلام ج١ ص ٩٨.

وأدى اهتمام رجال بغداد بالجوارى إلى ظهور تنافس بين الخرائر والجوارى، فكانت أم موسى الحميرية - زوجة المنصور - اشترطت عليه ألا يتخذ سرية، وكتبت عليه بذلك كتاباً أكدت عليه فيه رغبتها هذه، وأشهدت عليه الشهود والثقات المعتدلين.

على أن الحجاب الذى فرض على المرأة الحرة فى بغداد لم يمنعها من ممارسة النشاط فى الحياة العامة، فكانت ابنة الخليفة المهدي تسير راكبة بين يديه على هيئة الجندي^(١).

ومن أبرز سيدات بغداد فى العصر الذى نكتب عنه الخيزران زوجة الخليفة المهدي وأم الهادي والرشيد، فقد أتاحت لها الفرصة لإظهار موهبتها وفرض إرادتها^(٢).

رأى نفوذ الخيزران فى بغداد، وتدخلت فى أمور الدولة السياسية وشؤون الحكم، وحرص المهدي على رفع مستواها الاجتماعى، فأمرها بأن تلزم رتب بنت سليمان بن على بن عبد الله بن العباس، لتقتبس من آدابها، وتأخذ من أخلاقها فهى على حد قول المهدي «عجوز لنا قد أدركت أوالدنا»^(٣) والواقع أنها كانت جليلة القدر مثقفة واسعة الإطلاع.

وكان الهادي كثير الطاعة لأمه الخيزران مجيب لها فيما تسأل عن حوائج الناس، ومواكب ذوى الحاجات لا تخلو من بابها. على أن تدخلها فى شؤون الدولة واستبدادها بالأمر والنهى - كما كان حالها أيام المهدي أعضب الهادي، فنهاها بقوله: «إنه ليس من قدر النساء الاعتراض فى أمر الملك» وأمرها ألا تستمع للذوى الحاجات، وألا تأذن لأحد برفع مطلبه إليها، ونصحها بالتفرغ للصلاة والتسبيح^(٤).

(١) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ١٦٩هـ.

John Glubb: The Empire of the Arabs. p. 265.

(٢) المسعودى: مروج الذهب ج ٢ ص ٢٤٨.

(٣) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك، حوادث سنة ١٧٠هـ.

على أن الخيزران لم تستجب لمطلب ابنها الهادي، فاستمرت في مزاوله نشاطها في الحياة العامة، فلما اعتزم الهادي خلع أخيه هارون من ولاية العهد ومبايعة ابنه بدلاً منه، تصدت له الخيزران، وانضم إليها يحيى بن خالد بن برمك في دحض محاولة الهادي^(١).

ظل نفوذ الخيزران في عهد الرشيد على ما كان عليه في عهد أخيه الهادي وأبيه المهدي. فكان يحيى بن خالد بن برمك - وزير الرشيد - ويأخذ برأيها وتوفيت في عهد الرشيد، وقدرت ثروتها يوم وفاتها بمائة ألف ألف وستين ألف ألف درهم، ووجد في منزلها من ثياب اللوشى ١٨ ألف^(٢).

ومن ذلك نرى أن الخليفة المهدي قد أتاح للمرأة فرصة إظهار مواهبها، ولم يعزلها عن الحياة العامة، ولا أدل على ذلك من أن أخته عليه ذاعت شهرتها على اعتبار أنها من أرباب الفنون الرفيعة، وزاد في شهرتها ولعها بالشعر والغناء والأدب، وبلغت في الغناء درجة كبيرة من الاتقان، بل وضعت الحائناً قيمه، وكانت واسعة الاطلاع، ومن أحسن النساء وأظرفهن ومما شجعها على الغناء إقبال أخيها إبراهيم بن المهدي وأخته وتزوجت سنة ٢١٠هـ. وبلغ من تفوقها الأدبي أنها كانت تراسل بالشعر^(٣). واشتغال هذه السيدة بالغناء دليل على أن المرأة كانت تتاح لها الفرصة لإبراز مواهبها الأدبية والفنية.

ومن أشهر نساء بغداد في العصر العباسي الأول السيدة زبيدة أم جعفر - زوجة الرشيد - ساهمت مع زوجها مساهمة كبيرة في إصلاح أحوال البلاد وتخفيف أعباء الحياة عن الأهليين، ومن أفضالها أنها سقت أهل مكة المكرمة الماء، بعد أن كانت القرية من الماء عندهم بدينار، فأسالت الماء عشرة أميال من المرتفعات القريبة من مكة حتى نقلته من الحل إلى الحرام، وكان لها بجوار الكعبة دار عرفت بأسمها، وقامت بإصلاحات جليلة في المدينة المنورة، ومهدت طريق الحج

(١) الأغاني ج ٨ ص ٢٣٤.

(٢) للشعوبي: مروج الذهب ج ٢ ص ٥١٧.

(٣) الأصفهاني: الأغاني ج ١٠ ص ١٦٢.

بين بغداد ومكة، وأقامت البرك والآبار والمنازل، ولولا أصلاحاتها الجليلة لتعذر المسير في هذا الطريق^(١).

وعرف عنها الخير والفضل على أهل العلم والبر بالفقراء والمساكين وحرصت على تربية أولادها وجواربها تربية دينية، فكان لها مائة جارية يحفظن القرآن، ولكل واحدة ورد عشر القرآن، ويسمع في قصرها كدوى النحل من قراءة القرآن^(٢).

لعبت السيدة زبيدة أم جعفر دوراً كبيراً في تطور الحياة السياسية في بغداد فيذكر المسعودي^(٣) أنها مازالت بالرشيذ حتى أقنعت بأخذ البيعة لابنها الأمين قبل المأمون على الرغم من أن المأمون أكبر سناً من الأمين، فوافق الرشيد وهو يعلم أن المأمون أكثر كفاءة من المأمون، بدليل أن الرشيد قال لها: لبس ابنك أهلاً للخلافة ولا يصلح للرعايا^(٤).

ولما ولي الأمين الخلافة، ونشبت الفتنة بينه وبين أخيه المأمون شجعت السيدة زبيدة أم جعفر قواد بغداد على الدفاع عن الحاضرة الإسلامية الكبرى، وقهر المأمون، فدفعته إلى علي بن عيسى بن ماهان - قائد جيش الأمين - يقيد، وطلبت منه أن يقيد المأمون به، ولكن لا يعتف عليه في السير حتى ولو أساء إليه^(٥).

وكانت تحيا حياة مترفة في قصرها المنيف، وتمتلك ثروة ضخمة، وهي أول من اتخذ الأكل من الذهب والفضة المكلفة بالجواهر وصنعت لها ثياب من الوشي بلغ ثمن الثوب منه خمسين ألف دينار، واتخذت الخدم والجواري يذهبون على الدواب في حوائجها، وهي أول من اتخذ القباب من الفضة والأبنوس والعنبدل

(١) للمسعودي: مروج الذهب ج٢ ص ٥٥٦.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٢ ص ٧٠.

(٣) مروج الذهب ج٢ ص ٢٧٨.

(٤) ابن عسيرة: الإمامة والسياسة ج٢ ص ٣٢٤.

(٥) للمسعودي: مروج الذهب ج٢ ص ٢٧٨.

وأتخذت الخفاف المرصعة بالجواهر واتخذت شمع العنبر، وتشبه الناس في سائر أفعالهم بها^(١).

ولما قتل الأمين وولى المأمون الخلافة تتضاءل نفوذ أم جعفر لأن المأمون لم يغفر موقفها منه في ولاية العهد، في الفتنة التي حدثت بينه وبين أخيه الأمين، وظلت مقيدة الحركة حتى تزوج المأمون من بوران، وكان لا يرد لها طلباً، فسأته العفو عن إبراهيم بن المهدي والأذن للسيدة زيده أم جعفر بالحج. فوافق على ذلك^(٢).

ولم تكن السيدة بوران وحدها صاحبة النفوذ في عهد المأمون بل كانت السيدة زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس - التي سبقت الإشارة إليها - تتمتع بنفوذ كبير، وكان بنو العباس يعظمونها وإليها يسب الرئسيون ولا أدل على قوة تأثيرها من أن بنى العباس طبروا منها أن تطلب من المأمون ترك لباس الخضر، والعودة إلى لبس السواد - شعار العباسيين - فقالت له: يا أمير المؤمنين ما الذي دعاك إلى نقل الخلافة من بيتك إلى بيت علي. قال: يا حبه إنى رأيت علياً حين ولى الخلافة أحسن إلى بنى العباس، فولى عبد الله البصرة وعبيد الله اليمن. وما رأيت أحداً من أهل بيتي حين أنقض الأمر إليهم كافأوه على فعله في ولده، فأحببت أن أكافئه على إحسانه، ثم سألته تغيير لباس الخضر. فأجاب إلى ذلك، وأمر الناس بتغييره، والعودة إلى لباس السواد^(٣).

وكانت عائشة بنت الرشيد من أفضل نساء عصرها تشجع الشعراء والأدباء، وتحجزل الصلاة لهم، وكذلك عاليه بنت الرشيد كانت من الشعراء ومن ربات الرأي، وعرف عنها الحزم، لذلك كان أبوها يعتمد عليها في مهام أموره، ونفصى إليها بأسرارها^(٤).

أما العباسية بنت المهدي فكانت سيدة أدبية فاضلة. وكان الرشيد يشركها في

(١) للمسعودي: مروج الذهب ج ٢ ص ٥١٦.

(٢) ابن السامى: نساء الخلفاء ص ٧.

(٣) ابن طياتبا: القصص في الأدب السلطاني ص ٢٠٠.

(٤) همز كحالة. أعلام النساء ج ٢ ص ١٣٣.

مجالسه مع وزيره جعفر بن يحيى البرمكى حينما ينظر فى الامور الهامة لانه،
يأنس برأيها، ويطمئن إليها^(١).

ومن اسباب غزو المعتصم لعموريه أن الإمبراطور البيزنطى تيوفيل هاجم ديطره
ونهبها، وقتل من بها من الرجال وسبى اللرية والنساء وقيل إنه كان فى جملة
السبى امرأة فسمعت وهى تقول: وامعتصماء فبلغ المعتصم ما فعله إمبراطور
الروم، فكبر عليه ذلك وأنكره، وبلغته ما قالت الهاشمية، فقال وهو مجلسه:
لييك لييك، ونهض من مساعته، وصاح فى قصره: الرحيل الرحيل، وسار على
رأس جيش كبير وهاجم عمورية، ودمرها تدميراً^(٢).

هـ. الأخلاق والعادات

عرفنا أن العناصر الرئيسية فى بغداد كانت العرب والفرس والترك ويغلب على
كل عنصر من هذه العناصر عادات وصفات معينة ميزتهم عن غيرهم، فكان
العرب يميلون إلى البداوة، ويتعصبون لبني جنسهم وهم سريع التأثر بالحضارة،
فإذا تحضرُوا انغمسوا فى البذخ والترف أما الفرس فقد ورثوا مدنية قديمة.
فعملوا على نقلها، ولهم مقدرة إدارية كبيرة ومهارة فى إدارة الشؤون الاقتصادية
وتنمية موارد الثروة، وعنوا عناية شديدة بالحياة الثقافية، فقاموا بدور كبير فى
رواج الحياة العلمية فى بغداد، لكنهم كانوا يميلون إلى إظهار نحلهم القديمة،
والانتقام من العرب لما لحقهم منهم من سوء معاملة فى العهد الأموى، وكانوا
يميلون إلى التشيع: على أن الترك خالفوا الفرس فى الاهتمام بالحياة الثقافية بل
كانوا أشبه بالبدر لأنهم لم يكونوا أهل مدينة وحضارة، وقد أكسبتهم البداوة قوة
فى البدن وخشونة فى الطبع والإعتداد بقوة الجسم وعرف الشجاعة وحب
الفروسية^(٣)، ويسمى الجاحظ أعراب المعجم.

(١) ابن طباطبا: القصرى فى الآداب السلطانية ص ١٩.

(٢) ابن طباطبا: القصرى فى الآداب السلطانية ص ٢١٠.

John Glubb: The Empire of the Arabs p. 265.

(٣) محمد جمال الدين سرور - تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ص ١٩٢.

غلبت على أهل بغداد صفات الخلفاء، والناس كما يقولون على دين ملوكهم، فالمتصور أول خليفة قرب المنجمين، وعمل بأحكام النجوم، وقد نظر في العلم، وقرأ المذاهب، وأرتاض في الآراء ووقف على النحل، وكتب الحديث، فكثرت في أيامه روايات الناس وانبثقت عليهم علومهم^(١)

وكان المهدي سمحاً كريماً جواداً، فسلك الناس في عصره سبيله وذهبوا في أمرهم مذهبه، حتى كان لا يسؤل أحد في أيامه إلا وأعطى، أما الهادي فأول من مشى الرجال بين يديه بالسيوف والقسى، فسلك عماله طريقته، وكثر السلاح في عصره^(٢).

وكان الرشيد مواظباً على الحج متابعاً للغزو، واتخاذ القصور وتجهيد الطرق في طريق مكة فعم الناس إحسانه مع ما اقترن به من عدله وأتت به رعيته فظهر الحق وخفق الباطل^(٣).

أما المأمون فكان أكثر الناس عفواً وأشدهم احتمالاً وأحسنهم مقدرة، وأجودهم بالمال الرغيب وأبذلهم بالعطايا، وأتبعه ووزاروه وأصحابه في فعله، وسلكوا سبيله وذهبوا مذهبه^(٤)، على أن المعتصم جلب عليه حب الفرسية والتشبه بالملوك الأعاجم في ملبسه ومظهره، فافتدى بفعله الناس، وعم الناس أفضاله، وأمنت السبل في أيامه، وشمل الناس إحسانه^(٥).

ظهرت نزعة في بغداد تدعوا إلى الزهد، وذلك أن بعض الناس بشوا من الثراء وعفت نفوسهم عن التزلف والتقرب للأغنياء، أو لم تمكنهم ظروفهم من ذلك، وقوم خلصت نواياهم نحو الله وتجهوا إليه بكل ما استطاعوا، وصفت نفوسهم، ورأوا أن النفس إذا نالت ما أرادت انقادت إلى المعاصي ففضلوا التغلب

(١) المسعودي - مروج الذهب ج٢ ص ٥٥٤.

(٢) المصدر السابق ج٢ ص ٥٥٥.

(٣) المسعودي - مروج الذهب ج٢ ص ٥٥٥.

(٤) المصدر السابق ج٢ ص ٥٥٥.

(٥) المصدر السابق ص ٥٥٧.

عليها، وقوم لجأوا إلى الزهد بعد أن فشلوا في الحصول على المال والحياة وكثيراً زهدوا تقريباً إلى الله لأن الزهد يعصمهم من الوقوع في المعاصي حتى قال محمد بن واسع: يعجبني أن يصبح الرجل، وليس له عشاء وهو مع ذلك راض عن الله، صرفوا نفوسهم عن الشهوات وأكثروا من ذكر الموت والحياة الآخرة. وتعففوا عن محاولة طلب من ذويه، وقنعوا بالقليل^(١)، وكان الشاعر أبو العتاهية يمثل طلب المال الزهد في بغداد، وظهر ذلك جلياً في أشعاره، كقوله:

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس إذا تشرت بالأبواب والحرس

وعم بأن سهام الموت قاصدة لكل مدرع منا ومترس^(٢)

نرجو النجاة ولم تسلك طريقتها إن السفينة لا تجري على اليبس

ودخل بعض الزهاد على المنصور فقال: إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك ببعضها، وأذكر ليلة تيت في القبر لم تبتم قبليها ليلة. فأعجم المنصور قوله وأمر له ببال، فرفض الزاهد صلة الخليفة، وقال: رأيت آخر للمصور إن هذا الأمر كان لمن قبلك ثم صار إليك ثم هو عيال لمن يعدك، وأذكر ليلة تسفر عن يوم القيامة.

وكان صالح بن بشير المرى أحد العباد الزهاد جلس إلى المهدي فوعظه حتى أبكاه، ثم قال له: أعلم أن رسول الله خصم من خالفه في أمته ومن كان محمد خصمه فالله خصمه، فأعد لمخاصمة الله ومخاصمة رسول حججاً تضمن لك النجاة، وإلا فاستسلم للمهلكة، وأعلم أن الله قاهر فوق عباده، وأن أثبت الناس قلماً، آخذهم بكتاب الله وصنة رسوله^(٣).

والإمام أحمد بن حنبل خير من مثل نزعة الزهد في بغداد فكانت ظلته من ملك له في كل شهر سبعة عشر درهماً ينفقها على عياله، ويقنع بذلك صابراً

(١) الأصفهاني - كتاب الأغني ج٤ ص ١٠٦.

(٢) ابن كثير - البدئية والنهاية ج١٠ ص ١٢٤.

(٣) المصدر السابق ج١٠ ص ١٧١.

محتسباً، ولم يزل كذلك حتى ولى للثوكل الخلافة، فأرسل إليه عشرة آلاف درهم نفقة له، ففرقها الإمام أحمد على المحتاجين من أهل الحديث، وغيرهم من أهل بغداد والبصرة، حتى لم يبق منها درهما^(١).

وروى عن الرشيد أنه طلب من لزاهد ابن السماك أن يعظه، فقال له: أعلم أنك واقف بين يدي الله ربك ثم مصروف إلى إحدى منزلتين لا ثالث لهما جنة أو نار، فبكى الرشيد حتى اخضلت لحيته^(٢).

وقالوا عن الزاهد من لم يغلب الحرام صبره ولا الحلال شكره^(٣).

وقال بعض الزهاد: يا ابن آدم بع دنياك بأخرك تريحهما جميعاً، وإذا ما رأيت الناس في الخير فناعسهم فيه، وإذا رأيتهم في الشر فابتعد عنهم^(٤).

ولم يقتصر الزهد على أفراد الشعب بل تعداه إلى بعض أمراء البيت العباسي، فكان أحمد بن هارون الرشيد أميراً صالحاً، ترك الدنيا في حياة أبيه مع القدرة، ولم يتعلق بشيء من أمور الدنيا وأبوه خليفة الدنيا وأمر الانقطاع والعزلة بل كان يتكسب من عمل يده يعمل يومه يوم السبت من كل أسبوع، ويتفق ما اكتسب في احتياجات بقية الأسبوع، ويتفرغ للاشتغال بالعبادة وتوفي سنة ١٨٤هـ^(٥).

ولم يقابل نزعة الزهد ظهرت نزعة أخرى في بغداد تدعو إلى اللهو والمجون، انغمس فيها المترفون من أهل بغداد، وكان يمثل هذه النزعة بشار وأبو نواس. على أن الفترة التي قام فيها الأمن لم ينعم الناس فيها بالحياة الآمنة بسبب الفتنة وحصار بغداد وأعمال التخريب والتدمير التي نجمت عن ذلك، لذا حاول أهل المجون تعويض ما أصاب الحياة من بؤس وشقاء بعد تولية المأمون الخلافة، واستقرار الدولة.

(١) المصدر السابق ج ١٠ ص ٢٣٨

(٢) الطبري. تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ١٩٢هـ.

(٣) الجاحظ. البيان والتبيين ج ٢ ص ١٥٤.

(٤) المصدر السابق ج ٢ ص ١٢٣.

(٥) ابن كثير. البداية والنهاية ج ١ ص ١٨٤.

كان التنجيم شائعاً في بغداد في العصر العباسي الأول، حتى أن الخليفة المنصور استشار المنجمين بشأن مشروعه في تأسيس مدينة بغداد، فبشروه بعمرانها وطول بقائها، وكان أول خليفة قرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم^(١).

وبلغ من اعتقاد الخليفة المنصور بالتنجيم أن توبخت - منجم المنصور - بشر المنصور أثناء الحرب بينه وبين إبراهيم بن الحسن العلوي - بأن إبراهيم يقتل، وتصادف وقوع هذا الحدث، فأقطع المنصور منجمه ألفي جريب، ويذكر صاحب كتاب البداية والنهاية أن هذا المنجم إن كان قد أصاب في قضية واحدة فقط أخطأ في أشياء كثيرة. وقد كان المنصور في ضلال مع منجمه هذا، وقد ورث الملوك اعتقاد أقوال المنجمين، وذلك ضلال لا يجوز^(٢).

وكان يحيى بن خالد البرمكي من أعلم الناس بالنجوم^(٣)، ولما خصر الفضل ابن سهل بالأمون، وتبين مجانته ودلت النجوم - طبقاً لما ذكره الجهشيارى^(٤) - على أنه يلى الخلافة استوزر الفضل ابن سهل بأفوضه أمور دولته حتى غلب عليه^(٥).

وكانت احتفالات الرواج في بغداد تتم في شئ كثير من الابهة والعظمة فحينما تزوج الرشيد من السيدة زبيدة أعد لها صناديق الجوهر والحلى والتيجان والأكاليل وقباب الفضة والذهب والطيب والكسوة، وأعطاهها ثوباً منقطع النظير في الفخامة، وفي صدرها وظهرها قصان ياقوت أحمر وباقيها من الدر الكبار الذى ليس مثله، ودخل الرشيد بها في قصره المعروف بالخلد سنة ١٦٥ هـ، وأثناء الناس من الآفاق لتهنئته، وفرق فيهم من الأموال شيئاً عظيماً، فكانت الدنانير تحصل في كؤوس فضة والدراهم في كؤوس ذهب، والمسلك والعنبر في أوعية

(١) السعوى: مروج الذهب ج٢ ص ٥٥٤.

(٢) الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص ٢٤٩.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٠ ص ٩٤.

(٤) الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص ٢٤٩.

(٥) الوزراء والكتاب ص ٢٧٩.

(٦) المصدر السابق ص ٢٨٠.

رجاج . ويفرق ذلك على الناس، ويخلع عليهم خلع الرشى المنسوجة، وأوقد بين يديه في تلك الليلة شمع العنبر، وأحضر نساء بنى هاشم، فكان يؤدي إلى كل واحدة منهن كيس فيه دنانير وكيس فيه دراهم وصينية كبيرة فضة فيها طيب، ويخلع عليها خلع وشى، ويبلغ النفقة في هذا العرس خمسين ألف ألف درهم^(١).

ولما دخل المأمون ببوران أمهرها بمائة ألف دينار وخمسة آلاف ألف درهم، وفي احتفال العرس نثرت عليها جدتها ألف درة في صينية ذهب، فأمر المأمون أن تجمع، فجمعها في الطبق، ووصعها في حجر بوران ولبى جميع طلباتها، وألبستها السيدة زينة قميصاً مرصعاً باللؤلؤ^(٢)، وأوقد في تلك الليلة شمعة عنبر فيها أربعون في إناء ذهب، وأقام المأمون عند الحسن بن سهل سبعة عشر يوماً يعد الحسن له في كل يوم ولحاضته ما يحتاجون إليه، ويخلع الحسن على القواد على مراتبهم، ووصلهم وكانت النفقة عليهم خمسين ألف ألف درهم وأمر المأمون بعد انصرافه أن يدفع للحسن عشرة آلاف دينار من مال فارس، وأقطع الصلح، ففرق الحسن الأموال على قواده وأصحابه وخدمه وحشمه، ولما انحدر المأمون ناحية واسط فرش له حصير من ذهب، ونثر عليه جوهر كثير، فجعل يياض الدر يشرق على صفوة الذهب، ولم يسمه أحد، فوجه الحسن إلى المأمون هذا الثار. فدعا المأمون من حوله من بنات الخلفاء إلى أخذ هذا الثار، فأخذت كل واحدة منهن درة، وبقي من بقي من الدر على الحصير الذهب^(٣). ونثر الحسن في ذلك من الأموال - كما يقول المسعودي^(٤) - ما لم يثره ولم يفعله ملك قط في جاهلية ولا إسلام. وذلك أنه نثر على الهاشميين والقواد والكتاب والوجوه بنادق مسك فيها رقاع بأسماء ضياع وأسماء جوار، فكانت البندقة إذا

(١) الشاهي: الديارات من ١٠.

(٢) ابن طيفور: متاقب بفتاك من ١٠٢.

(٣) ابن السامى: لسان الخلفاء من ٦٧ - ٧٠.

(٤) مروج الذهب. ج ٢ من ٢٤٤ - ٢٤٥.

وقعت في يد الرجل فتحها فقر أما فيها فيجد على قدر إقباله وسعوده فيها، فيمضي إلى الوكيل الذي نصب لذلك، فيقال له ضيعة يقال لها فلانة في ناحية كذا وجارية بقا لها فلانة، وطبة صفتها كذا، ثم تثر بعد ذلك على الناس الدنانير والدراهم وبعض العتير. وعاد المأمون إلى بغداد وأقام مع زوجته في القصر الحسن الذي كان لآبائها^(١).



كان لباس العباسيين منذ قيام دولتهم اللون الأسود، فلما ولي المأمون الخلافة. أمر الناس بلبس اللون الأخضر ولم يكن أحد يدخل عليه إلا في الخفصة، علي أن بنى هاشم عارضوا هذا العمل، وقالوا له: يا أمير المؤمنين: تركت لباس أهل بيتك ودولتهم. ولبست الخفصة، وتكلم في ذلك نواد أهل خراسان والنابى جميعا. فاستجاب المأمون لهذه النداءات، ودعا بخلعة سوداء ولبسها، وكساها لطاهر بن الحسين، وخلع على عدد من قواده أقبية وقلانس سوداء، فلما خرجوا من عنده مرتدين السوداء، طرح سائر القواد الخفصة ولبسوا السوداء^(٢).

كان المنصور يأمر أهل بيته بحسن الهيئة وإظهار النعمة ويلزوم الوشى والطيب، فإن رأى أحدا لا يلتزم بذلك عاقبه، وكان يشدد عليهم بضرورة الإكثار من الطيب^(٣) وشابه المهدي أباه في الحرص على حسن مظهر رجاله حتى أن سلم كان يأتى بابه على برذون قيمته عشرة آلاف درهم والسرّج واللجام المزين وعليه لباس الخنز والوشى ورائحة المسك العالية والطيب تفوح منه، ويجئ مروان بن أبى حفصة - من رواد المهدي - إليه وعليه فروكيش وقميص صوف وعمامة صوف وكساء غليظ^(٤).

(١) ابن طيفور: مناقب بطند ص ١٠٢.

(٢) المصدر السابق ص ١٠.

(٣) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ١٥٨هـ.

(٤) الأصفهاني - كتاب الأغاني ج ١ ص ٧٠.

ودخل العماني الراجز على الرشيد لينشده شعراً وعليه قلنسوة طويلة ولباس بسيط، فقال الرشيد: إياك أن تشدني إلا وعليك عمامة عظيمة الكور، ويخفان مستديران أملسان^(١).

وفي سنة ١٤٩هـ أخذ المنصور الناس بلبس القلائس الطوال المقرطة الطول كما أدخل الملابس للحلّة بالذهب، وغداً خلعها على الناس من حق الخليفة، وكان اللباس العادي للطبقة الراقية يشتمل على سروال فضفاص وقميص ودراعة وستر وقفصان وقباء وقلنسوة، أما لباس العامة فيشتمل على إزار وقميص ودراعة وستر طويلة وحزام وكان لباس الخليفة العباسي في المواكب القباء الأسود أو البنفسجي الذي يصل إلى الركبة، ومفتوح عند الرقبة بحيث يظهر القفصان راحياً من تحته، وأكمامه ضيقة حتى عهد المعتصم حيث جعلها فضفاضة ويتمتع الخليفة بمنطقة مرصعة بالجواهر وتتخذ عباءة سوداء ويلبس قلنسوة طويلة مزينة بجوهرة عالية^(٢).

وكان الكتاب يلبسون الثياب المشقوقة من الصدر، ويلبس القواد الأقبية الفارسية القصيرة، والرجال والنساء يلبسون الجوارب المصنوعة من الحريري أو الصوف أو الجلد، وكان ثمة فروق ملحوظة في ملابس أصحاب المهن المختلفة، فالعمائم التي حرصوا على اتخاذها اختلفت تبعاً للسن والمراكز الاجتماعية والعلمية، وقد حافظ العرب على لبس العمائم، وكانوا يقولون: ما زالت العرب عرباً ما لست العمائم وتقلدت السيوف^(٣). ويقول الجاحظ^(٤): وللخلفاء عمة والفقهاء وللأبناء عمة وللنصارى عمة ولأهل التشاخي عمة وللصوفى عمة..

(١) الجاحظ - البيان والبيان ج ١، ص ٩٥.

(٢) سيد أمير علي - مختصر تاريخ العرب من ٢٨٨ - ٢٨٩.

(٣) الجاحظ - البيان والبيان ج ٢، ص ٦٠.

(٤) البيان والبيان ج ٢، ص ٦١.

اتخذت الخلفاء ومن يلوذ بهم وكبار رجال الدولة في بغداد على ملابسهم، ويشمل اسم الخليفة، ويقصر الخلافة يقوم دار الطراز بهذه المهمة^(١)..

وكان لباس المرأة يتكون من ملاء فضفاضة وقميص مشقوف عند الرقبة عليه رداء قصير ضيق يلبس عادة في الشتاء، واتخذت سيدات الطبقة الراقية غطاء الرأس مرصعاً بالجواهر محلى بسلسلة ذهبية مطعمة بالأحجار الكريمة^(٢) وكان السيدة زينة لها تأثير كبير في تطور الزي وإدخال تيسيرات على ملابس السيدات في عصرها، فيعزى إليها اتخاذ المناطق والنعال المرصعة بالجواهر، ولقد اتخذت ثوباً من الرشي الرفيع يزيد ثمنه على خمسين ألف دينار^(٣).

كما أن سيدات الطبقة المتوسطة لم يجهلن فن التجميل، فكان يتخذن اللؤلؤ والزمرد على عصائبهن، ويلبسن الخلاخل في أرجلهن^(٤).

وجدير بالذكر أن الناس في بغداد كانوا يلبسوا الملابس البيضاء عند العزاء.

حرص الخلفاء على تعليم أبنائهم مكارم الأخلاق، ويتضح ذلك مما ذكره الرشيد لمؤدب ولده، إذ يقول: لصحه الضحك إلا في أوقاته، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا إليه، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه، ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فيها فائدة تقبده إياها من غير أن تخزق به فتميت ذهنه، ولا تجمعن في مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة^(٥).

وقد قال المنصور لابنه المهدي: إن الخليفة لا يصلحه إلا التقوى والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة، والرعية لا يصلحها إلا العدل، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنقص الناس عقلاً من ظلم من هودونه..

استندم النعمة بالشكر، والقدره بالعفو، والطاعة بالتأليف، والنصر بالتواضع والرحمة للناس، ولا تنس نصيبك من الدنيا ونصيبك من رحمة الله.

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٢١٠-٢١١.

(٢) سيد أمير على - مختصر تاريخ العرب ص ٣٩٠.

(٣) اللؤلؤ - حضارة الإسلام في طر الإسلام ص ٥٥.

(٤) للسعودي - مروج الذهب ٣٧٨.



النهضة الثقافية في بغداد

- ١- عوامل النهضة الثقافية.
- ٢- العلوم العقلية.
- ٣- حركة الترجمة وأثرها في إحياء الحياة الثقافية.
- ٤- العلوم العقلية.



دم يضيف لنا مؤرخنا الفاضل الدكتور عصام عبد الرؤوف
في كتابه الحواضر الإسلامية عن:

النهضة الثقافية

عوامل النهضة الثقافية في بغداد في العصر العباسي

ازدهرت الحياة الثقافية في بغداد في العصر العباسي الأول نتيجة لعوامل متعددة منها أن نظرة الخلفاء العباسيين إلى الموالي الفرس كانت تختلف كل الاختلاف عن نظرة الأمويين لهم، فقد حقق العباسيون لهم مطالبهم التي نادوا بها، وأقبلوا على بغداد فور تأسيسها وأقاموا واستقروا بها، وبما لا شك فيه أن الفرس كانوا قد بلغوا درجة كبيرة من التقدم في مضمار الحياة الثقافية، ودفعهم اعتناق الإسلام والاندماج في الحياة العامة في بغداد إلى تعلم اللغة العربية، فبقوا خلاصة معارفهم من العارسية إلى العربية وصنفوا مصنفات قيمة في العلوم العربية والدينية، أدت إلى ازدهار الحياة الثقافية.

يقول ابن خلدون^(١): أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم العجم لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية إلا في القليل النادر، وإن كان منهم العربي في نسبة فهو أعجمي في لغته ونشأته وثقافته، والسبب في ذلك أن العرب في بداية الإسلام كانوا أهل بداءة وسذاجة وليسوا أهل علم، وكانت أحكام الشريعة - التي هي أوامر الله ونواهيه. ينقلها الناس في صدورهم وقد عرفوا أنها مأخوذة من القرآن الكريم والسنة بما تلقوه من الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه، والعرب لم يعرفوا أمر التدوين والتأليف، وجرى الأمر كذلك على يد الصحابة والتابعين ويتابع ابن خلدون كلامه فيقول: لقد قام العجم بدور فعال في ذلك، ولم يبق يحفظ العلم

(١) المقدمة ص ٥٤٣-٥٤٤

وتدوينه، إلا الأعاجم^(١) وقد أيد بعض الباحثين رأى ابن خلدون.

والواقع أن ابن خلدون وغيره أعفوا دور العرب تماماً في ازدهار الحياة الثقافية مثل الأصمعي والإمام الشافعي والقاضي أبي يوسف وحنين بن إسحاق والإمام أحمد بن حنبل الفقيه والمحدث، وأحمد بن أبي دؤاد العالم بالكلام والكندي فيلسوف العرب - كما أن النهضة الثقافية لم تبلغ ما بلغت من تقدم إلا بفضل تشجيع الخلفاء العباسيين، وحتى الأعاجم الذين ساهموا في تقدم الحركة العلمية، كانوا عرباً مربيين ونشأة، وغلبت عليهم الحياة العربية وتأثروا بها، وكانت الثقافة العربية هي محور دراستهم وأبحاثهم.

ومن أسباب تقدم الحياة الثقافية في بغداد أن أهل الذمة - كما قلنا - حظوا برعاية الخلفاء العباسيين، وقدروا ذوى المواهب منهم، وبذلك أتاحت لهم الفرصة لإبراز مقدرتهم العلمية، وكان لمعرفتهم باللغات الأجنبية - خصوصاً اليونانية والسريانية سبباً في اعتماد الخلفاء العباسيين عليهم في حركة الترجمة إلى اللغة العربية.

ظهرت الحاجة إلى الاستفادة من العلوم التي توصل إليها الناس في العصر العباسي الأول، فقسم العلماء المسلمون العلوم إلى ثقلية تنصل بالقرآن الكريم وتشمل علوم التفسير والقراءات وعلم الحديث والفقه وعلم الكلام وعلوم اللغة العربية كالنحو والصرف والبيان والشعر، ويطلق عليها أحياناً العلوم الشرعية والنوع الثاني والعلوم العقلية وتشمل، الفلسفة والطب وعلوم النحو والكيمياء والتاريخ والجغرافيا والموسيقى، ويطلق عليها أحياناً العلوم الحكمية أو علوم المعجم أو العلوم القديمة.

والعلوم العقلية يهتدى إليها الإنسان بفكره، ويهتدى بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها حتى يعرف الخطأ من الصواب ويصيب

(١) ابن كثير - البداية والنهاية ج ١٠ ص ١٢٢

أما العلوم النقلية فهي مستندة إلى الخير عن الوضع الشرعى ولا مجال فيها للعقل إلا بإلحاق الفروع من مسائلها بالأصول^(١).

لذلك ظهر فى هذا العصر نوعان من العلماء، الأول يغلب على ثقافتهم النقل والإستيعاب، ويسمون أهل علم، والثانى هم الذين يغلب على ثقافتهم الإبتداع والاستنباط، ويسمون أهل حكمة، والعرب لم يدونوا علوم الدين، وجرى الأمر كذلك على يد الصحابة والتابعين، فكان الذى يتحمل نقل الشريعة القراء أى قراء كتاب الله سبحانه وتعالى والسنة الماثورة، لأنهم لم يعرفوا الأحكام الشرعية إلا منه ومن الحديث، الذى هو فى الغالب تفسير وشرح له، ثم احتيج إلى وضع التفاسير القرآنية وتدوين الحديث مخافة صياعه، واحتيج إلى معرفة الأسانيد وللتأكد من صحتها، ثم احتيج إلى استنباط الأحكام من القرآن والسنة، يضاف إلى ذلك فساد اللسان، فظهرت الحاجة إلى وضع القوانين النحوية، وصارت العلوم الشرعية كلها مادة للإستنباط والإستخراج والقياس والتتطير^(٢)، ولذلك كال لابد من تدوين العلوم الدينية والعربية وتم تدوين العلوم فى مستهل العصر العباسى فى كتب تناولها الناس.

والورق الذى استعمل فى الكتابة فى بغداد، البردى، وكان فى بغداد درب يسمى القراطيس، وكان هذا الورق يجلب من مصر، وفى بغداد كميات هائلة منه، فيحدثنا الجهمشيارى^(٣) أن المنصور وقف على كثرة القراطيس فى خزائنه فدعا أحد أهوانه وقال له: إنى أموت بإخراج حاصل القراطيس فى خزائنا، فوجدته شيئاً كثيراً جداً، فتولى بيعه، وأن لم تعطى بكل دينار إلا داتقا، فإن تحصيل ثمنه أصلح منه، وكان الطومار فى ذلك الوقت بدرهم.

ولكن المنصور عاد فتدارك ما قد ينجم عن ذلك، فدعا الرجال وقال له:

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٣-٥٤٤.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٤٨٤.

(٣) الوزراء والكتاب ص ١٢٨.

فكرت في كتبنا، وأنها قد جرت في القراطيس، وليس يؤمن من حادث بمصر،
فتقطع القراطيس عنا بسببه، فنحتاج إلى أن نكتب فيما لم تعود عمالنا، فدع
القراطيس على حالها.

ويقول الجهمشيارى، ولهذه العلة كانت الفرس تكتب في الجلود والرق،
ويرفضون الكتابة على الورق حتى ولي الفضل بن يحيى البرمكى الوزارة فأدخل
صناعة الكاغد، وكتب فيه رسائل الخليفة، وصكوكه، واتخذ الناس في
مكتباتهم وتصنيفاتهم وكانت سمرقند قد اشتهرت بصناعة الكاغد، وانتقلت هذه
الصناعة منها إلى بغداد، وكانت الكتب في بيت الحكمة من الكاغد على أن
استعمال ورق البردى والورق المصنوع من الخز ظل قائماً طوال العصر العباسى
الأول.

ويذكر الثعالبي^(١) أن كواغيد سمرقند خير أنواع الورق لأنهم أنعم وأحسن
وأرق، وأونش أول معمل لصناعة الورق في بغداد ١٧٨ هـ

وتقدم في بغداد فن الوراقة، ويقصد به نسخ الكتب وتصحيحها، وتجليدها
وكل ما يتعلق بإخراج الكتاب، وكان الوراقون يبيعون هذه الكتب في
دكاكينهم^(٢)، والمهتمون بالحياة الثقافية يترددون على هذه الدكاكين للقراءة أو
لشراء ما يلزمهم من الكتب والمصنفات، وكان ببغداد نحو مائة وراق^(٣)
ودكاكينهم أشبه بالمكتبات العامة في يومنا هذا، واهتم الخلفاء بإسناد الوراقة إلى
رجال من ذوى الدراية والمعرفة فكان هلال الشمعى راوية عارف بالانساب
والمناظرات، بنسخ في بيت الحكمة لرشيد والمأمون^(٤).

ولا يغيب عن أذهاننا أن من أسباب ازدهار الحياة الثقافية في بغداد لمحسن
أحوال الناس الاقتصادية، فكان طلاب العلم يقدون إلى بغداد لطلب العلم على

(١) مراد كامل: بيت الحكمة ص ٨٥

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٢٤١

(٣) الفهرست: الباب ١٣٥ ص ١٣٥

(٤) Nozdeke: Literary Hist of Persia, p291. (٤)

علمائها أو الاستفادة منهم، ومن ينبغ منهم يصنف المصنفات في مختلف التخصصات^(١).

لم تكن في بغداد مدارس يتلقى فيها الطلاب تعليمهم، وإنما كانت بها كتائب يثقف فيها الصبيان ثقافة عامة يحفظون فيها القرآن الكريم ويتعلمون الكتابة والحساب، ويتقاضى المعلم أجراً على عمله^(٢).

والدراسة في الكتائب أشبه بالدراسة في المدارس الابتدائية في يومنا هذا، أما الدراسة المتخصصة، فكان مقرها المسجد وضمت المساجد حلقات يدرس فيها مختلف العلوم، ويقوم بالتدريس فيها رجال العلم من المشايخ، فهناك حلقة للفقه وحلقة التفسير، وحلقة الحديث، وحلقة لعلم الكلام، وكان الطالب يتردد على الحلقة التي تناسب مع ميوله للون معين من العلم، وشيخ الحلقة يتقاضى أجراً نظير مهمته، والدولة لا تتدخل في علم الدراسة، واقتصر إشرافها على عدم تعارض الدراسة وما يجرى فيها من مناقشات مع تعاليم الدين أو مع سياسة الدولة العامة، وإذا كان للعلم مرسوراً فإنه يؤدي مهمته بدون أجر إيتفاء مرضاة الله، وكان أبو حنيفة العمان يعمل بزاراً وفي نفس الوقت يقوم بالتدريس، والطلاب الذين يترددون على هذه الحلقات لا يستمرون فيها إلا إذا تأكد الشيخ من جديته وإقباله على الدراسة، وذلك من خلال مناقشته له، ولقد أظهرت هذه الحلقات مواهب كبيرة، فنبغ من حلقة الإمام أبي حنيفة القاضي أبو يوسف، ولم يكن الطالب يتفرغ للدراسة إنما يعمل ويدرس في نفس الوقت^(٣). والشيخ يحدد المنهج الذي يدرسه لطلابه في المسجد إلا أن هذه الدراسات كانت تدور حول علوم الدين واللغة، وكان القراء يجلس في المسجد، والقارئ يقرأ وهو يفسر لطلابه^(٤).

(١) ابن النديم الفهرست ص ١٧٤

(٢) ابن تينى ناتج: العرب ص ١٧٤

(٣) Hitti: Hist. of the Arabs p. 363.

(٤) ابن خلكان: وفیات الأعيان ج ٥ ص ٥٢٥

اهتم العلماء في مختلف أنحاء الدولة الإسلامية بالرحيل إلى المدن الكبرى للاتصال بالعلماء المشهورين للاستفادة من علمهم وفضلهم، والسبب في ذلك أن الناس يأخذون معارفهم تارة علماً وتعليماً وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقيناً بالمباشرة، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها..

وهذا لمن يسر الله عليه طرق العلم والهداية فالرحلة لا بد منها في طلب العلم، واكتساب الفوائد^(١).

وكان الخلفاء يشجعون أهل الذمة المثقفين على الرحيل إلى الدولة البيزنطية لقراءة كتب الحكمة وترجمتها^(٢).

أما الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة فكانوا يستعينون بمعلمين لتعليم أبنائهم في قصورهم، وقد حدد الرشيد لمؤدب ولده الأمين المنهج الذي يجب أن يعلمه وينشئ عليه ابنه الأمين، فقال: أقرئه القرآن، وعرفه الآثار، ورواه الأشعار، وعلمه السنن، وبصره مواقع الكلام ويده، وامتنعه من الضحك إلا في وقته، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم، إذا دخلوا عليه، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه، ولا تمرن عليك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه، فتميت قلبه ولا تمنع في مسامحته فيستحلي الفراغ، وعليك بالرفق به، فإن لم يأت بالرفق فخذ به بالمنظة^(٣) وكان الفراء - وهو من أعلم الكوفيين بالسحر واللغة وفنون الأدب - يؤدب ولدى المأمون، وأجزل صلته على حسن تأديبه لهما^(٤).

انتشرت المجالس العلمية في بغداد التي تضم العلماء في الدور والقصور والمساجد، ويتناظرون فيها في فروع العلم المختلفة، وقد حرص الخلفاء على عقد

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٤١

(٢) ابن النديم: الفهرست ص ٣٤١

(٣) للسعودي: مروج الذهب ج ٢ ص ٢٧٨

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٥ ص ٥٢٥

هذه المجالس، وما لا شك فيه أن هذه المناظرات أدت إلى رواج الحركة العلمية لأن المناظرة إذا كانت تتم أمام خليفة أو أحد كبار رجال الدولة، فإن المشتركين فيها يحرصون على إتقان مادتها العلمية حتى يدعم رأيه بالأسانيد المعقولة والمقبولة، ويحظى بتقدير الحاضرين، وكان للخلافات في الرأي التي تحدث بين رجال العلم أثر كبير في تقدم الحركة العلمية، ذلك أنها شجعت العلماء على مواصلة البحث والدرس، وإعداد أنفسهم حتى لا يخذلوا في مجلس المناظرة مما يسئ إلى سمعتهم ومكانتهم^(١).

والواقع أن الخلفاء العباسيين لم يألوا جهداً في سبيل تشجيع الحركة العلمية فكان الرشيد من أبلغ الناس كلاماً، وأحسنهم نطقاً وأكثرهم علماً وفهماً، كتب إلى ولاة الأمصار كلها وإلى أمراء الأجناد يطالبهم بتشجيع العلم وأهله فقال: فانظروا من التزم الأذان عندكم فاكتبوه في ألف من العطاء، ومن جمع القرآن وأقبل على طلب العلم، وعمر مجلس العلم ومقاعد الأدب، فاكتبوه في ألف دينار من العطاء، ومن جمع القرآن وروى الحديث ونفقه في العلم فاكتبوه في أربعة آلاف دينار من العطاء واسمعوا قول فضلاء عصركم وعلماء دهركم. وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم - وهم أهل العلم - وبلغ من تشجيع الرشيد للعلم والتعليم أن العلامة كان يحفظ القرآن الكريم وهو ابن ثمان سنين ويتبحر في الفقه ويروى الحديث، وينظر للمعلمين وهو ابن أحد عشر عاماً^(٢).

وكان المأمون أعلم الخلفاء بالفقه والكلام وله عدة رسائل^(٣) لذلك شجع العلماء على مواصلة البحث والدرس، وعنى بمجالس المناظرة، فكان يدخل عليه من العلماء الفقهاء المتكلمين جماعة يختارهم لمجالسته ومحادثته واختير له من الفقهاء لمجالسته مائة رجل، وناظرهم وناقشهم كثيراً، حتى وقع اختياره على أفضلهم فكانوا عشرة فقط^(٤).

(١) ابن طيمور: مناقب بغداد ص ٣٦.

John. Giubb The Empire of the Arabs p. 319.

(٢) ابن قتيبة: الأمانة والسياسة ج ١ ص ٩٩.

(٣) ابن التميمي: الفهرست ص ١٦٨.

(٤) ابن طيمور: مناقب بغداد ص ٣٦.

على أن مجالس المناظرة احدثت فيها المناقشات بين المتكلمين حول مسألة خلق القرآن، وكان للمأمون يميل إلى المعتزلة لأن آراءهم تتفق مع العقل والمنطق.

ويرتبط بظهور الحركة العلمية ونشاطها في بغداد الحاجة إلى المحافظة على الكتب والمصنفات. ومن هنا أقيم في بغداد بيت الحكمة، وهي مكتبة كبيرة فيها مختلف الكتب، وصميت خزانة الحكمة وبيت الحكمة وخزانة كتب الحكمة - ويحيط الغموض بتأسيس هذا البيت فلا نعرف على وجه التحديد متى تم تشييده ولا مكان موضعه، وكل ما نعرفه أن المنصور نقل الخزائن إلى بغداد بعد تشييدها، والكتب كانت جزءاً هاماً من محتويات هذه الخزائن وجمع فيها الكتب من مختلف أنحاء مملكته، وأضاف إليها المصنفات التي صفت في عهده، والتي شجع أصحابها على التأليف، ولما ولي الرشيد أضاف إلى بيت الحكمة كثيراً من الكتب وأضاف البرامكة إلى هذه الخزائن الكثير من الكتب وخصوصاً الفارسية، وفي أواخر عهد الرشيد ضمت خزانة بيت الحكمة كثيراً من الكتب بلغت متعددة منها العربية واليونانية والفارسية والسريانية وبعض اللغات الهندية^(١).

واردهر بيت الحكمة في عهد الخليفة المأمون لميله إلى الفلسفة والعلوم العقلية وأنفق أموالاً طائلة في نقل الكتب إلى بيت الحكمة من الدولة البيزنطية وغيرها، وكان يعمل في بيت الحكمة علماء تروعت ثقافتهم ومعارفهم، فسهل بن هارون صاحب خزانة الحكمة للمأمون كان حكيماً شاعراً، وجدير بالذكر أنه فارسي شعوبي المذهب شديد العصية على العرب، ويصف الجاحظ براءته وفصاحته وله عدة كتب^(٢).

وازداد عدد الكتب في عهد الخليفة المأمون، ولم تكن الكتب اليونانية هي التي حرص المأمون نقلها إلى بيت الحكمة، بل لمجد المأمون يطلب من يحيى بن البطريق إحضار كتب لاتينية إلى بغداد، وقد كان يحيى يعرف اللغة اللاتينية، وضمت هذه الكتب إلى بيوت الحكمة وبذلك ضم بيت الحكمة كتباً في مختلف اللغات، ومختلف العلوم^(٣).

(١) ابن النديم: الفهرست ص ٣٥١.

(٢) ابن النديم: الفهرست ص ١٧٤.

وكان العلماء في الدولة الإسلامية يودعون نسخاً من مؤلفاتهم في بيت الحكمة على أن يبت الحكمة ضعف شأنه في عهد الخليفة المعتصم، لعدم اهتمامه بالنواحي الثقافية.

وكان يلحق ببيت الحكمة علماء لهم رواتب محددة، وتنوعت اختصاصاتهم، ومن بين هؤلاء العلماء علماء فلكيون، ذلك لأن المأمون ألحق بيت الحكمة مرصداً لإصلاح آلات الرصد، وكانت أعمال بالضرورة من بيت الحكمة، بل كان بعضهم من خارجه.

وصاحب بيت الحكمة يشرف على العاملين فيه، وعليه أن يرتب الكتب ويعد فهرسها، ويصنفها، وضم بيت الحكمة هذه طوائف، طائفة النساخ، وطائفة المترجمين، وطائفة المفسرين، وطائفة المنجمين، وطائفة الكتبة وطائفة المجلدين، وكان الناسخ ينسخ ما يطلب منه نظير أجر. وعليه أن يرتب أوراق كل نسخة بعد جمعها، وإصلاح ما قد يظهر فيها من أخطاء^(١).

وكان الخليفة يعين المترجمين في بيت الحكمة ويعين لهم رئيساً يتفقد أعمالهم ويراجعها ويصححها مثل يوحنا بن ماسويه. كان نصراًانياً سريانياً ولواء الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة التي وجدها بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم التي فتحها المسلمون^(٢)، وعينه أميناً على الترجمة، ورتب له كتاباً يكتبون بين يديه، وظل يباشر مهامه حتى أيام المأمون، وقام بالترجمة أيضاً يوحنا بن البطريق، وحنين بن إسحاق^(٣).

وبذلك ساهم بيت الحكمة في ترجمة كتب في علوم مختلفة وبلغات متعددة إلى العربية، وكان المترجم يملأ كتابة المترجم على عدد من الكتاب أو النساخ، حتى تتعدد نسخ الكتاب الواحد، وتجلد هذه الكتب، وتودع نسخ منها في بيت الحكمة^(٤) حيث تناح الفرصة للقراء للإطلاع عليها، والاستفادة منها.

(١) ابن خلدون: المقدمة ص ٤٦١

(٢) القفطي: أخبار العلماء باختيار الحكماء ص ٣٨٠

(٣) المصدر نفسه

(٤) ابن النديم: الفهرست ص ١٠

ظهر في بغداد علماء عنوا بتأليف الكتب واقتناء النفيس مناء، فمحمد بن صهر الواقدي خلف بعد وفاته سنامه قمبر كتب كل قمبر منها حمل رجلين، وكان له غلامان مملوكان يكتبان له الليل والنهار^(١) وله عدة مصنفات، ويذكر ابن خلكان^(٢) أن إسحاق بن إبراهيم الموصلی كان عنده ألف جزء من لغات العرب.

كان مركز الحركة الثقافية قبل تأسيس بغداد في البصرة والكوفة، ثم شيدت بغداد، فغلبت على المدينتين، ويقول البعقوبي^(٣) ليس لها نظير في مشارق الأرض ومغاربها سعة وكبرا وعمارة وكثرة مياه، وصحة هواء، ولأنه سكنها من أصناف الناس وأهل الأمصار والكور وانتقل إليها من جميع البلدان القاصية والدانية وأثرها جميع أهل الأفاق على أوطانهم..

وهي مع هذا مدينة بني هاشم ردار ملكه ومحل سلطانهم.. واعتدال الهواء وطيب الثرى وعدوية الماء حسنت أخلاق أهلها، ونضرت وجوههم وانفتحت أذهانهم حتى فصلوا الناس في العلم والفهم والأدب.. فليس أعلم من عالمهم، ولا أرى من راويتهم، ولا أجدل من متكلمهم ولا أحلق من مفتيهم ولا أعرب من نحويهم ولا أصح من قارئهم، ولا أشهر من متطيعهم، ولا أكتب من كاتبهم، ولا أشعر من شاعرهم..

العلوم النقلية:

قلنا إن العرب قسموا العلم إلى نقلية وعقلية، والعلوم النقلية هي علوم الدين واللغة، ولقد ازدهرت هذه العلوم في بغداد في العصر الذي نؤرخ له، وعلم القراءات من بين العلوم التي حتى المسلمون به لأنه علم قراءة القرآن، ولقد كان للقراءات سبع طرق، كل طريقة تستند في قراءتها إلى أحاديث، إطمأن شيخها إلى صحتها ودعا أصحابه إلى القراءة بطريقته ومن أشهر قراء بغداد الكسائي، وهو من القراء السبعة توفي سنة ١٧٩هـ، وكان ينتقل في البلدان «ويقرأ بقراءة

(١) ابن النديم: الفهرست ص ١٤٤

(٢) وفیات الأعيان ج ١ ص ٩٧

(٣) البلدان ص ٢٣٣

حمزة ثم اختار لنفسه قراءة، فافقرا الناس بها وذلك في خلافة الرشيد، وألف العلماء في قراءته كتاب من بينها كتاب «ما خالف الكسائي فيه» لأبي جعفر بن المغيرة^(١)

قدم الكسائي إلى بغداد فضمه الرشيد إلى ولديه المأمون والأمين، وللكسائي عدة كتب، منها كتب «معاني القرآن»، وكتاب «مختصر النحو»، وكتاب «القراءات»، وكتاب «النوادر الكبير»، و«النوادر الأوسط»، و«النوادر الأصغر»، وكتاب «مقطوع القرآن وموصله»^(٢).

ومن أشهر القراء يحيى بن الحارث الدماري توفي سنة ١٤٥هـ روى عن جماعة من الصحابة^(٣) ومن القراء المشهورين حمزة بن الزيات، توفي في خلافة المنصور سنة ١٥٦هـ^(٤).

ومن العلوم الدينية التي عنى بها الناس في بغداد بصفة خاصة على التفسير، ولقد اتجه المفسرون إلى التماهين، يعرف أولهما باسم التفسير بالمأثور. ويعرف الثاني باسم التفسير بالرأى.

نزل القرآن الكريم بلغة العرب، وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتركيبه، وكان ينزل جملاً جملاً، وآيات آيات، فكان الرسول يوضح لأصحابه سبب نزول الآيات، ومعانيها فكان ذلك ينقل عن الصحابة، وتداول ذلك التابعون من بعدهم، ونقل عنهم، ولم يزل متناقلاً، حتى صارت المعارف علوماً قدونت هذه الأقوال وهذا هو التفسير بالمأثور، وكان المفسرون إذا احتاجوا إلى معرفة شيء من بدء الخليفة والكون وأسرار الوجود يسألون عنه أهل الكتاب، ويأخذون برواياتهم، فامتلات التفاسير بالأخبار التي نقلت عنهم^(٥).

(١) ابن النديم: الفهرست ص ٤٤٠.

(٢) المصدر السابق ص ٩٧.

(٣) ابن النديم: الفهرست ص ٤٣.

(٤) ابن قتيبة كتاب المعارف ص ٢٣٠.

(٥) مقدمة ابن خلدون ص ٤٢٩ - ٤٤٠.

ومما لا شك فيه أن المفسرين أخطأوا لأنهم نقلوا هذه الأخبار في كتبهم دون مناقشتها. على الرغم من أن الكثير منها لا يقبله العقل ولا المنطق.

أما طريقة أصحاب الرأي فهي الطريقة التي تعتمد على استنباط المعاني من النصوص عند التفسير، على أن التفسير حتى في بداية ظهوره كعلم من العلوم لم يتخذ شكلاً منظماً، فقد اقتصر على تفسير بعض الآيات غير مرتبة بترتيب السور، ثم انتظم التفسير بعد ذلك، فقد ذكر ابن النديم أن عمر بن بكير كتب إلى القراء أن الحسن بن سهل ربما سألني عن الشيء بعد الشيء من القرآن. فلا يحضرني فيه جواب، فقال القراء لأصحابه: اجتمعوا حتى أملئ عليكم كتاباً في القرآن، وجعل لهم يوماً، فلما حضروا خرج إليهم.

وكان في المسجد رجل يردد، ويقرأ بالناس في الصلاة، فاتفق معه القراء على أن يقرأ للقرآن مرتباً، ويتوقف عند كل آية، ليفسرها القراء. ولم يعمل أحد ذلك قبله، ويتصحح لنا عما تقدم أن القراء أول من فسر القرآن بترتيب سورته وآياته، وفسره بهذا المنهج الذي وضعه ليته في أربعة أجزاء^(١).

ولقد ظهرت في العصر العباسي الأول مصنفات في التفسير ولكنها فقدت، نخص بالذكر منها تفسير مقاتل بن سليمان المتوفى سنة ١٥٠ هـ وأصله من بلخ، وانتقل إلى بغداد، وقدره العلماء في بغداد حتى أن الشافعي قال: «الناس كلهم عيال على ثلاثة، على ابن مقاتل في التفسير وعلى زهير بن أبي سلمى في الشعر، وعلى أبي حنيفة في الكلام».

ومن التفسيرات التي فقدت، تفسير أبو إسحاق ذكر فيه أقوالاً لوهب بن منبه، وكعب الأخبار وغيرهما من الرواة عن اليهودية والنصرانية^(٢).

على أن أول تفسير وصل إلينا كان تفسير ابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ والذي يقع في ثلاثين مجلداً، وهو يأخذ بالمأثور عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه والصحابة والتابعين ويحرص في ذلك على الأخذ بالرواية

(١) ابن النديم، الفهرست، ١٠٠.

(٢) ابن خلكان، وفیات الأعيان ج ٢، ص ٣٤١.

الصحيحة، ولا يوافق المفسرون من أصحاب الرأي لأنهم يخطئون كثيراً. وظهر في تفسيره ثقافته الدينية واللغوية والتاريخية، ويتضح من كتاباته معرفته لأراء المتكلمين وخاصة المعتزلة، وتأثر بملعب المحدثين في الكلام عن القدر، وكان يتحرى الدقة في الإسناد جرياً على طريقة العلماء المعاصرين، وحرص على الأخذ بروايات رجال موثوق بهم، ونقد من لم يثق به^(١).

أما أصحاب التفسير بالرأي، فكانوا يحكمون العقل ويرفضون الخرافات والتصورات المخالفة لطبيعته الأشياء، التي تأثر بها كثير من الناس، ومن أشهر هذه التفاسير تفسير أبي بكر الأصم المتوفى سنة ٢٤٠هـ^(٢).

اشتد الحاجة إلى الفقه في العصر العباسي الأول، لأنه ينظم المعاملات ويضع التشريعات التي تنظم حياة الأفراد وعلاقاتهم بعضهم ببعض من ناحية وعلاقاتهم بالدولة من ناحية أخرى، فضلاً عن أنه يوضح التعليم التي يجب أن يتبعها الناس في شئون دينهم، وهنئ الخليفة الرشيد بالله، فعهد إلى القاضي أبي يوسف أن يصح له كتاباً في التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية لدولته، لإزالة ماسد في عهد الأمويين من الأخذ بالرأي، فكتب كتاب الخراج، ويقول أبو يوسف في مقدمة كتابه أن أمير المؤمنين أيده الله تعالى سألني أن أصح كتاباً جامعاً يعمل به في جباية الخراج، والعشور والصدقات والجواري وغير ذلك مما يجب عليه النظر فيه، والعمل به، وإنما أراد بذلك رفع الظلم عن رعيته والصالح لأمرهم - فلا تضيعن ما قللك الله به من أمر هذه الأمة والرعية، فإن القوة في العمل بإذن الله، إن الرعاة مؤدون إلى ربهم وما يؤدي الراعي إلى ربه فأقم الحق فيما ولاك الله وقللك ولو ساعة من نهار فإن أسعد الرعاة عليه السلام يوم القيامة راع سعدت به رعيته^(٣).

استمع الرشيد إلى هذه التوجيهات من قاضيه أبي يوسف، ولما أتم كتابه «الخراج» أمر الرشيد كل عماله أن يضعوا توجيهات أبي يوسف موضع التنفيذ.

(١) جولد تسيهر، للمذهب الإسلامية في تفسير القرآن ص ٨٦-٨٧

(٢) المصنف الحلي ص ٩٩-١٠٠

(٣) أبو يوسف: الخراج ص ٢

وكان من أثر تشجيع الخلفاء العباسيين للفقه والفقهاء واعتمادهم عليهم ففى أمور الفقه، أن وضع الفقهاء قواعد الفقه بدقة وعناية فى الحياة العملية^(١) واختلف الفقهاء فى آراءهم الفقهية، من هنا نشأت المذاهب الفقهية السنية، وأخذ بعض الفقهاء بالرأى، وأخذ آخرون بالمأثور، ويمثل أبو حنيفة النعمان بن ثابت المذهب الأول، فقد أخذ بالرأى بشكل كبير، وكان داود يمثل المذهب الثانى، وعارض الرأى بكل شدة، وبين هذين الطرفين الشافعى وابن حنبل، على أن الطبرى لم يضع ابن حنبل فى قائمة الفقهاء، وإنما عده من المحدثين.

ولم يكن أبو حنيفة أول من أخذ بالرأى. إنما سبقه علماء كثيرون فى القرن الأول الهجرى. على أن أبى حنيفة تطور بالأخذ بالرأى درجة لم تكن معروفة من قبل، وهو أول من استعمل القياس فى الفقه حتى لقد سمي الإمام الأعظم تقديراً لجهوده. ومما لا شك فيه أن أبى حنيفة قد استفاد من الفقهاء الذين سبقوه فى الأخذ بالرأى وأضاف آراءه إلى آراء أسلافه، وقد عارض بعض الفقهاء التفكير الحر الذى درج عليه أبو حنيفة فى مذهبه وقد حمل تلميذه أبو يوسف تعليمه، وأدى اختلاف أئمة الفقه فى فهم بعض المصوص الفقهية، واستنباط الأحكام منها إلى تعدد للمذاهب.

ولد أبو حنيفة النعمان بالكوفة سنة ٨٠هـ وتوفى فى بغداد سنة ١٥٠هـ وجده من أهل كابل، وأدرك أربعة من الصحابة، وكان عالماً عابداً زاهداً ورعاً تقياً كثير الخشوع دائم التصرع إلى الله سبحانه وتعالى، وكان أبو حنيفة ممن وفق له الفقه، فإذا سئل فيه تفتح وسال كالوادی. وقيل: من أراد أن يتبحر فى الفقه فهو عيال على أبى حنيفة^(٢).

كان أبو حنيفة إماماً فى القياس، ويحرص على الدقة فى قبول الحديث ويتحرى عنه وعن رجاله، فلا يروى الخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم إلا إذا رواء جماعة ثقات، وأجمع الفقهاء على الأخذ به^(٣).

(١) على حسن عبد القادر، نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى ج ١، ص ٤٢.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان ج ٥، ص ٣٦.

(٣) ابن التميم، القهرست ص ٢٨٥.

ولقد اندثرت كتب الفقه التي صنفها أبو حنيفة، وذكر لنا ابن النديم^(١) أسماء كتبه في الفقه.

ومن أبرز تلاميذ أبي حنيفة القاضي أبو يوسف، كان حافظاً للحديث ثم لزم أبا حنيفة، فغلب عليه الرأي، وولى منصب قاضي القضاء حتى وفاته سنة ١٨٢هـ، في خلافة الرشيد، ولأبي يوسف من الكتب الفقهية، الزكاة والصيام، الفرائض والحدود، الرد على مالك بن أنس، رسالته في الخراج إلى الرشيد، وأخيراً كتاب الجامع الذي ألفه ليحيى بن خالد، وتناول فيه اختلاف الآراء في الفقه^(٢).

وجدير بالذكر أن أبا يوسف تعلم على ابن أبي ليلى، ثم انتقل إلى أبي حنيفة، وأخذ عن مالك بن أنس، وكان أول قاضي قضاء في الإسلام، يعين القضاء في أنحاء الدولة، وساعد على انتشار مذهب أستاذه، ويقول الجاحظ^(٣). كانت دراسة فقه أبي حنيفة في بغداد على قدم كبير من الأهمية لمن يريد أن يتولى منصباً هاماً، وقد تجد الرجل يطلب الأثر وتأويل القرآن ويجالس الفقهاء خمسين عاماً وهو لا يعد فقيهاً، ولا يجعل قاضياً، فما هو إلا أن ينظر في كتب أبي حنيفة وأشياء أبي حنيفة، ويحفظ كتب الشروط في مقدار سنة أو ستين حتى تمر ببابه فتيقن أنه من بعض العمال، بالخرزى إلا يمر عليه من الأيام إلا اليسير حتى يصير حاكماً على مصر من الأمصار.

ومن أشهر فقهاء بغداد من أصحاب الرأي البشر بن الوليد، ولى القضاء للمأمون من تلاميذه محمد بن الحسن، وله عدة مصنفات في الفقه، ترجع أهميتها إلى أنه أول من دون ما أورده الفقهاء من أقوال وآراء، ومن هنا تفوق على من سبقه من الفقهاء حتى على أبي يوسف نفسه، الذي حاول إبعاده عن بغداد، وإليه يرجع الفضل في تدوين مذهب أبي حنيفة وحفظه في الكتب،

(١) المصدر السابق ص ٢٨٦

(٢) المصدر السابق

(٣) كتاب الحيوان ج ١ ص ٤٣

(٤) ابن النديم، الفهرست ص ٢٨٩

وجدير بالذكر أن محمد بن الحسن اتصل بالإمام مالك وروى عنه الموطأ، وروايته للموطأ من أهم الروايات لأنه أوضح فيه الخلاف بين أهل الحجاز وأهل العراق في الفقه، وقد قدم الشافعي إلى بغداد، وأخذ عن محمد بن الحسن، وكتب عنه وقرأ أجمل كتبه، وله من الكتب، كتاب المبسوط في الفقه، وكان بينه وبين الشافعي مناظرات، وقد أثنى عليه الشافعي، وأبرز مكانته العلمية والخلقية بقوله:

«أنه كان يملا القلب والعين» وقد ما رأيت أعلم بكتاب الله من محمد كأنه عليه نزل^(١).

ولقد أدت شهرة بغداد بعلمائها وفقهائها إلى قدوم طلاب العلم إليها، فرحل أسد بن الفرات إلى بغداد، وتعلم فقه أبي حنيفة من علمائها، غير أنه لما عاد إلى مصر اتصل ببعض فقهاء المالكية وأخذ عنهم آراء الإمام مالك وعاد إلى القيروان، ونشر آراء الإمام مالك هناك، في مقالات سميت بالأسدية وتوفى غارياً في صقلية^(٢).

ومن أشهر الأئمة الذين وفدوا على بغداد في العصر العباسي الأول وأقاموا بها فترة من الزمن ينشرون معارفهم على الناس والطلاب بصفة خاصة، أبو عبد الله محمد إدريس الشافعي الذي جمع بين أقوال أهل الرأي، وآراء أهل الحديث، وهو أول من تكلم في أصول الفقه، وأول من وضع أسسه ومبادئه، كثير من المناقب جم المفاحر مقطع القرين «درس علوم القرآن دراسة وافية شاملة، وألم بأقوال الصحابة والتابعين، وآراء الفقهاء وعلوم العربية. وقال عنه أحمد بن حنبل: ما عرفت ناصح الحديث من منسوخة حتى جالست الشافعي وقال عن الشافعي أنه كالشمس للناس والعافية للبدن.

والشافعي هاشمي قرشي ولد بغزة سنة ١٥٠ هـ وتربى في محيط عربي، لذلك نشأ بارعاً في اللغة العربية ولشعر القديم، واتصل - كما قلنا - بالشيباني

(١) المالكي، رياض القوس ص ١٦٠

(٢) ابن خلكان، وفیات الأعيان ج ٢ ص ٢٧٧

والإمام مالك وانتقل إلى بغداد سنة ١٩٥ هـ واتصل علماؤها، به ورووا عنه مذهبه القديم وفي سنة ١٩٨ هـ طلبت منه عبد الرحمن بن المهدي في بغداد أن يضع له كتاباً فيه معاني القرآن الكريم وبيان النسخ والمنسوخ من القرآن والسنة وحجة الإجماع^(١)، فوضع له كتاب الرسالة وترجع أهمية الرسالة إلى أنها نقطة الاتصال التاريخية للفقهاء الإسلاميين، إذ أنه كان وسطاً بين أهل الرأي وأهل الحديث.

وعلى الرغم من رحيل الشافعي عن بغداد إلا أنه ترك فيها تلاميذ في فقهه، وأصلوا جهوده، نخص بالذكر منهم أبو البختري وهب بن كثير، كان فقيهاً أجبانياً، ولواء الرشيد القضاء في الرصافة ثم عزله، وله من الكتب كتاب الرهايات، كتاب طسم وجديس، كتاب فضائل الأنصار^(٢).

وترك الشافعي في بغداد تلاميذ نشروا فقهه وشرحوه، نخص بالذكر منهم سليمان بن داود بن علي بن خلف، وينسب إلى عائلة من قاشان قرب أصفهان وقد درس ببغداد فقه الشافعي، وهو أول من ألف في مناقب الشافعي، وأقام في بغداد يعلم التلاميذ فقه الشافعي الذي تعصب له وتوفي في بغداد سنة ٢٧٠ هـ.

ومن تلاميذ الإمام الشافعي ومر يديه إبراهيم بن خالد بن إلياس الكلبي نقل أقواله القديمة، وكان أحد الفقهاء الأعلام والثقات المأمونين في المقام له المصنفات القيمة في الأحكام، جمع فيها بين الحديث والفقه، وكان أول اشتغاله بمذهب أهل الرأي حتى قدم الشافعي إلى العراق، فتردد عليه، وأتبع مذهبه، ولم يزل على ذلك حتى وفاته في بغداد سنة ٢٤٦ هـ.

على أن أحمد بن حنبل يعتبر بحق أبرز تلاميذ الشافعي، ولد ابن حنبل في بغداد في سنة ١٦٤ هـ ورحل في طلب العلم، ورجع إلى بغداد حيث تتلمذ على الشافعي من سنة ١٩٥ حتى سنة ١٩٧ هـ، ويعتبر إمام المحدثين، صنف كتابه المسند. وجمع فيه من الحديث ما لم يجمعه غيره، وقيل أنه كان يحفظ ألف ألف حديث وبلغ من تقدير الشافعي له أن قال: خرجت من بغداد وما خلفت فيها

(١) ابن النديم: الفهرست ص ٢٩٥.

(٢) ابن النديم: الفهرست ص ١٤٦.

أتقى ولا أفقه من ابن حنبل، وقد عارض مذهب المعتزلة الذي أعتنقه الخليفة المأمون، فلما دعى إلى القول بخلق القرآن، ولم يجب، ضرب وحبس، وأخذ عنه جماعة من العلماء الأجلاء فخص بالذكر منهم محمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج النيسابوري^(١).

وكان ابن حنبل عالماً ورعاً تأثر به الناس حتى أن يوم وفاته في بغداد سنة ٢٤١هـ أسلم عشرون ألفاً من النصارى واليهود^(٢).

ومن فقهاء بغداد في ذلك العصر داود بن علي الأصبهاني المعروف بدارد الظاهري، درس مذهب الشافعي، وألف في مناقبه ثم أستقبل بمذهب يعرف بالظاهرية وهو يناقض المذهب الحنفي، إذ أنه يرفض القياس رفضاً تاماً، ويرى أن في القرآن والحديث ما يكفي لاستنباط الأحكام، بل يجب التقيد بهما وبظاهرهما، وهاجم داود القياسية وأبرز أخطاء لهم في الأحكام نتيجة أنزلهم بالقياس^(٣).

يأتي الحديث في الأهمية (بعد القرآن) الكريم كمصدر من مصادر التشريع الإسلامي، والحديث هو ما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو حكم أصدره في موضوع عرض عليه، ولقد كان جمع الحديث في هذا العصر عاملاً هاماً عند المشتغلين بالفقه، وكان هناك طريقتين في جمع الأحاديث: أولهما الحديث المسند الذي ليس بالضرورة أن يتصل أسناده بالصحابة إنما يكفي بنقل أسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى انتهاء، وبعض هذه الأحاديث يفصل أسنادها إلى صحابي بعينه، والصحابي بالطبع يأخذ عن الرسول ﷺ، وأهم مسند وضع في بغداد هو مسند ابن حنبل^(٤).

لذلك فإن من أهم فروع علم الحديث النظر في الأسانيد، ومعرفة ما يجب العمل به من الأحاديث بالوقوف على المسند الكامل، ومعرفة رواية الحديث

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ١ ص ١٧.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٧.

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٤٤٦.

(٤) المصدر السابق ص ٤٣٦.

بالعدالة والضبط ويثبت ذلك بالنقل عن أعلام الدين بعد تعديلهم وبراءتهم من الجرح والغفلة فيكون ذلك دليلاً على القبول أو الترك، وكذلك مراتب هؤلاء النقلة من الصحابة والتابعين وتفاوتهم في ذلك، وتميزهم فيه، وكذلك الأسانيد تتفاوت باتصالها وانقطاعها وبسلامتها من لعل الموهنة لها^(١).

تعرض الحديث للتحريف، لأن العرب كانوا لا يدونونها، وظهر علماء أجلاء بذلوا جهوداً مضنية في سبيل جمع الحديث الصحيح، ومع ذلك فإن الفقهاء ناقشوها ورفضوا كثيراً منها، فالإمام أبو حنيفة لم يوافق إلا على ستة عشر حديث جمعها البخاري^(٢).

ظهرت المصنفات في العصر العباسي الأول في الحديث، وتتضمن تقسيم الأحاديث وتبويبها حسب للوضوعات من عبادات ومعاملات وأخلاق وغير ذلك، والمصنفات تختلف عن المسند، لأن المسند يبوب حسب الرجال، أما المصنف فهو - كما قلنا - حسب للوضوعات^(٣).

ولقد ظهرت المصنفات في بغداد في وقت احتدام الصراع بين أهل الحديث وأهل الرأي الذين لم يعتمدوا على الحديث كثيراً كمصدر من مصادر التشريع، ومن حرص علماء الحديث على وضع مصنفات يبرزون فيها المسائل الفقهية المختلفة، بحيث لا يجد أهل الرأي مجالاً للأدعاء بأن الحديث ليس مصدراً هاماً للتشريع الإسلامي.

وجدير بالذكر أن أحمد بن حنبل اعتمد في فقهه على الحديث، فإذا وجد حديثاً صحيحاً اكتفى به، وإذا عثر على فتوى من الصحابة أخذ بها، وأحياناً يروى في المسألة الواحدة رأيين، وكان يرفض القياس إلا في الضرورة القصوى، ويفضل عليه الحديث حتى ولو كان مرسلًا أو ضعيفاً^(٤).

ومن أشهر رواة الحديث الذين أقاموا في بغداد، محمد بن إسحاق بن يار -

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٣٤٤.

(٢) دي بور، تاريخ الفلحة في الإسلام ص ٤٨.

(٣) علي حسن عبد القادر، نظرة عامة في تاريخ فقه الإسلام ص ٤٣.

(٤) ابن النديم، الفهرست ص ١٣٦.

صاحب السيرة^(١) وأخذ أصحاب الزهري عن ابن إسحاق روايته في الأحاديث التي رواها الزهري، وشكروا في صحتها، وكان الإمام أحمد بن حنبل يأخذ برواية ابن إسحاق.

ومن العلوم التي ازدهرت في بغداد في العصر العباسي الأول، علم الكلام، وهو يتضمن الحجاج من العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة والمنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة، وأساس هذه العقائد الإيمانية يكمن في التوحيد، ويقدم في برهان عقلي^(٢)، وكان أهل الحديث يرون أن مناقشات المتكلمين وآرائهم بدعة، لأن الإيمان عندهم هو الطاعة، وقد غلاخصوم المتكلمين، فرموهم بالردة، وقالوا: علماء الكلام رباقة، والحق أن مناقشات المتكلمين انعشت الحياة الثقافية في بغداد، ولكن ظهرت مشكلة - كما سنرى - أثارت جدلاً كبيراً بين المتكلمين وأهل الحديث وهي مسألة القول بخلق القرآن، هل هو مخلوق أو قديم؟ لذلك كانت أهمية المتكلمين هو الرد على أهل البدع والضلالات، فدوروا الأدلة العقلية دفاعاً عن الدين^(٣).

لاقى المتكلمون - وقواسمهم المعتزلة - معارضة شديدة في بغداد، لأنهم آمنوا بسلطان العقل وتحكيمه في كل الأمور، وقد استخدموا ما توصلوا إليه من تقدم علمي - خصوصاً في الفلسفة والمنطق - في آرائهم الدينية، وهاجموا أهل السنة بشدة وضراوة، وأثاروا مسائل كبيرة في الإلهيات والطبيعات والسياسات، وكان لهم مقدرة كبيرة على الجدل والإقناع والحوار بمهارة فائقة.

أضعف من شأن المتكلمين في العصر العباسي الأول في بغداد، معارضة الخلفاء العباسيين الأوائل للاعتزال، فكان عمرو بن عبيد من أبرز المعتزلة في عهد المنصور، يتجنب المنصور، لأنه يدرك مدى معارضته المعتزلة^(٤).

كذلك كره الرشيد المعتزلة، فلما أدرك أن الشاعر العتابي من المعتزلة، عظم

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٥٨.

(٢) أحمد أمين، فصحى الإسلام ج ٢ ص ٨٩-٩٠.

(٣) ابن كتيبة، حيون الأخبار ج ١ ص ٢٣٧.

عليه ذلك وأنكره، ولما أدرك أن الرشيد يعتزم التنكيل به غادر بغداد، ولم يكن للمتكلمين الحرية في عهد الرشيد في إبداء آرائهم فقد نهى عن الجدل في الدين وزج من خالف ذلك في السجن^(١).

على أن المعتزلة أرتفع شأنهم وانتعشروا في عهد المأمون لأنه أيد المعتزلة واعتنق مبادئها، وسار المعتصم على نهجه، كما أن الراضي كان يؤمن بأراء المعتزلة.

ويجمع المؤرخون على أن بشر بن المعتز مؤسس الاعتزال في بغداد، غضب الرشيد منه فقال: بلغني أن بشراً يقول: لقرآن مخلوق، والله إن أغفرني الله به لأقتله، فأقام بشراً متوارياً أيام الرشيد.

وقد تتلمذ عليه كثيرون مثل أبو موسى المردار وشماسة بن الأشرس وأحمد ابن أبي دؤاد وكان لهم صلات قوية بالمأمون^(٢).

أما أبو موسى فيرجع إليه الفضل في انتشار الاعتزال في بغداد، كان ورعاً زاهداً فصيح اللسان قوى البيان **واحفظاً وقصاصاً موقفاً** وله تلميذان ساهما بصيب كبير في نشر أراء المعتزلة في بغداد، يقال لهما الجعفران، وهما جعفر بن مبشر، وجعفر بن حرب ساراً حبيراً أمتاقيهما في الورع والزهد والتقوى، فلا غرو أن نرى هؤلاء العلماء الثلاثة يكثر أنصارهم الذين آمنوا بأرائهم بعد أن رأوا حسن سيرتهم.

ومن أشهر المتكلمين في بغداد أبو الهذيل العلاف، يرجع إليه الفصل في إدخال الفلسفة على مبادئ المتكلمين، كان واسع الاطلاع، فصيح القول، قوى البيان، يستشهد بالشعر العربي في مناظراته، درس الفلسفة اليونانية، استفاد منها في مناقشاته وإبداء آرائه، وقد جادل الزنادقة والمجوس وضعاف العقيدة، وبلغ من قوة إقناعه وتأثيره أن أسلم على يديه ثلاثة آلاف رجل^(٣).

كما أن أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي، كان من الفضلاء في عصره،

(١) الجهني، الورداء والكتاب ص ٢٩٠.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ج ٧ ص ١٧٧.

(٣) دي بوري، تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ٥٧.

وا. عدة كتب في علم الكلام تزيد على المائة، وقد انفرد بآراء نقلها عنه أهل الكلام في كتبهم^(١).

وكان النظام واسع الأفق، متعدد الثقافات، قوى الحجّة، مقنناً قوى التأثير تتلمذ على ابن هذيل العلاف، لعب دوراً كبيراً في مناهضة البدع والخرافات التي نقشت بين الناس في بغداد، اتبع الأسلوب العلمي في إثبات صحة آرائه، ودافع عن الإسلام بالمنطق والبرهان الفاطم، وأظهر الملحدين والمخارجين على الدين خطأ اتهاماتهم بالأدلة المقننة.

والنظام أستاذ الجاحظ، وقد شابه أستاذه في اعتماده على النقل وسعة اطلاعه ودراسته للفكر اليوناني، وسعة ثقافته.

ومن المتكلمين في بغداد شمس بن الأشروس - إمام أهل الفكر الحر في العصر العباسي الأول - وفلسفة شمس تقول بأن الله فعل العالم بطباعه أي أوجد العالم بذاته لا بإرادته، ويقول أن كل معارفنا ضرورة لا شأن للصدفة فيها، ومن لم يضطر إلى معرفة الله عن إقناع ومطلق لم يكن مأموراً بالمعرفة وفي هذا وذاك ليس وغموض يجب أن يزول - أي أن من لم يعرف الله معرفة ضرورية ليس عليه أمر ولا نهى - أي لا يكون مكلفاً بل مخلوقاً للسخره، ويكون لهذا الجهل معذوراً لا يستحق ثوباً ولا عقاباً^(٢).

وكان الجاحظ كشيخه أبي إسحاق إبراهيم بن سيار النظام من أوائل المعتزلة والذين درسوا فلسفة اليونان، وكان يستشهد في أحكامه بالتاريخ وتجارب ولا يرضى عن الأحكام القائمة لمجرد النظر.

وكان الجاحظ عالماً بالطبيعة والإنسان، وكتابه الحيوان وثيقة الصلة بالكلام لأن المؤلف سعى إلى إظهار وحدة الطبيعة وإلى أن الأجزاء للكون لها متساوية القيمة في نظر الرائي^(٣).

(١) ابن حلكان. وفيات الأعيان ج ١ ص ٧٨.

(٢) انظر دائرة المعارف الإسلامية

(٣) المصدر السابق

استهل المأمون في بلاطه عصرًا من النقاش المستنير لم يسمع به من قبل، ذلك أن المأمون كان ليبرالياً في الفكر بمثل ما كان كريماً في الأخلاق، ولم يكن يحب شيئاً أكثر من أن يجادل العلماء علناً حول أقوى وأدق المسائل الخلافية في الدين - هذه المناقشات التي أجريت عمداً مع الفقهاء وعلماء الدين من جميع المدارس الفكرية قادت إلى الاعتقاد بخلق القرآن، وذلك على خلاف التعليم التقليدي، أما أن الله سبحانه وتعالى أوحى به وأنزله، فهذا ما سلم به بسهولة، ولكنه لم يستطع ولم يكن لديهم الفكرة الخفية التي تذهب إلى أن القرآن كان كلمة الله غير المخلوقة أنزلت من السماء عن طريق جبريل، وانطلاقاً من هذا أعلن المأمون صحة المذهب القائل أن الحياة ليست مقدرة من قبل وأن الإنسان وهب إرادة حرة^(١).

وكان المأمون مثقفاً ثقافة واسعة، ولقد تأثر بالفكر اليوناني الذي شجع على ترجمة الكثير منه إلى العربية، لذلك اعتنق مذهب المعتزلة الذي يعتمد على العقل والمطلق، وقرب المعتزلة إليه مثل أحمد بن أبي دؤاد، وكان منطقياً راجع العقل وقوى نفوذه في قصر الخلافة^(٢).

حمل المأمون الناس على القول بخلق القرآن، وناهض القائلين بأن القرآن قديم قدم الله تعالى، ففي سنة ٢١٨ هـ أمر المأمون حامله علي بن عداد بأن يمتحن الناس في القول بخلق القرآن، وأمره بأن يعاقب من يعارض القول بخلق القرآن، فكتب إليه: «إن من حق الله سبحانه وتعالى وأئمة المسلمين على خلفائهم الإجتهد في إقامة دين الله الذي استحفظهم، وموارث النبوة التي أورثهم... وقد عرف أمير المؤمنين أن الجمهور الأعظم والسواد الأكبر من حشو الرعية، وسفلة العامة... ساروا بين الله تبارك وتعالى وبين ما أنزل من القرآن فاطبقوا مجتمعين، واتفقوا غير متهاجمين على أنه قديم، لو لم يخلقه الله. ويحدثه ويخترعه... ثم هم الذين جادلوا بالباطل، فدعوا إلى قولهم وسبوا أنفسهم إلى أنفسهم إلى السنة. فاستطالوا بذلك على الناس، وغرخوا به

(١) فتونى ناتج. العرب ص ١٢٢.

(٢) ابن خلكان وفيات الأعيان ج ١ ص ٢١

الجهال . . فأجمع من بحضرتك من القضاة، وأقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين هذا إليك، فأبداً بامتحانهم فيما يقولون وتكشيفهم عما يعتقدون في خلق الله القرآن وأحاديثه^(١).

وعلى الرغم من تشدد المأمون في حمل الناس على القول بخلق القرآن فإن بعض العلماء رفضوا رأى الخليفة، وأصروا على أن القرآن قديم وتعرضوا للأذى بسبب إصرارهم وأوصى المأمون قبل وفاته المعتصم بحمل الناس على القول بخلق القرآن، فلما ولّى المعتصم الخلافة سار سيرة المأمون في القول بخلق القرآن، على الرغم من ضآلة ثقته، وإعفاله مجالس المناظرة، ومجالسة العلماء، كما كان الحال في عهد سلفه.

اشتد المعتصم مع المعارضين للقول بخلق القرآن، ومن الذين اشتد في عقوبتهم، أحمد بن حنبل، فعلى الرغم من أنه تعرض للضرب المولم والتعذيب إلا أنه أصر على امتناعه ورفض أن يستجيب لمطلب بعض الذين أشفقوا عليه بأن يقول بخلق القرآن تقية وقال **إذا أحاب** لعالم تقية، والجاهل يحهل، فمتى يبين الحق؟ وأصر الرجل على امتناعه، حتى أعجب الناس بقوة عقيدته، وكان أحمد بن حنبل يقول بأن الله قديم وليس كمثله شيء ولا يقول بخلق القرآن لأن الله لم يقله ورسوله لم يدع إليه.

وعلى الرغم من أن الدين عارضوا القول بخلق القرآن تعرضوا للقتل بأمر من المعتصم إلا أن هذا الخليفة لم يعاقب ابن حنبل بمثل ما عاقب به غيره، لأنه خشى أن يحدث قتله فتنة نظراً لالتفاف الناس حوله بعد أن أعجبوا بصلابته، كما أن المعتصم نفسه أصعب بشجاعته وثباته على ما يعتقد أنه الحق، واكتفى بضربه، ثم أمر بالافراج عنه، ذلك أن المعتصم عقد مجلساً لمناظرة الإمام أحمد بن حنبل، وقال له: لولا أن كنت في يد من كان قبل ما أتعرض إليك. ثم بدأت المناظرة وقال ابن حنبل: القرآن من علم الله، ومن زعم أن علم الله مخلوق كفر بالله وكان صوته يعلو على صوت منظره، وتغلب حججه حججهم، وقى أثناء

(١) الطبري تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ٢١٨ هـ

هذه المناقشة كان الخليفة يتلطف ويقول للإمام أحمد أجبنى إلى هذا حتى أجعلك من خاصتي ومن بطاً بباطي، ولكن الإمام أصر على وجه نظره، واحتج على مناظرته حين أنكروا الآثار بقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا مَا لَا يَحِلُّ لَهُمْ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ وَلَا يَحِلُّ لِبَعْضِكُمْ مِنْ أَمْرِ الْبَعْضِ﴾ سورة مريم الآية ٤٢، ويقول تعالى ﴿وَرَكَّبْنَا لَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ سورة النساء الآية ١٦٤ ونحو ذلك من الآيات البينات، فلما لم يقم لهم معه حجة طلبوا من الخليفة عقابه، فضرب بالسوط، على أن المعتصم ندم على ضربه، وأرسل إليه طبيباً في منزله لعلاج، وجعل يسأل النائب عنه، والنائب يستعلم خبره، فلما عوفي فرح المعتصم والمسلمون بذلك^(١).

بلغ من اهتمام المعتصم بحمل الناس على القول بخلق القرآن. أن أمر حماله بتعليم الصبيان ما ذهب إليه. وعزل كل من يلى وظيفة يقول بغير مقالة. ولما ولي الراشدين الخلافة سار على سياسة أبيه في حمل الناس على القول بخلق القرآن.

ظل الناس في بغداد وفي سائر الدولة العباسية يحملون على القول بخلق القرآن حتى ولي للثوكل الخلافة فعارض مذهب المعتزلة. وأمر بوقف الكلام والمناقشات في موضوع خلق القرآن. وفي آراء المعتزلة وأقوالهم أيضاً، وبذلك انتهى ما أسماه المؤرخون المسلمون محنة القرآن.

العلوم الأدبية،

لما تأسست بغداد أقبل عليها العلماء والأدباء خصوصاً من البصرة والكوفة، وأقاموا بها. وحفظوا بتشجيع الخلفاء وكبار رجال الدولة، وساهموا بنصيب كبير في ازدهار الحياة الأدبية في بغداد ومن أشهر أدباء بغداد، الأصمعي الذي نشأ بالبصرة، وتعلم على علمائها واستفاد منهم، ثم إلى البادية، وحفظ الكثير من أقوال العرب ونواديرهم وأشعارهم «ورحل إلى بغداد. حيث استقر به المقام هناك، ونال شهرة كبيرة لمقدرته الفائقة على شغل أوقات الخلفاء وكبار رجال الدولة بالمسامرات الشيقة، واتصل بالرشيد وناديه، وأخذ الكثير من الأدباء عنه

(١) ابن كثير البداية والنهاية ج١ ص ٣٤١-٣٤٢.

وفي اللغة والأدب، كذلك دخل في مناظرات كثيرة مع العلماء، وقال عنه الشافعي: «ما عبر أحد عن العرب بأحسن من عبارة الأصمعي»^(١). وكان لوجوده في القصور وبين يدي الخلفاء والأمراء، وقِيامة مهمة منادمتهم وحسن استعداداته لذلك أن يروى الشيء الكثير عن حياة العرب الاجتماعية في أسلوب قصصي تناقله أهل العراق وسائر أهل الأمصار^(٢).

ووجد على بغداد في عهد الخليفة المهدي أبا زيد الأنصاري الذي تثقف في مدرسة البصرة، وكان ثقة فيما يروى عن أخبار العرب يلتزم الصدق في الرواية. ولو كانت نادرة، غريبة، لذلك فقد أمد السحو بالشواهد الكثيرة التي رواها عن العرب. وفي عهد المهدي أيضاً نبغ أبو الفضل الضبي الذي صنف كتاب المفضليات، وأهداه للخليفة المهدي^(٣).

ومن أدباء بغداد أبو عبيدة ميمر اللثمي وهو من أصل فارسي. وكان يهودياً لذلك تنوعت ثقافته. فكان عالماً بأيام العرب وأخبارهم وعلومهم، وبالثقافة الفارسية. فصلاً عن معارف اليهود، وأوسع الأطلاع، غير أن شعوبيته ظهرت أحياناً في مؤلفاته. إذ عاب على العرب أحياناً في مصنفاته، وقد قدم إلى بغداد في عهد الخليفة الرشيد، ومكنه إسحاق بن إبراهيم الموصلی من التردد على قصر الخليفة، وقربه إليه، وكان الفرس في بغداد يرفعون من شأنه لأنه منتهم، ويفضلونه على الأصمعي العربي الأصل^(٤).

كذلك قدم إلى بغداد الكسائي - الذي سبقت الإشارة إليه - وأصله فارسي نشأ بالكوفة. وقدم إلى بغداد في عهد الرشيد. وأسند إليه مهمة تأديب ولديه الأمين والمأمون وقد نبغ في اللغة والسحو وبلغ من تقدير الرشيد له أن رفع شأنه. فبعد أن كان من طبقة المؤدبين ارتفع إلى طبقة الندماء^(٥).

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج١ ص ٣٢٢

(٢) أحمد أمين: ضحى الإسلام ج٢ ص ٣٠

(٣) Nicholson. Literary Hist of persia. p. 286.

(٤) ابن النديم: الفهرست ص ٩٧

(٥) ياقوت، معجم الأدباء ج٥ ص ١٨٢

ومن أعلام الأدب في بغداد الفراء تلميذ لكسائي، وقيل لولا الفراء ما كانت العربية لأنه خلصها وضبطها، ولولا ل سقطت العربية. لأنها كانت تتنازع، ويلهبها كل من أراد، ويتكلم الناس فيها على مقادير عقولهم وقرائهم. فشرح الفراء النحو بطريقة واضحة مبسطة يستفيد منها الخاص والعام، وبالإضافة إلى تمكنه من الفقه والنحو فإنه كان عالماً بالنجوم والطب وأيام العرب وأشعارها^(١).

اتصل الفراء بالمأمون، فأمره أن يؤلف ما جمعه من أصول النحو، وما سمع من العرب، وأفرد له حجرات في قصره ليقبم فيها، وظل ستمين حتى انتهى من مؤلفه^(٢).

وليس مجال هذا البحث التاريخي مناقشة الاتجاهات الأدبية لمدرستي الكوفة والبصرة، إما يعني في هذا المقام إبراز هاتين المدرستين على بغداد، فالخلفاء والأمراء العباسيون اعتمدوا على الكوفة في تأديب أولادهم، لذلك وفد الكوفيون بكثرة إلى بغداد وتخبروا ما يناسب مجالس السمر والمنادمة من أقوال، لذلك نراهم يتجهون باللغة والعلم التيها جديداً فيه البساطة والوضوح أكثر مما فعله البصريون، وانتهى النزاع بين المدرستين - أقصد مدرستي الكوفة والبصرة - إلى اندماجهما في مدرسة واحدة، وهي مدرسة بغداد^(٣).

ظهر في العصر العباسي الأول أدباء مشهورون مثل عبد الله بن المقفع، كان شاعراً في نهاية الفصاحة والبلاغة، ترجم من الفارسية إلى العربية، لأنه كان ضليعاً في اللغتين، وقد ترجم كتباً منها كتاب كلیلة ودمنة الذي ترجمه من أقاصيص كتب باللغة السنسكريتية - وهي اللغة الهندية القديمة، ويعد هذا الكتاب من أقدم كتب النثر في الأدب العربي ويمتاز بقوة الأسلوب ومتانة العبارة، وله كتاب مزدك وكتاب التاريخ في سيرة أنوشروان وكتاب الأدب الكبير^(٤).

(١) باقوت، معجم الأدياء ج٧ ص ٣٨٦.

(٢) ابن خلکان: ریات الأعیان ج٥ ص ٢٢٥.

(٣) أحمد أمين: ضحی الإسلام ج٢ ص ٣١٢.

(٤) ابن النديم: الفهرست ص ١٧٢.

ومن أدباء بغداد المشهورين ابن قتيبة الدينوري، شرب في بغداد منتدى الأدب ومهد العلم يومئذ، ففزع للدرس، وجد في التحصيل على علماء الحديث وأئمة اللغة والرواية وشيوخ الأدب حتى صار أحد العلماء الأذكياء وحجة في اللغة والأخبار وأيام الناس وغريباً لقرآن ومعانيه والشعر والفقه، كثير التصنيف والتأليف، ولقد أجمع العلماء على تقدير قيمة مصنفات ابن قتيبة وأنها عظيمة القدر جليلة النفع، وأشهر مولفاته، المعارف وعيون الأخبار وطبقات الشعراء وتاريخ ابن قتيبة وقد توفي سنة ٢٧٦هـ^(١).

وأما عمرو بن بحر الجاحظ، فقد عرف بحرية الفكر والميل إلى الاعتزال ولد بالبصرة، وتثقف في اللغة والنحو والأدب، وشغف بالقراءة حتى قيل إنه لم يقع في يده كتاب إلا استوفى قراءته، وكان يكثرى دكاكين الوراقين، ويبيت فيها للقراءة ولم تقتصر ثقافته على العربية، بل تثقف بالثقافة اليونانية والفارسية على يد أربابها^(٢) وكان لتغلغله الكثيرة في البلدان أثرها بمعرفة أحوال الناس لذلك أعطى صورة واضحة عن الحياة الاجتماعية في عصره، ومن أشهر كتبه «البيان والبيان»، كتاب «الحيوان»، كتاب «التاج على أخبار الملوك» و«التبصر بالتجارة». وألف في علم الكلام كتاب «حلق القرآن»، وفي المجالات العلمية ألف كتاب النبات وكتاب الحيوان.

كذلك وجد الشعر رواجاً كبيراً في بغداد في العصر العباسي الأول، وظهر كثير من الشعراء، ابتكروا منهجاً جديداً في الشعر يختلف عن منهج الذين سبقوهم، ومن أشهر شعراء بغداد أبو نواس نشأ في البصرة واختلف إلى بعض شعراء هذه الأيام ودرس نحو سبويه، وتعلم غريب الألفاظ، وأجاد في جميع أنواع الشعر خصوصاً في الخمر والعزل والبصيدة، وسخر من الأطلال، وخالف في ذلك من سبقه من الشعراء الذين يبدؤون شعرهم بالإشادة بذكرها، وقد أثرت طريقته الشعرية وأساليبه وتصرفه في أبواب النظم، واستباطاته للمعاني، وبال

(١) انظر مقدمة كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة.

(٢) ابن خلكان وفیات الاعيان ج ٢ ص ٢٢

تقدير الخلفاء، وساعد نفوذه عندهم على نشر طريقته وأعتنى بجمع شعره جماعة من الفضلاء^(١).

ومن شعراء بغداد أبو العتاهية الذي نشأ بالكوفة، وأقام في بغداد وكان في أول أمره يعمل بالتجارة، ثم ظهرت برعته في الشعر، وأكثر شعره في الزهد والأمثال وهو في طبقة بشار بن برد وأبي نواس، شعره لطيف المعاني سهل الألفاظ^(٢).

أما أبو تمام فهو شامي الأصل، سار شعره وشاع ذكره، تقرب من المعتصم العباسي فمدحه بقصائد أجازه عليها، وقدمه على شعراء زمانه، واتصف بالظرف وحسن الأخلاق وكرم النفس، وعرف بنزعة العقلية والفلسفية ومن تلاميذه البحتري صاحب الأوصاف البديعة والمدايح الخالدة، وابن الرومي الذي عرف منه حسن التصوير للمعاني^(٣).



(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٣١١.

(٢) ابن خلكان وفيات الأعيان ج ١ ص ١٩٨.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١ ص ٣٠٠.

خير ما كتب في هذا الموضوع المؤرخ المرحوم حسن إبراهيم
حسن وأستاذنا الجليل الدكتور عصام عبد الرؤوف في
كتابه الجليل الحواضر الإسلامية،

حركة الترجمة وأثرها في ازدهار الحياة الثقافية

ازدهرت ترجمة الكتب العلمية التي يسميها العرب الحكمية في العصر العباسي الأول، وبالأدوات منذ عهد الخليفة منصور، وقام بهذا الدور الكبير السريان الذين اقتبسوا الثقافة اليونانية من الإسكندرية وأطاكية، ونشروها في الشرق في مدارس الرها ونصيبين وحراة وجنديبور بالذات، وقد نشط السريان في الترجمة عن الفلسفة اليونانية منذ القرن الرابع الميلادي حتى القرن الثامن^(١).

استفاد العرب من السريان الذين استعملوا بنقل الكتب من اليونانية إلى العربية ونقلوا ما نقلوه أما عن التراجم السريانية القديمة، أو من تراجم نقحوها. ثم أقدموا على نشرها من جديد^(٢).

والخليفة المنصور أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات الأجنبية إلى العربية ومن بين هذه الكتب، كتاب كيلة ودمنة، وكتاب السند هند^(٣) وترجمت له مؤلفات لأرسطو في المنطق وغيره. وترجم له كتاب المجسطي لبطليموس وكتاب أقليدس وكثير من الكتب القديمة من اليونانية والفهلرية والفارسية والسريانية، وأخرجت الكتب المترجمة إلى الناس، ونظروا فيها^(٤):

كانت الكتب الهندية تنقل إلى الفارسية ومنها إلى العربية، وأما الكتب اليونانية فإنها خلافة الرشيد تنقل عن السريانية أو الفارسية لأنها ترجمت إليهما،

(١) دي بورد: تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ١٢

(٢) المصدر السابق.

(٣) Hitti. Hist of the Arabs p. 378.

(٤) المسعودي. مروج الذهب ج ٢ ص ٥٥٤.

أما الكتب اليونانية فلم يبدأ العرب ترجمتها مباشرة إلا منذ سنة ١٩١هـ، ولم يكن العرب في حاجة إلى ترجمة الآداب اليونانية، لأن الآداب العربية غنية، إنما نقلوا العلوم الطبية والفلكية والرياضية والفلسفية وهي العلوم التي كان العرب فني حاجة إليها.

ازدهرت حركة الترجمة في عهد الخليفة الرشيد، فكان من بين ما حصل عليه من غزواته المتعددة في بلاد الروم الكتب النفيسة.

ولما كان الرشيد محباً للعلم، فقد أسند إلى يوحنا بن ماسويه مهمة ترجمة هذه الكتب، ورتب له كتاباً حذاً يكتبون بين يديه، وخلفه أباسهل نوبخت الذي كان منجماً للمنصور - وهو من أصل فارسي^(١)، وتولى منصب رئيس بيت الحكمة، وكان ينقل من الفارسية إلى العربية ما يجده من الكتب الفارسية^(٢).

وثمة ملاحظة هامة، وهو أن حركة الترجمة بدأت أولاً في نقل الكتب الفارسية إلى العربية. لأن دولة العباسيين قامت على أكتاف الفرس، وظهر وزراء فرس في بغداد كانوا أصحاب نفوذ كبير في الدولة العباسية ولما كانت ثقافتهم فارسية وعربية أيضاً، فقد شجعوا حركة الترجمة من الفارسية إلى العربية، وأنفقوا في ذلك أموالاً جمة.

على أن الترجمات التي تمت في عهد المنصور والرشيد قد فقدت ولم يبق سوى الكتب التي ترجمت في عهد المأمون.

شغف المأمون بالفلسفة اليونانية وخصوصاً فلسفة أرسطو، ولم يقدم المسلمون حتى أيامه على ترجمة الكتب الفلسفية لانتهاج أصحابها بالكفر والزندقة فلما قال المأمون بالاعتزال، أمر بنقل كتب الفلسفة من اليونانية إلى العربية^(٣).

(١) ابن النديم: الفهرست ص ٢٨٢.

(٢) ابن الفطحي: أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٥٥.

(٣) المصدر السابق ص ٢٩.

نشطت حركة الترجمة في عهد الخليفة المأمون. ولم يكتف بترجمة الكتب المتوفرة لديه، بل أرسل إلى الامبراطور البيزنطي «تيوفيل» يطلب منه إرسال كتب الحكمة إليه، فلما وصلت هذه الكتب، اختار لها مهرة الترجمة وكلفهم بإحكام ترجمتها فترجمت له. ثم حث الناس على قراءتها^(١).

وكان يوحنا بن البطريق أميناً على ترجمة الكتب الحكيمة، حسن التآدية للمعاني، وكانت الفلسفة أغلب عنيه من الطب، ويذكر ابن النديم^(٢) أن المأمون أرسل بعثة إلى القسطنطينية لشراء الكتب العلمية المخزونة، وكانت البعثة تتكون من يوحنا من ماسويه وحنين بن إسحاق فجاءوا بطرائف الكتب وغرائب المصنفات في الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب، وقد شرع حنين في نقل الكتب عن اليونانية إلى المصنفين السريانية والعربية، ولقد أهله تصفه في اللغة اليونانية لنقل إلى العربية ونقل عن أفلاطون وأرسطو وأبقراط وترجم لبطليموس.

أما إسحاق بن حنين فكانَ أَوحدَ عصره في علم الطب، وكاد يلحق بأبيه في البراعة في الترجمة، إلا أنه ترجم لأرسطو وغيره من الفلاسفة وأكثر ما ترجم في الطب^(٣) وقد يسر مهمة البعثة تلك العلاقات الودية التي سادت بين الدولتين العباسية والبيزنطية قبل سنة ٢١٢هـ أي قبل أن تناصر الدولة البيزنطية بابل الخرمي الثائر على الدولة العباسية^(٤).

ويبدو أن البعثة كانت تتكون من طوائف ثلاثة بعثت الكتب الفلسفية ويرأسها يوحنا بن البطريق، وكان فيلسوفاً أكثر منه طبيباً^(٥)، وقد تولى ترجمة كتب أرسطو خاصة، وطائفة للكتب الفلكية والرياضية ويرأسها الحجاج بن مطر. وكان مختصاً في هذا الفرع وهو الذي نقل المجسطى وأقليدس، وطائفة للكتب

(١) ابن العبري تاريخ مختصر الدول ص ٢٣٦

(٢) الفهرست ص ٣٤٩.

(٣) ابن النديم الفهرست ص ٣٣٩.

(٤) القفطي أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٧٩

الطبية برئاسة يوحنا بن ماسويه^(١) وبهذا عادت هذه البعثة إلى بغداد محملة بكتب تشمل علوماً متنوعة.

ولم يكن الخلفاء وحدهم يباشرون حركة الترجمة، وينفقون عليها، بل جاراهاهم في ذلك كبار رجال الدولة مثل البرامكة وبنو سهل، ومن أبرز من عني بالترجمة في بغداد محمد وأحمد والحسن أبناء موسى بن شاكر، وكانت لهم همم عالية في تحصيل العلوم القديمة وكتب الأوائل، وأفوا أنفسهم في شأنهم، وأنفذوا إلى بلاد الروم من اشتراها لهم وأحضروا النقلة من الأصفاغ الشاسعة والأماكن البعيدة، بالبذل السني فأظهروا عجائب الحكمة وأم العلوم التي عنوا بترجمتها الهندسة والموسيقى والنجوم والفلسفة^(٢).

وكان فرع الطب أهم العلوم التي عني المترجمون بترجمته، وأكثر ما عنوا به بعد الطب الحكمة، أي القصص الخييلة ذات المغزى الخلقى أو النوادر، أو الأقوال الحكيمة وكان يترجم هؤلاء العلماء ما يطعنا نحن، إذا كانوا يعجبون بهذه الأقوال ويجمعونها لما تحتويه من حكمة أو لجمال أسلوبها وحسن عرضها^(٣).

ولقسطا بن لوقا رسالة قصيرة في الفرق بين النفس والروح، ولم تؤثر الثقافة اليونانية في العرب إلا عن طريق الرياضيات والطبيعيات والفلسفة، وقد عرفوا شيئاً عن أطوار الفلسفة اليونانية، ولكن هذه المعرفة كانت مشوبة بأساطير كثيرة^(٤).

على أن العرب استفادوا كثيراً من فلسفة سقراط وأفلاطون وأرسطو فأفلاطون على ما عرف العرب كان يقول بحدوث العالم وبقاء النفس وكونهما جوهرًا روحياً، وهذه آراء لا تتعارض مع عقيدة المسلمين، أما أرسطو فكان يقول

(١) المصدر السابق ص ٣٨٠.

(٢) ابن خلكان: وفیات الأعيان ج٢ ص ٢٤٧.

(٣) ص بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ٣١.

(٤) المصدر السابق ص ٣١.

بقدم العالم، ومذهبه في أمر النفس وفي الأخلاق أقل روحانية من مذهب أفلاطون، فكان العرب يرون فيه تعارضاً مع تعاليم الإسلام حتى لقد صنف بعض المتكلمين كتباً للرد عليه^(١).

ويروى أن يوحنا، أو يحيى بن بطريق، أخرج ترجمة قصة طيشماوس لأفلاطون وأنه ترجم أيضاً كتاب أرسطو في الآثار العلوية، وكتاب الحيوان وأجزاء مأخوذة من كتاب النفس، وترجم كتابه في العالم.

وكان حنين بن إسحاق وابن أخيه حبيش بن الحسن أوفر المترجمين إنتاجاً، ونظراً لأنهم كانوا يشتغلون معاً فإننا نجد كتباً كثيرة تنسب للواحد منهم تارة ولواحد آخر منهم تارة أخرى. وشملت ترجمتهم كل علوم ذلك الزمان، وكانوا يصلحون التراجم الموجودة وترجمون كتباً جديدة وكان حنين يؤثر ترجمة كتب الطب، أما ابنه إسحاق فكان أميل إلى ترجمة كتب الحكمة^(٢).

على أن حركة الترجمة كانت بلاجاً ذو حدين، أفاد العلم من ناحية وأضر بعقائد بعض الناس من ناحية أخرى، وقد أدت الترجمة إلى تداول الناس الكتب ماني وابن ديسان التي نقلها بن المقفع وغيره من الفارسية إلى العربية، فكثرت بذلك الزنادقة، وظهرت آرائهم في الناس، فأمن المهدي في تعقبهم والتسكيل بهم. وأمر الجدلين من أهل البحث من المتكلمين بتصنيف الكتب للرد على الملحدين من الجاحدين وغيرهم، وأقاموا البراهن على المعاندين^(٣).

ومما لا شك فيه أن حركة الترجمة أوجدت مجالاً خصياً للدارسين في مختلف فروع العلم، ويسرت لهم الإطلاع على كتب العلماء السابقين، فاستفادوا منها، وأضافوا إليها تجاربهم ومعارفهم، الأمر الذي دفع العلوم الطبيعية دفعة كبيرة إلى الأمام.

(١) المصدر السابق ص ٣٣.

(٢) المصدر السابق ص ٣٠.

John Glubb: The Empire of the Arabs. p. 333.

(٣) للمعري: مروج الذهب ج ٢ ص ٥٥٤.

العلوم العقلية

يقول ابن خلدون العلوم الطبيعية لارمة للإنسان من حيث أنه ذو فكر وتسمى هذه العلوم عند العرب علوم الفلسفة والحكمة، وهي مشتملة على أربعة علوم، الأول علم المنطق، وهو علم بعصم الدهن عن الخطأ في اقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة بالمعلومة وفائدته تميز الخطأ من الصواب فيما يلتصق الناظر في الموجودات ليقف على تحقيق الحق في الكائنات بفكره الحر، ثم النظر بعد ذلك أما في المحسوسات من الأجسام العنصرية المكونة عنها من المعدن والنبات والحيوان والأجسام الفلكية والحركات الطبيعية والنفس التي تنبعث عنها الحركات، ويسمى هذا الفن بالعلم الطبيعي، والعلم الإلهي هو علم ما وراء الطبيعة، والعلم الرابع هو الناظر في التقدير ويشتمل على علم الهندسة وعلم الموسيقى وعلم الهيئة.



١- علم التاريخ:

بدأ المسلمون يدونون تاريخهم في أواخر العهد الأموي وقد قام في بغداد في العصر العباسي الأول رجال من طبقات الشعب لم يعيشوا في كنف الخلفاء، لذلك جاءت مؤلفاتهم في التاريخ معبرة تعبيراً صادقاً عن أحوال المجتمع الذين يعيشون فيه ومظاهر تطوره.

اتخذ كتاب التاريخ في صدر الإسلام من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وما يتصل بها من غزوات مادة دبوها منها ما سمي كتب السيرة والمغازي، لذلك فكان أول موضوع يتناول التاريخ الإسلامي سيرة الرسول، وقد يسر تدوين الأحاديث وتبويبها لكتاب التاريخ أمر جمع مادة فزيرة عن سير ومغازي الرسول، فكان منها باب يسمى باسم السير والمغازي وسراياه أي الغزوات التي أرسلها دون أن يشترك فيها.

والمؤرخون الذين صنفوا مؤلفاتهم في بغداد اتسعت دائرة معارفهم عن

(١) مقدمة: ابن خلدون ص ٥٦٦ هـ.

سبقهم لأن السابقين لهم كانوا يعتمدون على الحديث فقط في كتاباتهم أما هؤلاء . . الذين سنشير إليهم - فقد تكون عندهم مادة غزيرة ترجع إلى اختلاط العرب بالنصارى واليهود الذين دخلوا في الإسلام، فضلاً عن ظهور طبقة القصاص الذين يحكون سير الرسول وأبطال المسلمين، وبذلك لم يعد الحديث هو المصدر الوحيد للتاريخ بل تنوعت وتعددت مصادره، وكان على مؤرخي بغداد أن يضبطوا الحوادث التاريخية، ويحسنوا عرضها.

ومن أشهر المؤرخين محمد بن إسحاق بن يسار، وهو من أصل فارسي نشأ في المدينة، وأخذ الحديث عن عمه، وعنى بصفة خاصة بجمع الأحاديث التي تتناول سير الرسول ومغازيه، قد الشافعي عنه: من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على ابن إسحاق^(١) ويبلغ من ثقة الخليفة المنصور به أن عهد إليه بتصنيف كتاب في التاريخ لابنه المهدي يبدأ منذ بداية الخليقة إلى يومه، وقام ابن إسحاق بهذا العمل الجليل، وقدم الكتاب للمنصور مرفقاً بموجز له^(٢).

اعتمد ابن إسحاق في كتابه المغازي على الأحاديث النبوية التي أحدها من الرواة في مصر والمدينة المنورة، والأخبار التي يرددها الثقات، وترجع أهمية هذا الكتاب في أن عبد الملك بن هشام اعتمد عليه في كتابه عن السيرة، لذلك يمكن الإلمام بكتاب ابن إسحاق بصورة مختصرة في كتاب ابن هشام، واعتمد على ابن إسحاق كذلك كل من تكلم في السير والمغازي «فعليه اعتماد» وإليه إسناد^(٣).

ينقسم كتاب ابن إسحاق في المغازي إلى ثلاثة أقسام: المبتدأ والمبعث والمغازي، والمبتدأ يشمل تاريخ العرب قبل الإسلام واعتمد على القصص والأساطير، وخصوصاً ما رواه العلماء اليهود والنصارى، وأشار إلى قبائل العرب البائدة مثل عاد وثمود والرسول التي بعثت إلى تلك القبائل، ونقل عن التوراة

(١) ابن خلكان: وفیات الأعيان ج ٢ ص ١٠٥.

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج ١ ص ٢٧١.

(٣) ابن خلكان: وفیات الأعيان ج ٢ ص ١٠٥.

والإنجيل نقلًا حرفيًا، وينقل بصفة خاصة عن وهب بن منبه، وذكر أيضا عبادة الأصنام عند العرب في الجاهلية، وقبيلة قريش وشيوخها قبل الرسول ﷺ^(١)

ويتضمن المبحث بعثة الرسول، واعتمد على أخبار أهل المدينة، وأضاف في كتاباته معلومات دقيقة، ووثائق على جانب كبير من الأهمية مثل الوثيقة التي منحها الرسول ﷺ لأهل المدينة واليهود بها، وتنظيم المجتمع الجديد بالمدينة، أما المغازي فتتضمن غزوات الرسول والرايا وجهاد المسلمين في سبيل الدفاع عن الإسلام ونشره، غير أن المحدثين أخذوا عليه أنه كان لا يتقيد بإسناد الحديث لأنهم يشددون في نسبة كل جزء من الحديث إلى قائله، ولقد عاب ابن حنبل على ابن إسحاق توسعه في نقل الأخبار، وقال: إنه يجمع كتب الناس، ويضعها في كتبه.

يأتي بعد ابن إسحاق في الأهمية في بحثنا عن مؤرخي بغداد، محمد بن عمر الواقدي، كان من أهل المدينة انتقل إلى بغداد، وولى القضاء بها في عهد الخليفة المأمون بالرصافة، وكان عالماً بالمغازي والسير والفتوح واختلاف الناس في الحديث والفقه والأحكام والأخبار، وتوفي سنة ٢٠٧هـ، وله من الكتب كتاب التاريخ والمغازي، وأخبار مكة، وكتاب الطبقات. وفتوح الشام، فتوح المراق، مقتل الحسين عليه السلام، كتاب السيرة... الخ^(٢)، وقد روى أخباره عن علماء المدينة مثل مالك بن أنس، وقد استدعاه الخليفة المهدي إلى بغداد وأمره بأن يفقه الناس، وأجزل له العطاء، ويقول عنه البغدادي^(٣): «ولم يخف على أحد حرف أخبار الناس أثره وسار الركبان بكتبه في فنون العلم من المغازي والسير والطبقات وأخبار النبي ﷺ والأحداث التي كانت في وقته وبعد وفاته».

وقد نبغ الواقدي - كما يتضح مما سبق - في التاريخ، فكان لا يلدع رجلاً من أبناء الصحابة أو أبناء الشهداء ولا مولى لهم إلا وسألهم عما يعملونه من أحداث

(١) ابن النديم: الفهرست ص ٩٢.

(٢) ابن النديم: الفهرست ص ١٤٤.

(٣) ابن خلكان: وفیات الاعيان ج ٣ ص ٤٧٠.

التاريخ وأطلع على جميع المذونات والروايات التي جمعها من سبقه من مؤرخي
سيرة الرسول ﷺ ومغازيه، وكان لا يقتصر على النقل من الرواة، وإنما يتقل
بنفسه إلى أماكن مغارى الرسول فالواقدي أول من رتب التاريخ حسب السنين،
ولقد استفاد الطبري في تاريخه من مؤلفات الواقدي، وكان ابن إسحاق لا يذكر
تواريخ الأحداث الأمر الذي يعقد من قراءتها.

ولقد استفاد كاتبه ابن سعد من كتابه في طبقات الصحابة والتابعين، وسار
على منواله، وحرص على الوصول إلى المصدر الصحيح. ولم يبق من كتب
الواقدي سوى كتاب المغارى.

ويذكر في أول كتابه شيوخه الذين أخذ عنهم مغازيه بعد مقدمة حدد فيها
اليوم الذي هاجر فيه الرسول إلى المدينة، ثم أورد فصلاً عن مغارى الرسول ﷺ
وسراياه، ثم انتهى إلى إيجاز غزوات الرسول، وبعد هذه المقدمة تحدث عن كل
غزوة من الغزوات التي أجمّلها تفصيلاً، والواقدي من أعلم الناس في عصره
بالمغارى والسير، حجة في التعبير والفقه والحديث، وقد اعتمد عليه الطبري في
تاريخه^(١).

أما محمد بن سعد - كاتب الواقدي - فقد روى عن أستاذه، واعتمد في كتبه
على تصنيفات الواقدي، وكان ثقة دائماً بأخبار الصحابة والتابعين، وتوفي سنة
٢٣٠هـ^(٢)، واشترك مع أستاذ الواقدي في بعض مؤلفاته، ومن أحسن كتبه
كتاب الطبقات، وقد قدم له بالحديث عن العصر الجاهلي الأمر الذي تخطاه
الواقدي، وكان الواقدي يبدأ - كما قلنا - بهجرة الرسول، وتضمن في الجزء
الأول والثاني من كتاب الطبقات لابن سعد موضوع سيرة الرسول ومغازيه،
وأفراد الأجزاء الستة الأخرى للصحابة والتابعين، وترجع أهمية كتابه إلى أنه
تحرى الدقة في كثير من مؤلفاته^(٣).

(١) أحمد أمين: ضحى الإسلام ج٢ ص ٢٣٧.

(٢) ابن التميمي: الفهرست ص ١٤٥.

(٣) البغدادي: تاريخ بغداد ج٥ ص ٣٢١.

ومن مؤرخي بغداد الهيثم بن عدي كان عالماً بالشعر والأخبار والأنساب والمناقب والمآثر، وتوفي بقم الصلح سنة ٢٠٧ هـ عند الحسن بن سهل، وله من التصانيف كتاب بيوتات قریش، كتاب الدولة، بيوتات العرب، نزول العرب بخراسان والسواد، تاريخ العجم وبنی أمیة^(١).

ومن الرواة المشهورين علي بن محمد المدائني، وكان من رفاق إسحاق بن إبراهيم الموصلي، وله كتب في أخبار قریش وأخبار الخلفاء والفتوح وكتب في أخبار العرب وكتب في الشعراء، وقد انتشرت كتبه، ولم يعد منها إلا ما رواه الطبري أو البلاذري والمسعودي وابن عدي عنها.

وبالجملة فقد كان عالماً بأيام الناس وأخبار العرب وأنسابهم، وبالفتوح والمغازي ورواية الشعر^(٢).

ومن مؤرخي بغداد أحمد بن يحيى بن جابر المعروف بالبلاذري، اشتغل منذ نعومة أظفاره بتأليف كتاب جامع لتاريخ الدولة الإسلامية أن فيه على الحقائق التاريخية ولحج في هذا الموقف المخرج لمجاهداً تاماً لأنه لم يتمصب لخليفة، ومن مصنفاته ترجمة عهد أردشير من اللغة الفارسية إلى العربية، ولم يقتصر على مجرد الترجمة، بل وضعه في قالب علمي يفيد القارئ وله كتاب أنساب الأشراف، ووضع كتابين تحت عنوان الفتوحات أحدهما كبير والآخر مختصر، ولم يصلنا سوى المختصر، ومن تلاميذه ابن النديم صاحب كتاب الفهرست.

علم الجغرافيا:

يعزو تقدم علم الجغرافيا في بغداد إلى الاهتمام بالأراضي الأجنبية الذي أثاره التجار والملاحون العرب، وإلى عظم مساحة الإمبراطورية العربية، وكانت كتب بطليموس من أهم المصادر التي حرص العباسيون على الاستفادة منها، وترجمها

(١) ابن النديم، الفهرست ص ٤٤٥.

(٢) البلاذري: تاريخ بغداد ج ١ ص ٤٥٥.

الكندى وغيره إلى العربية، واستخدم الخوارزمى هذه المادة لإجراء أبحاثه،
وأخرج بدوره مؤلفه الجغرافى فوجه الأرض^(١).

وفى أواخر العصر العباسى الأول ظهر الرحالة، ومن أبرزهم ابن خردادبه
الذى عاش فى النصف الأول من القرن الثالث الهجرى، كتب كتابه المسالك
والممالك، ويعتبر من أقدم الكتب العربية فى الجغرافيا، وهو عبارة عن دليل
يستفيد منه المسافرون فى الاهتداء إلى الطريق البحرى الذى يبدأ من مصب دجلة
عند الأبله ويصل إلى الهند والصين^(٢).

وبما يدل على عناية المأمون بالبحث الجغرافى أنه جمع علماء عصره وأمرهم
بوضع خريطة للعالم، فوضعوا له خريطة دقيقة كانت أفضل مما تقدمها من
دراسات فى جغرافيا للعالم على عهد بطليموس وغيره من علماء اليونان، ولقد
سميت بالمأمونية، كذلك أمر المأمون سبعين رجلاً من علماء الجغرافيا بوضع كتاب
فى الجغرافيا، فصنفوا كتاباً أفادهم فيه ولاية الأقاليم فى الدولة العباسية إذ كان أشبه
بدليل أرشدتهم إلى مختلف البلاد والأمم^(٣).

ومن الأبحاث الجغرافية التى أنجزت فى عهد المأمون، قياس محيط الأرض
وقد قام به علماء بغداد، وقدروه بنحو أربعة وعشرين ألف ميل، وقد اختاروا
لإجراء تجاربهم، مكانين منبسطين فى صحراء منجار وأرض الكوفة، ونصبوا
الآلات وقاسوا الارتفاعات والميل والافق. وعلموا أن كل درجة من درجات
الغلك يقابلها $\frac{2}{3}$ ٦٦ ميل، وقياس العرب هذا هو أول قياس حقيقى أجرى كله
مباشرة مع كل ما اقتضته تلك المساحة من المدة الطويلة والصعوبة والمشقة،
وخلص العلماء إلى أن الأرض مستديرة^(٤).

وتضمنت مجالس مناظرات الخليفة لوائح مناقشات جغرافية على جانب كبير

(١) الثوري، تاريخ العرب، ص ١١٨.

(٢) مقدمة كتاب المسالك والممالك لابن خردادبه.

(٣) تاريخ العرب، ص ١٧٨.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٤٧.

من الأهمية تضمنت نظريات خاصة بالرياح، وأنواعها واتجاهاتها والحرارة والبرودة، وتأثرهما بالتضاريس من حيث الارتفاع والانخفاض والقرب أو البعد من البحر، وفصول السنة^(١).

علم الفلك

هو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة أو المتحركة، ويستدل من تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك لزمت عنها الحركات المحسوسة بطرق هندسية، وكان اليونانيون يعنون بالرصد كثيراً، ويتخلون له الآلات التي توضع لرصد بها حركة الكواكب المعينة، بقصد معرفة عملها والبرهنة على مطابقة حركتها بحركة الفلك^(٢).

عنى العباسيون في بغداد برصد الكواكب والنجوم، والخليفة المنصور - كما ذكرنا - وضع أساس مديته في الوقت الذي اختاره له المجمعون، وبشروء بطول بقائها وازدياد عمرانها^(٣).

والمصور أول خليفة قرب المنجمين، وحمل بأحكام النجوم، ومن منجميه نوبخت الذي أسلم على يديه، وإبراهيم الفزارى صاحب القصيدة في النجوم وغيرها من علوم الفلك وعلى بن عيسى الأسطرلابي المنجم^(٤).

وبلغ من شغف المنصور بعلم الفلك أن عهد إلى علماء الملك بترجمة أعمال الإغريق والسريان والفرس والهنود، فترجم له كتاب «السند هند الكبير» وظل هذا الكتاب في بغداد أهم مرجع في هذا العلم حتى عهد المأمون، فاختصره الخوارزمي وأضاف إليه إضافات من مراجع فارسية ويونانية، وضم إليه أبواباً مفيدة، وأعتد العرب على ريعه^(٥) وأخذوا منه في وضع أزياجهم، وألف في

(١) عبد الحليم منتصر، تاريخ العلم ص ٨.

(٢) السعدي: مروج الذهب ج ٢ ص ٥٥٤.

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٤٨٧.

(٤) السعدي: مروج الذهب ج ٢ ص ٥٥٥.

(٥) ربيع، جدول فلكي.

الفلك^(١) كما نقل يحيى بن البطريق في عهد المنصور كتاب الأربع مقالات لبطليموس في أحكام النجوم^(٢).

وكان اهتمام المهدي بالنجوم لا يقل عن اهتمام أبيه المنصور فكان تيوفيل بن توما رئيس منجميه عالماً بالنجوم، وصنف فيها كتاباً، وترجم كتاباً في الفلك من اليونانية إلى السريانية، وفي عهد، ثم تصحيح بعض أخطاء كتاب المجسطي لبطليموس^(٣).

وكان الفضل بن سهل - وزير المأمون - حجة في علم الفلك ويقال أن النجوم دلت عليه أن الأمر سيصير للمأمون، لذلك تقرب إليه، وأخلص له، ولما ولي المأمون الخلافة قدر جهود الحسن بن سهل في بلوغه الخلافة فاستورزه، وكان الحسن بن سهل أيضاً على علم بالنجوم، وقد علم مؤامرة لاغتيال أخيه، فعصل من خلال إلمامه بالنجوم. ولا يمكن قبول الروايات التي ترددت عن أن النجوم أنبأت الملحن بها عن الحوادث المستقلة ولكن الناس كانوا في ذلك العصر شغوفين باستطلاع الأخبار عن طريق النجوم

ومهما يكن من أمر فقد انتقلت علوم الإغريق في النجوم إلى العرب وخاصة ما كتبه بطليموس عن الأرض والكواكب والشمس، فقد نقلوا - كما قلنا - كتاب المجسطي، وزادوا عليه ووافقوه في بعض آرائه.

وخالفوه في بعضها. قالوا: إن الأرض مركز الكون، وأنها قائمة في الفضاء، وقالوا بدوران الشمس والقمر والنجوم حول الأرض، وأن القمر أقرب الأجرام السماوية إلى الأرض ويليه الكواكب الأخرى، وأنها جميعاً تدور حول الأرض دورة كاملة كل يوم، كما قاسوا أجرام الشمس والقمر والنجوم بطرق هندسية حسابة بما يقرب من الحقيقة.

(١) ابن العبري. تاريخ مختصر الدول ص ٢٢٠.

(٢) للصدر السابق ص ٢٢٣.

(٣) ابن الفطحي. إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٢١ - ٢٢٣.

«وقاسوا أبعادها عن الأرض، وقد أنشأ المأمون مرصداً في الشامية ببغداد وكان أساس تقدم العرب في النجوم يرجع إلى المراصد التي أقاموها، ولأجهزة التي ابتكروها. على أن معظم المعدات الفلكية التي استخدموها مثل الأسطرلاب كانت في الغالب مبنية على النماذج اليونانية، وأجريت حسابات دقيقة في الفلك، وعلى فروض تفرض لتعليل ما يرى من الظواهر الفلكية^(١)».

وجدير بالذكر أن المراصد تضمنت آلات الأسطرلاب الذي يقيس ارتفاعات الكواكب من الأفق، وتعيين الزمن، وحل كثير من المسائل الفلكية، كما وضعوا الأرياح، وهي جداول فلكية تتضمن قوانين رياضية فيما يختص بكل كوكب عن طريق حركته، مثل ريج البلخي وريج الخوارزمي

وكانت أبحاث الكندي في الفلك تسير على أساس علمي، ولم يؤمن بالتنجيم وقد لاحظ أوضاع النجوم والكواكب وبخاصة الشمس والقمر بالنسبة للأرض. وما ينشأ عنها من ظواهر يمكن تقديرها من حيث الكم والكيف والزمان والمكان. وربط بين ذلك ونشأة الحياة على الأرض في آراء توضح مقدرته العلمية الفائقة وله كتاب في البصرييات، وآجر في الموسيقى ووضع رسالة في زرقة السماء أوضح فيها أن منشأ هذا الكون الأضواء الناجمة عن درات العبار وبخار الماء الموجود في الجو، وله رسالة في المد والجزر وضعها على أساس تجريبي^(٢).

ولقد صنف الكندي في الفلك رسائل علمية على جانب كبير من الأهمية حتى اعتبره بعض المؤرخين واحداً من صماتية هم رواد العلوم الفلكية في العصور الوسطى^(٣).

ولقد صنف الكندي عالماً في رسائل علمية على جانب كبير من الأهمية حتى اعتبره بعض المؤرخين واحداً من ثمانية رواد العلوم الفلكية في العصور الوسطى ولم يكن الكندي عالماً في الفلك فحسب بل عالماً أيضاً في الطب والفلسفة والمنطق والرياضيات، وكان مهتماً وطيباً وفيلسوفاً، وقد عهد إليه المأمون بترجمة كتب أرسطو.

(١) مختصر، تأريخ العلم عند العرب من ١٠٨

(٢) المصادر السابق

(٣) ابن التميمي، الفهرست من ٢٨٣.

وكان الكندي منصرفاً إلى الحياة العلمية عاكفاً على طلب الحكمة ينظر فيها إلتماساً لكمال نفسه، ويقول العقل من يظن أن فوق علمه علماً، فهو أبداً يتواضع لتلك الزيادة، واجاهل يظن أنه قد تهاهى فتمقته الفرس^(١) وللكندي مؤلفات تزيد على المائتين في الفلسفة والفلك والحساب والهندسة والطب والطبيعات والموسيقى والنفس والمنطق والصيدلة والمد والجزر وعلم المعادن والخواهر^(٢).

كذلك اهتم جابر بن حيان بدراسة علم الفلك، وتوصل إلى أن الكواكب السبعة تختلف في مقدار الحرارة التي تستمدّها من الشمس باختلاف قربها منها أو بعدها عنها فالشمس هي التي تمد الكواكب كلها بالحرارة والنور، والشمس وسط بين الكواكب فتصل حرارتها إلى الكواكب كلها. وعلى قدر القرب أو البعد من الشمس تكون حرارة الكوكب درجته كل كوكب من حيث ظواهره الطبيعية وخصائصه، وكما درس خصائص البروج.

ومن أبرز من تصدى لعلم الفلك في بغداد جعفر بن محمد بن محمد بن عمر البلخي، وكان أمام وقته في فقه وله التصنيف المفيدة في علم الفلك.

ولم يكن الخوارزمي عالماً في الرياضيات فقط بل كان من المهتمين بعلم الفلك وكان أحد منجمي المأمون، ولعله اشترك في حساب ميل الشمس في عهده وجري على العكوف في مكتبة المأمون للإطلاع، وكان من المسجّمين الذين استدعاهم الواثق في مرضه الأخير لينزه بما يكون من أمره، وقد انصرف إلى دراسة الجغرافيا والفلك والتاريخ بالإضافة إلى الفلك، وألف كتاب التاريخ الذي اعتمد المسعودي في بعض كتاباته، وألف كتبه قبل عصر ازدهار الثقافة اليونانية واعتمد على الهندوس والسريان والفرس في دراساته، أما المصادر اليونانية فكانت تأتي في المرتبة الثانية من مصادره، وقد ألف كتابين في الأسطرلاب، وتناول فيه مسائل في التنجيم من الناحية العملية، وأعد مجموعة من صور

(١) ابن النديم: الفهرست ص ٣١٠.

(٢) Hitti: Hist of the Arabs, p. 670.

السموات والعالم نزولاً على طلب المأمون^(١)، ومن هذه الصور كتاب صورة الأرض.

الرياضيات

أخذ العرب عناصر فلسفتهم الطبيعية من مؤلفات أقليدس وبطليموس وإبقراط، وجالينوس، ومن بعض كتب أرسطو بالإضافة إلى كتب ترجع إلى المذهبين الفيثاغورثي والافلاطوني^(٢).

أما الرياضيات بالذات - موضوع حديثنا - فقد أخذ العرب عن فيثاغورث حقيقة استفاد العرب من الهند في هذا المضمار، لكن من الثابت أن المسلمين تأثروا بالدرجة الأولى بفيثاغورث الذي يعتبر أستاذهم بحق^(٣).

أخذ العرب عن الهند نظام الترقيم، وكان العرب يكترون الأمثلة والتمارين في مؤلفاتهم، ويأتون بمسائل علمية تتناول ما يقتضيه العصر من معاملات مالية وتجارية وكان محمد بن موسى الخوارزمي أول من اقتبس الأرقام الهندية في مؤلفاته وكتبه في الحساب، وكان بحثه في الحساب الأول من نوعه في عذارة مادته ودقته، كذلك كان محمد بن موسى الخوارزمي أول من ألف في علم الجبر في عهد الخليفة المأمون وعلى ذلك يمكن القول بأن الخوارزمي راضع علم الجبر والحساب، وما لا شك فيه أن الخوارزمي أطلع على ما عند الإغريق والهنود من علم رياضي، ويغلب على الظن أنه لم يكن يوجد علم الجبر قبل الخوارزمي^(٤).

امتازت خلافة المأمون بالتقدم في الرياضة، ولعل أبهى وأهم ما أسهم به العرب في العلم الغربي كان إدخال الأرقام والإعداد الألفية الشائعة الآن، فحتى القرن الثالث عشر الميلادي، كان علماء الرياضيات في أوروبا ما يزالون

(١) دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ١١

(٢) المصدر السابق ص ١١١.

(٣) عبد الحليم متصر: تاريخ العلم عند العرب ص ٩٢-٩٣.

(٤) مقدمة ابن خلدون ص ٤٨.

يستخدمون الأرقام الرومانية القديمة المعقدة، ولكن بمجرد إدخال الأرقام الأفريقية حدث التقدم في العلم الرياضى^(١).

كان أبو يعقوب بن إسحاق الكندي من قبيلة كنده من أصل عربي، لذلك لقب فيلسوف العرب، تمييزاً له عن أقرانه من المتوفرين على دراسة الحكمة العقلية من غير العرب، ولقد درس الكندي الثقافة الفارسية واليونانية في البصرة وبغداد وبعض مدن العراق، واشتغل بترجمة الكتب اليونانية إلى العربية، وتهذيب ما ترجمه غيره، وكان له تلاميذ يترجمون تحت إشرافه واشتغل في قصر الخلافة منجماً، وكان الكندي واسع الإطلاع على جميع العلوم لذلك صنف في عدة علوم مثل الجغرافيا وتاريخ المدن والطب، وعلم الكلام الذي يظهر فيه مله إلى المعتزلة، وكان ملماً بمذاهب والملل المختلفة لذلك برع في المقارنة بعضها ببعض^(٢).

على أن الكندي قد بلغ في المرتبة الأولى في الرياضيات والفلسفة الطبيعية ويرى أن الإنسان لا يكون فيلسوفاً إلا إذا درس الرياضيات المركبة، وللكندي نظريات فلسفية تتعلق بالله والنفس والعقل والعلم. فيرى أن كل ما يقع في الكون يرتبط ببعضه ببعض ارتباط علة بمعلول، وإلى العقل مرد كل شيء والمادة تتخذ الصورة التي يشاء العقل إفاضتها عليها^(٣).

ولقد كان للكندي الكثير من التلاميذ الذين استفادوا من مصنفاته في الرياضيات وأحكام النجوم والجغرافية والطب.

عنى الخلفاء العباسيون بعلم الهندسة عنايتهم يغيروا من العلوم، ففي عهد الخليفة المنصور، ترجم كتاب أقليدس المسمى الأصول وكتاب الأركان ويشتمل على خمس عشرة مقالة منها أربعة في السطوح وثلاثة في العدد وخمسة في

(١) لثوني ناتج: العرب ص ١٧٧-١٧٨.

(٢) دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ١٣٨-١٤٢.

(٣) دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ١١٣.

المجسمات، وقد ألف العرب كتاباً على نسقه، وأدخلوا تمارين جديدة لم يعرفها القدماء. وبما شجع العرب على الاهتمام بالهندسة أنها على حد قول ابن خلدون تفيد صاحبها إضاءة في عقله، واستقامة في فكره، ولأن براهينها كلها بينة الانتظام، جليلة الترتيب، لا يكاد يدخل العلط أقيستها لترتيبها وانتظامها^(١)، على كل حال وضع العرب أسس الهندسة التحليلية، ومهدوا لنشأة علم التفاضل والتكامل^(٢).

ومن أبرز علماء الرياضة في بغداد أبناء موسى بن شاكر، وقد شجعهم المأمون وقربهم إليه، ولهم أبحاث في الميكانيكا، كما ألغوا في مراكز النقل وكتبوا في الآلات^(٣).

علم الطب

يعتبر أبوقراط المعلم الإنساني الأول لمهنة الطب، وهو أول من رتب الطب ورويه، وذلك في القرن الخامس قبل الميلاد. ولقد بنى الطب على أسس علمية صحيحة وروع من آداب المهنة، وأرسى تقاليدها وطهر الطب من الخرافات، وجعل التجربة الصحيحة أساساً له، وخلف مبعاً وثمانين كتاباً ورسالة في شئون الطب، ونقل العرب عدداً من كتبه، ونبغ في الطب عدداً من أساتذة جامعة الإسكندرية القديمة وكان جالينوس أشهرهم ويمثل المكان الثاني بعد أبوقراط وترجم العرب كتبه أيضاً.

نخلص من ذلك إلى أن بغداد أصبح لدى علمائها مادة عزيزة في الطب ولقد شجع الخلفاء العباسيون الأطباء على تأدية رسالتهم الإنسانية، فمنحوهم الرواتب الكثيرة وكافأوهم أحسن مكافأة، كما شجعوهم على الترجمة والتصنيف وأسسوا المدارس الطبية والبيمارستانات من بينها بيمارستان لعلاج مكفوفى البصر،

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٨٦.

(٢) عبد الحليم متصر، تاريخ العلم عند العرب ص ٩٢-٩٣.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٤٨.

ومصحة للمصابين بأمراض عقلية، وكان بيت الحكمة مزوداً بالكتب الطبية القيمة.

اعتمد العباسيون على أطباء حند يسابور في العلاج، فلما مرض الخليفة المنصور، بعث في طب جورجيس بن جبريل، وكان له خبرة بالطب، ومعرفة أنواع العلاج وقد قدره المنصور لأنه أحسن علاجه، ووجد راحة عظيمة في جسمه، وتخلص من الأمراض وجدير بالذكر أن جورجيس نهى المنصور عن الإسراف في الطعام، وطلب منه تخفيف العناء وترجم هذا الطبيب للمنصور بعض الكتب الطبية، واعتمد على أطباء غيره من السريان^(١).

على أن أسرة بختيشوع قد نبغ أفرادها في علم الطب، واعتمدت عليهم بغداد اعتماداً كبيراً لسعة ثقافتهم وإخلاصهم، فلما مرض الخليفة الهادي أرسل إلى جند يسابور بامتدعاء بختيشوع^(٢) لكن الهادي توفي قبل مقدم هذا الطبيب، على أنه عالج الرشيد ولاحظ دقته وبراعته^(٣) وخلع عليه خلعة حسنة جليلة، ووهب له مالاً وافراً، وعين بختيشوع رئيساً للأطباء، وله كتب منها «التذكرة»^(٤).

أما جبريل بن بختيشوع فكان مشهوراً بالفضل جيد المناواة عالى الهمة، حفيظاً لدى الخلفاء، حصل من الخلفاء من الأموال مالم يحصله غيره من الأطباء وجعله الرشيد رئيساً للأطباء في بغداد، وبلغ من تقديره له أن قال: كل من كانت له حاجة فليخاطب بها جبريل لأنى أفعل كل ما يشاء، وكان رجال الدولة يقصدونه في كل أمورهم^(٥) لأنه أحسن علاج الرشيد، ووزراء، وخاصته، وكان الأمين لا يأكل ولا يشرب إلا بأذنه، وأجرل له العطاء، ولما ولي المأمون الخلافة غضب عليه وقبض عليه، لكن المأمون مرض، وعجز الأطباء عن علاجه ولما سمح لجبريل بعلاج المأمون شخص مرضه ووصف له دواءً شفى به ورد إليه الأموال التي صادرها منه، وبالف في إكرامه، ولما مرض جبريل طلب منه المأمون

(١) ابن أبي أصيبعة. طبقات الأطباء ج ٢ ص ١٢٥

(٢) المصدر السابق ص ١٢٤.

(٣) المصدر السابق ص ١٢٦.

أن ينقل إليه ابنه بختيشوع لعلاجيه ولما قدم على المأمون فيه سعة العلم بالغ في إكرامه، ورفع منزلته^(١).

والخلاصة أن آل جورجيس من الأطباء أجل أهل زمانهم بما خصهم الله من ترف النفوس ونبل الهمم ومن البر والمعروف والأفضال والصدقات، وتفقد المرضى من الفقراء والمساكين والأخذ بيد المكويين^(٢).

ونبع في الطب في بغداد أطباء من أصل سرياني نخص بالذكر منهم يوحنا بن ماسويه ولأه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة، وله تصانيف قيمة، وكان يجتمع إليه تلاميذ كثيرون^(٣) ومن أطباء بغداد سهل بن سبور، وجبريل الكحال، ومن أطباء المعتصم مسلمويه وكان على حد قول المعتصم «يمسك حياته ويدبر جسمه»^(٤).

وكان المعتصم ذا بأس وشدة في جسمه وشجاعة في قلبه فلاحظ طبيب المعتصم أنه - أي المعتصم - قد تغير لونه، ونضامت قوته وكان قد حالف رأى طبيبه في الطعام، إذا كان ينصحه بتجنب الأطعمة العسيرة الهضم، وكان في أكثر أموره يستمع إلى نصائح طبيبه، ويكثر مشورته، ثم عاد فخالف مشورة طبيبه، حتى أنه كان يأكل ويقول «أكل هذا على رغم أنف ابن ماسويه»^(٥).

وكان على الطبيب أن يلم بالكواكب في كل ما يعرض له من حالات، فالطبيب أخو المنجم، فكانت أم جعفر بن أبي الفضل في قصر عيسى بن علي الذي كانت تسكنه تعقد مجلساً لا يجلس فيه إلا الأطباء والمنجمون، وكانت لا تعرض نفسها للعلاج إلا إذا حضر أهل المهتين، وتشكو علتها، فيشاور الأطباء فيما بينهم حتى يجتمعوا على العلة ولعلاج فإذا كان بينهم اختلاف، دخل

(١) ابن أبي أصيبعة - طبقات الأطباء ج ٢ ص ٢١٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ابن العبري - مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٦.

(٤) المصدر السابق ص ٢٤٣.

(٥) السعدي: مروج الذهب ج ٢ ص ٢٦٢.

الفلكيون بينهم، ورجحوا كفة من يروه مصيباً، ثم تسأل المجمين عن اختيار وقت مناسب للعلاج، فإن اجتمعوا على وقت وإلا نظر الأطباء فيما بين المنجمين من اختلاف وحكموا، وإلا لزمهم القياس^(١).

ولم يكن الخليفة الراحل أقل اهتمام من أسلافه بعلم الطب، بل كان يكرم أهل العلم عموماً، وكان يعقد مجالس مناظراته في فروع العلم المختلفة، ومن بينها الطب، ومن مناظرات أطبائه يتضح لنا أن الأطباء في بغداد كانوا يعتمدون على التجربة، وقسموا التجربة إلى قسمين، قسم طبيعي وهو ما تفعله الطبيعة في الصحيح والمريض، وقسم عرصى وهو ما يعرض للحيوان من الحوادث والنوازل، وقسم إرادي، وهو ما يقع من قبل النفس الطائفة - أي السواحي النفسية والعصية التي قد تصيب الإنسان - وحرصوا على تشخيص المرض بدقة، واستعمال الدواء المناسب من مرض إلى مرض يشبهه، ومن عضو إلى عضو يشبهه ومن دواء إلى دواء يشبهه، وكل ذلك لا يمكن استعماله إلا بالتحريكة كذلك حددوا وظائف الأعضاء، وقرروا أن الضدين لا يجوز اجتماعهما في حال، وأن وجود أحدهما يتفق وجود الآخر وعرفوا أن السيل إلى معرفة الطب مأخوذ من مقدمات أولية، منها معرفة طبائع الأبدان والأعضاء وأفعالها ومنها معرفة الأبدان في الصحة والمرض ومعرفة الأهمية واختلافها، والأعمال والصنائع والعادات والأطعمة والأشربة، ومعرفة قوى الأمراض.

وكما تختلف الحيوانات في صورها وطبائعها، كذلك أعضاء الحيوان مختلفة في صورها وطبائعها، وأن الأحياء الحيوانية تتغير بالاهوية المحيطة بها، وبالحركة والسكون والأغذية والنوم واليقظة وسهولة الهضم والأعراض النفسية من الغضب والحزن وأثبتوا أن خير دواء هو الذي يظهر تأثيره الصحيح في الجسم^(٢).

(١) ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء ج ٢ ص ١٣٠.

(٢) للسعدي: مروج الذهب ج ٢ ص ٣٨٥.

كذلك حنق الأطباء في بغداد في طب الأسنان، فقسموا الأسنان إلى ٣٢ سنّاً منها في اللّحى الأعلى ستة عشر سنّاً وفي اللّحى الأسفل كذلك، وتوجد قواطع أربع في كل واحد من اللّحين عراض محددة الأطراف، وعن جنبى هذه الأربع في كل واحد من اللّحين سنّان رءوسها حادة، وأصولها عريضة وهي الأنياب، وبها يكسر كل ما يحتاج إلى تكسيه من الأشياء الصلبة بما يؤكل، وعن جانبي النابين في كل واحد من اللّحين خمس أسنان، وهي الأضراس، وتسمى الطواحين لأنها تطحن كل ما يؤكل، وكان في بغداد أطباء للعيون^(١).

كذلك برع أهل بغداد في علم الصيدلة، ومن أبرز علماء الصيدلة كوهين العطار اليهودى الذى وضع كثيراً من المؤلفات منها كتاب الصيدلة، شرح فيه العقاقير شرحاً وافياً وأوضح طريقة عمل المشروبات والجمرعات والمساحيق والحبوب وغيرها.



الكيمياء

كذلك نشط أهل بغداد في دراسة علم الكيمياء، وأخرجوا فيه أبحاثاً قيمة، ومن أشهر علماء الكيمياء جابر بن حبيب، ولد بحرامسان سنة ١٢٠ هـ درس الكيمياء على يد أستاذه جعفر الصادق، وأقام في بغداد، واتصل بالبرامكة، ونال حظوة عندهم، وغادر بغداد بعد نكبة البرامكة، ويعتبر جابر بحق واضع علم الكيمياء، أعتمد على التجربة في وضع نظرياته، وتحقيق ما كتب، وألف كتباً في الرياضيات والفلسفة والفلك بالإضافة إلى ذلك^(٢).

ولقد توصل من خلال أبحاثه إلى تكوين الزئبق والكبريت وله أبحاث في التفاعلات الكيماوية والمعادلات، فمثلاً حدد العناصر التي تكون الذهب وكان جابر ينصح تلاميذه دائماً بالتجربة وعدم الاعتماد في الأبحاث العلمية إلا عليها مع التدقيق في الملاحظة والاحتياط والثبات في الاستنتاج، لأن التجربة طريق

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٨٦.

(٢) عبد الحليم متصرف: تاريخ العلم عند العرب ص ١٦٢.

المعرفة، ولقد عرف جابر الكثير من النظريات الكيميائية كالتبخير والتقطير والترشيح والتبلور والتصفيد والإدبة، وحصر كثيراً من المواد الكيميائية، وعرف خواصها مثل نترات الفضة وحامض الأروتيك وهو أول من لاحظ أن محلول نترات الفضة يكون مع محلول ملح الطعام راسباً أبيض «وأن النحاس يكسب الذهب لوناً أخضر ولقد ميز بين التقطير والترشيح»^(١).

ونظرية جابر في طبيعة المعادن تشير إلى أنه كان أكثر تقدماً عن نظريات اليونان العلمية، وعن نظريات مدرسة الإسكندرية، فالمعادن عنده مقومان دخان أرضي وبخار مائي وتكثيف هذه الأبخرة في حواف الأرض ينتج الكبريت والزئبق، واجتماع هذين يكون المعادن والفروق بين المعادن الأساسية يرجع إلى فروق في النسب التي يدخل فيها الكبريت والزئبق في تكوينها، ففي الذهب نسبة الكبريت إلى الزئبق نسبته نسبة تعادل بين هذين العنصرين، وفي الفضة يكون العنصران متساويين في الوزن، أما النحاس فيضم من العنصر الأرضي أكثر مما في الفضة والحديد والرصاص والقصدير فيها من ذلك العنصر أقل مما في الفضة. ولما كانت المعادن مكونة من مقومات مشتركة، فإن تحويل بعضها إلى بعض يصح أمراً مستطاعاً وعندما يقوم الكيميائي بهذا التحويل فإنه يؤدي في وقت قصير ما تؤديه الطبيعة في وقت طويل^(٢).

ولقد توصل جابر إلى نظريات ثبتت بحقيقته، منها النظرية التي تقول بأن الاتحاد الكيميائي يكون باتصال ذرات العناصر المتفاعلة بعضها ببعض ونظرية جابر هذه لا تختلف كثيراً عن النظرية الذرية التي وضعت بعد ذلك بألف عام.

لقد ترجمت كتب جابر إلى لاتينية، وظلت أهم مرجع في علم الكيمياء زهاء ألف عام، وكانت مصنفاته، وصع دراسة مشاهير علماء العرب، ومنهم من أنصف جابر وأشاد بأعماله ومنهم من أثار الشك والريبة حول جهوده بل أنكر

(١) Hunt: Hist of the Arabs pp. 380-301.

(٢) زكي نجيب محمود: جابر بن حيان ص ٢٤٧.

وجوده، وقالوا لا يمكن أن تكون كتب جابر وما تحويه من معلومات قيمة من وضع رجل عاش في القرن الثاني الهجري^(١).

والحق أن جابر كيميائي العرب الأول، فهو أول من بحث في علم الكيمياء ولقد أصاب من ارتفاع المكانة وفخامة الثراء وبعد الصيت ما جعله موضع التقدير وقال عنه القفطى^(٢)، كان متقدماً في العلوم الطبيعية بارعاً منها في صناعة الكيمياء، وله فيها تأليف كثيرة، ومصنفات مشهورة، وكان لا يقبل تعليم أحد الكيمياء إلا إذا اطمأن إليه اطمئناناً كاملاً على قدرته العلمية وحسن استعداده وعلى حد قوله: أعلم أن من المقترض على كتمان هذا العلم وتحريم إداخته لغير المستحق من بنى نوعنا، والا نكتمه عن أهله^(٣) لأن وضع الأشياء في مجالها من الأمور الواجبة، ولأن في إداخته خراب العلم وفي كتمانها تصيباً لهم، ويذكرون أن الكيمياء هناء الدهر^(٤).

وينسب إلى جابر بن حيان عدد كبير جداً من الكتب والرسائل يدور كثير منها حول الكيمياء والوسائل التي يستطيع بها الكيميائي أن يدل طوائع الأشياء تبديلاً يحولها بعضها إلى بعض، وذلك أما بحذف بعض خصائصها أو بإضافة خصائص جديدة إليها، لأنه إن كانت الأشياء كلها ترتد إلى أصل واحد، كان تنوعها راجعاً إلى اختلاط في نسب المقادير التي دخلت في تكوينها، فليس الذهب - مثلاً - يختلف عن الفضة في الأساس والخواص، بل هما مختلفان في نسبة المزج، فإما زيادة هنا أو نقصان هناك، وواجب الكيميائي تحليل كل منهما تحليلاً يهديه إلى تلك النسبة، كما هي قائمة في كل منهما^(٥).

وكان ابن حيان يرى أن العالم في استطاعته أن يجاوز الطبيعة إلى ما وراءها

(١) دائرة المعارف الإسلامية (جابر بن حيان).

(٢) عبد الحليم متنصر، تاريخ العلم عند العرب ص ١٦٢-١٦٤.

(٣) القفطى: إختار العلماء ص ٢٢٠.

(٤) وكى لمحيب محمود: جابر بن حيان ص ٤٥-٤٦.

(٥) دائرة المعارف الإسلامية.

بالبحث العلمي المجرد، وهذا يسر له استخراج كوامن الطبيعة، ففي وسع الباحث العلمي أن يلتصق طريقه إلى تحقيق غايته في الوصول إلى الحقيقة العلمية^(١).

والواقع أن جابر يفرد أو يسبق غيره في المنهج العلمي، فهو حريص على أن يقصر نفسه على مشاهداته المستندة إلى التجربة التي تثبت صحتها، وكان لا يعتمد على أقوال الغير ما لم تزيد بها التجربة التي يجربها هو، ولا يعتمد على ما توصل إليه غيره من نتائج علمية إلا إذا كسرت ثقات مشهود لهم بأمانتهم العلمية.

ومذهب ابن حيان العلمي يسير في ثلاث خطوات، الأولى أن يفترض العالم فرضاً ليفسر الظاهرة المراد تفسيرها، والثانية أن يستنبط من هذا الفرض نتائج ترتب عليه، والثالثة أن يطابق هذه النتائج على الواقع فإن صدقت تحول الفرض إلى قانون علمي^(٢).

ويرى ابن حيان أن العالم يجب أن يكون مثابراً في جهوده العلمية التي تهدف إلى الكشف عن الحقيقة مهما كلفه هذا البحث من عناء وجهد، ويؤكد ابن حيان أنه لا نجاح في عمل علمي إلا إذا كان مسبقاً بعلم يشعنه التجربة ثم التطبيق^(٣).

ويرى جابر بن حيان أن أول ما كان في الأزل هو العناصر الأولية الأربعة الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة، فهذه هي أوائل الأمهات البسائط كما يسميها، ثم طرأت على هذه البسائط حركة وسكون فتكون منها تركيبات متنوعة، ولولا الحركة والسكون لظلت تلك الأصول الأولى مستقلة بعضها عن بعض كل منها خالص لنفسه.

ومن هذه الأصول الأربعة الأولى الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة نشأت أربعة عناصر، وذلك بإجتمع تلك الأصول بعضها ببعض اثنين اثنين. فقد اجتمع

(١) ركي لجوب محمود جابر بن حيان، ص ٥٢ وما بعده.

(٢) ركي لجوب محمود، جابر بن حيان ص ٦٤.

(٣) القفطي. أخبار العلماء ص ٢٢٣.

الحار واليابس فنشأت النار واجتمع الحار والرطب فنشأ الهواء، واجتمع البارد واليابس فنشأ الأرض، واجتمع البارد والرطب فنشأ الماء، وفصول السنة أربعة تقابل تلك العناصر الأربعة فالصيف يقابل النار، والربيع يقابل الهواء، والشتاء يقابل الماء والخريف يقابل الأرض^(١).

وجابر بن حيان تلميذ الإمام جعفر الصادق المتوفى سنة ١٤٨ هـ وأول ما تشير إليه مؤلفاته مسائل تتعلق بتاريخ الدين، فكما أن أصحاب الكيمياء القدامى من اليونانيين مزجوا تعاليمهم بمذاهب العرفان وغيرها من آراء المسيحية، فقد ظهرت شيعة جابر في كتاباته في تاريخ الدين فيشير إلى أن مفاتيح العلم اليوناني في أيدي الأئمة المعصومين من ذرية علي بن أبي طالب.

وبعد دراساته لتاريخ الدين يتناول الكيمياء ثم الطب ثم الفلك والسحر (الطلمسات) وعلم الخواص أي القوى الباطنة في بطون الأشياء الطبيعية وعلم الكون أي تكوين الأحياء بطرق صناعية وقويجيم كهيئة مصنعات جابر بن حيان إلى أنها تمكنا من التعرف على جوانب كبيرة من العلوم اليونانية التي فقد الكثير منها، ويروي عن كتب أفلاطون وأرسطو وجالينوس، وأقليدس وبطليموس وأرشميدس وغيرهم، ويأخذ عن ترجمات حنين بن إسحاق، وأنه إسحاق وتلاميذهما^(٢).



كذلك شهدت بغداد دراسات مستفيضة في علم الحيوان وعلم النبات ومن عكفوا على دراسة الحيوان، الجاحظ في كتابه (الحيوان) وصف فيه الكثير من أنواع الحيوان من طير ووحش وأسماك وحشرات وزواحف وثدييات وما إليها ولقد أهتم هؤلاء العلماء بالشكل العام للحيوان وما نسميه الآن سلوك الحيوان.

أما علم النبات فقد شغف العرب بدراسته لأن معظم العقاقير التي كانت تستخدم في العلاج من النبات أو خلاصات نباتية حتى أن الأطباء كانوا يعرفون بالعشابين.

(١) فكرة للعارف الإسلامية (جابر بن حيان).

(٢) انظر فكرة للعارف الإسلامية (جابر بن حيان).

ولقد درس جابر بن حيان الحيوان والنبات وقسم الحيوان إلى أربعة أقسام، وكل من هذه الأقسام مؤلف من نفس وجوهر وحرارة وبرودة وبيرة ورطوبة محصورة كلها في مكان وفي زمان، والإنسان يزيد عن أنواع الحيوانات الأخرى بما خصه الله من العقل^(١).

ويقول جابر عن النبات أنه يختلف عن الحيوان في شيئين: وهما النفس والعقل ويقارن بين الحيوان والنبات من حيث تركيب كل منهما، وكذلك يوازن بين الحيوان والنبات من حيث الطبع ويجد هنا تشابها بينهما، في أن كلا منهما ينقسم ثلاثة أقسام في مراحل التطورية، وهي الأول والبلد والزكى المرحلة التي تتمثل في النبات، ومرحلة الشعور تتمثل في الحيوان الذي يشعرويون على وهي بأنه شاعر^(٢).

أما كتاب الحيوان للجاحظ لم يكتف فيه بدراسة الحيوانات فحسب، بل ظهر ميلا نحو دراسة الحشرات والمخلوقات المتناهية في الصغر، وفي هذا الكتاب نظريات علمية وأدب ونقد فهو لذلك من كتب علم الاخلاق وهو العلم الذي أوحده الجاحظ.

علم الموسيقى

تقدم فن الموسيقى في بغداد في العصر العباسي الأول، فاردحت قصور الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة بالموسيقين والقيان، وأنعم عليهم، وحصلوا على الجوائز السنوية والصلوات الكبيرة

وكان الفنانون الكبار يساعدهم في العاء الآلاتي والقبضة والقيان يتعلمن على الفنانين الكبار ورأينا أن إسحاق الموصلي كان يدرّب القيان على العناء بأثمان باهظة.

ذكرنا أن من أبرز الموسيقين في بغداد إسحاق الموصلي، ويبدو أن الخليل بن أحمد - وهو من أشهر علماء عصره - أول من كتب الرسائل العلمية الخفة في

(١) زكى نجيب محمود. جابر بن حيان ص ١٧٨

(٢) القفطي. إختيار العلماء ص ٢٢٥

علم الموسيقى فى كتابيه «النغم» و «الإيقاع» ولكن أهم كتب الموسيقى فى الفترة التى نكتب عنها رسائل الكندى، وينسب إليه ما لا يقل عن سبع رسائل، وتوضح رسائل الكندى دقة فاسى العصر النظرية والعملية فى الموسيقى كما نحصل فيها على نظريات مأخوذة من الموسيقيين اليونانيين وكتب جامعو الأغاني مثل يحيى المكى وأحمد بن يحيى المكى وإسحاق الموصلى كتباً عديدة فى الموسيقى، وجمع إسحاق ما يقرب من ١٢ من سير الموسيقيين المشهورين^(١).

وكانت المناقشات بين كبار الفنانين وعلماء الموسيقى فى الموسيقى العلمية حتى أمام الخلفاء حول الإيقاعات واستعمال الآلات والأصابع على الآلات وابتداع الألحان وتطبيقها، وشاعت الأعراد فى ذلك العصر والطنبور والمزامير والطبل والدف - وكان فى المرتبة الثانية بعد العود^(٢).

وأصبح إبراهيم بن المهدي رعيم الحركة الموسيقية الإبداعية (الرومانتيكية)، الفارسية، فبدأ بذلك صراع بين هذه المدرسة ومدرسة إسحاق الموصلى الذى تمثل المدرسة التقليدية العربية القديمة. وكان صوت إبراهيم بن المهدي رائعاً ذا قوة هائلة، وكان عالماً موسيقياً وعارفاً على الآلات من أعلم الناس بالوتر والنغم والإيقاعات^(٣).

على أن إسحاق الموصلى كان أعظم الموسيقيين فى الإسلام من معلومات، كان عارفاً رائعاً، أخضع نظريات الفن الموسيقى المتضاربة لنظام واضح.

ويحتمل أن حنين بن إسحاق قد ترجم بعض الكتب الإغريقية فى الموسيقى إلى العربية، وكان الكندى كثير التأليف ومن كتبه رسالته الكبرى الموسيقى وكتاب رسالته فى الإيقاع وكتاب رسالته فى المدخل إلى صناعة الموسيقى، ومختصر للموسيقى فى تأليف النغم وصفة العود^(٤).

(١) فارمر: تاريخ الموسيقى العربية ص ١٢٧-١٢٨-١٤٢.

(٢) انظر كتاب الألفى.

(٣) انظر نخبة الإجتماعية فى بغداد للدكتور عصام عبد الحرف.

(٤) فارمر، تاريخ الموسيقى العربية ٢٥٥-٢٥٦.

وكان أبناء موسى بن شاكر من أشهر علماء عصرهم وألفوا كتباً عن الموسيقى منها، كتاب الآلات الموسيقية الآلية.



وصفوة القول أن الحركة الفكرية في بغداد في العصر العباسي الأول يمكن أن نعتبرها بحق خلاصة للثقافة العالمية في ذلك العصر، فأضافت إلى أصالتها العربية ثقافة الفرس والهنود والإغريق وأهل اللمة

تأثرت الثقافة العربية في بغداد بالأدب الفارسي في مجالات شتى، ومن أدب التوقيعات، حيث دأب ملوك الفرس على التوقيع على شكاوى الناس بأسلوب يشجلى فيه البلاغة ودقة التعبير واحكمة المصنعة، وقد أخذ العباسيون ذلك عن الفرس، ولا سيما أن أكثر كتاب بغداد كانوا فرساً، ونشأ فيما بعد ديوان التوقيع^(١).

ولما كان الفرس الذين انتقلوا إلى بغداد بعد تأسيسها شعوفين بالثقافة والأدب، فقد أقبلوا على التدوين والتأليف مستندين إلى تراثهم الفارسي الزاخر، وكانت تصنيفاتهم بالعربية لأنهم نشأوا في البيئة العربية، وتأثروا بها، وأصبحوا عرباً بيئة ومربي، ويرجع إلي كثير منهم فضل السبق في تصنيف الكتب وتدوين العلوم المختلفة، منهم أبو حنيفة النعمان وحماد الراوية والكسائي والعراء وأبو العتاهية وابن قتيبة.

وعلى ذلك فقد أثرت الثقافة الفارسية في بغداد، ولجلى ذلك في الشعر والأدب والحكم والقصص والموسيقى والغناء والكلام والعقائد^(٢) كما كان لها أثر بالغ في اللغة العربية فقد دخلت ألفاظ فارسية إلى العربية، كما ترجمت كتب فارسية في علوم النجوم والهندسة والجغرافيا والتاريخ والسير فترجم عبد الله بن المقفع كتاب خلد بنامه وسماء تاريخ ملوك العرس وترجم كتاب آيين نامه، وهو

(١) حسن أحمد محمود المالم الإسلامي في العصر العباسي ص ٢٤٧.

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٨.

وصف نظم الفرس وتقاليدهم وعرفهم كما ترحم كتاب مزدك وكتاب التاج في سيرة أنو شروان وكتاب الأدب الكبير والأدب الصغير وكتاب اليتيمة وكتاب كليله ودمنة كما ترجمت من الفارسية إلى العربية كتاب سير ملوك الفرس ترجمه محمد بن الجهم البرمكي، وترجم جبلة بن سالم كتاب رستم واسفنديار وكتاب بهرام جور إلى غير ذلك من الكتب الدينية والقصصية^(١).

كذلك تأثرت بغداد بالثقافة الهندية، وذلك بانضمام السند إلى الدولة الإسلامية منذ العهد الأموي. كما أن الفرس ساهموا في نقل الثقافة الهندية إلى العربية لقوة أواصر الصلة التي كانت تربطهم بالهند منذ وقت طويل، فترجمت إلى العربية كتب هندية في الإلهيات والرياضيات والأدب، وقد تأثرت قصص ألف ليلة بأفكار الهنود من تناسخ الأرواح، على أن الثقافة العربية قد أعادت من الهنود فائدة كبيرة من مجالات الفلك والرياضة فقد وقد بعض علماء الرياضيات الهنود إلى بغداد في عهد المنصور، وترجموا بعض كتب الهند في الفلك، وقد أخذ العرب بعض الاصطلاحات الهندية في الرياضيات من الهنود، واقتبسوا الكثير من نظريات الهنود في الحساب والهندسة، كما وفد إلى بغداد بعض الأطباء الهنود، واعتمد عليهم الخلفاء ورجال الدولة وتأثر الأدب العربي بالأدب الهندية وأدخلت بعض الألفاظ الهندية في الأدب العربي. كما شغف العرب بالقصص الهندية، وكان أصل كليله ودمنة - كما هو معروف - هندي ترجم إلى الفارسية، ومن الفارسية إلى العربية وكانت حكمة الهند أقرب إلى روح العرب وأحب إلى أذواقهم، وامتلات الكتب العربية بالكثير من الحكم الهندية لعمق فكرتها كما ترجمت إلى العربية كتب هندية في الإسحار والاحاديث والقصص الخيالية^(٢).

ومما لا شك فيه أن العرب تأثروا بالثقافة الإغريقية في مجالات شتى فقد أفاد العرب من مراكز الثقافة الإغريقية في جند يسابور وحران والإسكندرية فأخذ

(١) ابن النديم: الفهرست ص ٣٤١-٣٤٢

(٢) حسن أحمد محمود، العالم الإسلامي في العصر العباسي ص ٢٧٨.

المفكرون العرب المنطق عن اليونان. واعتمدوا عليه اعتماداً كبيراً في البحث والدراسة والمناقشة والجدل وتوضيح البرهان ومنطق أرسطو هو الذي اعتمد عليه العرب دون غيره، وأنضح ذلك في التبريب والترتيب وتقسيم الموضوعات وذكر الأمثلة والأحكام، واستخدام القياس في النحو، والعقود والفلسفة معتمداً بالدرجة الأولى على المنطق.

كذلك تأثرت الثقافة العربية بالفكر اليوناني في علوم الطب والفلك والجغرافيا والكلام والموسيقى، وأثرت الأفلاطونية في التصوف^(١).

وكان للثقافة اليونانية أثر كبير في بغداد، ذلك لأن اتصال المسلمين بها صاحب عصر تدوين العلوم العربية. فتسربت الثقافة اليونانية إليها، وصيغتها بصيغة خاصة، على أن العرب استفادوا من الثقافة اليونانية في المجالات التي تهمهم فقط، فأخذوا ما أخذوا عنهم ثم بنوا عليه وراودوا فيه وابتكروا واقتصر اقتباسهم من الثقافة اليونانية على ما يلائم إحياء الإسلام ولا يتعارض معها، وأهملوا وتركوا كل ما يتعارض مع الدين الإسلامي والتقاليد العربية^(٢) عنى المسلمون بنقل تاريخ بني إسرائيل وأنبياهم، كما فعل ابن قتيبة في كتابه المعارف. وقد ثبت مما لا بدع مجالاً للشك أن كثيراً مما نقل عن تاريخ بني إسرائيل ينقصه الدقة، وتظهر فيه الأساطير والمبلفات، ذلك أن الروايات التي نقلت عنهم، كثيراً من رواياتها من العوام، وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن بعض قصص ألف ليلة وليلة من أصل يهودي، ومهما يكن من أمر فقد تسربت بعض جوانب الثقافة اليهودية إلى الفكر العربي، بعضها أخذ عن أهل العلم بالكتاب، وبعضها عن العوام^(٣).

كذلك ظهر أثر الثقافة المسيحية في بغداد، وقد أوردت الكتب العربية شيئاً كثيراً منها كرسالة الجاحظ في الرد على الصاري حول بعض عقائدهم.

(١) أحمد أمين، فصحى الإسلام ج١ ص ٢٢٥.

(٢) أحمد أمين، فصحى الإسلام ج١ ص ٢٧٨.

(٣) المصدر السابق ج١ ص ٣٣٨.

وأدى دخول الكثير من اليهود والنصارى، ودراستهم للغة العربية والدين
واندماجهم في الحياة العربية، إلى إدخال بعض آرائهم وأفكارهم في الفكر
العربي، وتجلي ذلك في التفسير والحديث والمذاهب الدينية، والعادات والتقاليد،
وأنهما كانا عنصريين من عناصر الثقافة العامة في ذلك العصر^(١).

ومع سقوط الخلافة العباسية على يد هولاكو ثم تقلدها الأتراك وهذا ما
تناوله الكتاب بصفة خاصة.

وصاحب هذا العمل الذي تقدمه للمكتبة العربية هو سليمان بن صالح
الدخيل، فاضل من الكتاب، ولد في القصيم بنجد ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م ومكن
بغداد وتعلم للسيد محمود شكرى الألوسى، وطاف في كثير من بلاد العرب
والهند، وكان واسع الاطلاع على أحوال العرب المعاصرين، وعاداتهم
ووقائعهم، وأنشأ في بغداد بعد خلع السلطان عبد الحميد ١٩٠٨م جريدة الرياض
«أسبوعيه فاستمرت إلى ١٩١٤م» وأصدر «مجلة» فلم تعيش سوى أربعة أشهر،
وآلف عدة كتب منها «العقد المتلاني في حساب الإلكي» و«تحفة الألباء في تاريخ
الإحساء» وكتب مقالات كثيرة في جريدة «مجلة العرب» وبلادهم، وتولى طبع
كتب منها «هنوان المحدث» في تاريخ نجد، «ونهاية الأدب في معرفة أنساب العرب»
ثم الكتاب الذي بين أيدينا، مات سنة ١٣٦٤هـ، ١٩٤٥م بعد أن ترك لنا ثروة
قيمة.

فلهذا حرصت كل الحرص على تقديم هذا العمل الذي يلقي الضوء على قطر
من أقطار تاريخنا العربي، وأسأل الله لعون والمغفرة يا أرحم الراحمين.

القاهرة في: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م

الدكتور

محمد زينهم محمد صزي

(١) المصدر السابق ج١ ص ٣٥٣.

الشهور من التواريخ المختلفة

| م | أسماء المختلف | أبوابهم | أهاليهم | كناهم | ألقابهم | مواهبهم | صوابهم | أصنافهم | وفاهم | ولايتهم | مصارفهم | قصورهم |
|---|--------------------------|-------------------|-------------------------------------|---|-------------------------|---------------------------------------|-------------------------|-------------------------|---|-----------------------------------|--|-------------------|
| ١ | عبد الله رضي الله عنه | أبو قحافة | أم الخير | أبو بكر | الصدوق | بعد الثقل ثلاث سنين | بالإجماع | ثلاث رسول سنة | عاشر جمادي الأخرى سنة ثلاث هجرية | سستان وثلاثة أشهر | على فرائه | المجربة المشقة |
| ٢ | محمد رضي الله عنه | المطلب عدي | جينة ست هاتم مجزوية | أبو حسن رضي الله عنه | القدوري رضي الله عنه | في البحر والتاريخ | رضي الله عنه | سنون على الأصح | عشر في الحجة سنة ثلاث وهجرية | عشر وهاتف وأيام | كله أبو لاراة علام المشقة بن شمسة في الصلاة | المجربة المشقة |
| ٣ | عبدان رضي الله عنه | عبدان بن الحكم | أردى بنت كرور هشمية مهاجرة | أبو عمر وليد عبد الله رضي الله عنه | دو الخورن | بعد مولد الرسول رضي الله عنه | بشورة من سماء عمر | سنة وثنائون عائنا | في ثنى الحجة خمس وثلاثين هجرية | التي عشر سنة إلا أيام | كل بالسيف بداره يوم الجمعة | بالفتح بكر كب |

(مختصر تاريخ الخلفاء)

| رقم | أسماء الخلفاء | أبائهم | أمهاتهم | كنائهم | ألقابهم | مواليدهم | موتهم | أعمارهم | وفاتهم | ولادتهم | مصارفهم | قبورهم |
|-----|---------------------|----------------------------|----------------------------|-----------------------------|-------------------------|-------------------------------|-------------------|-----------------|--------------------------|--------------------------|-------------------------------------|---------------|
| ٤ | علي رضي الله عنه | أبو طالب ابن عبد المطلب | فاطمة بنت عبد المطلب | رضي الله عنه | أبو بكر رضي الله عنه | سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة | بشارة أهل المدينة | ثلاث وخمسون سنة | سنة في شهر رمضان | أربع سنين ونصف ورابع | قل بالسيف عند خروجه إلى صلوة الصلاة | الفرس بالكوفة |
| ٥ | الحسن رضي الله عنه | علي كرم الله وجهه | فاطمة رضي الله عنها | أبو محمد رضي الله عنه | سيد شباب أهل مكة | في شعبان وعاش في ثلاثين سنة | بشارة أهل الكوفة | ثمان وخمسون سنة | في ربيع الأول سنة ثمانين | سبعة سنين وأحد عشر يوماً | علي ورائه مسجوراً | بالبحر بالفرس |
| ٦ | سليمان رضي الله عنه | أبو سفيان رضي الله عنه | هند بنت عتبة رضي الله عنها | أبو عبد الرحمن رضي الله عنه | القاهر | في ربيع الأول سنة ثمان وخمسون | سنة في رجب | سنة ثمان وخمسون | سنة ثمان وخمسون | سنة ثمان وخمسون | علي ورائه | بالهلب الصغير |

(مختصر تاريخ الخلافة)

| | | | | | | | | | | | | |
|---|-----------------------|--|---|-----------------------|----------------------------|--------------------------------|--------------------|------------------------|---------------------------------------|----------------------------|--------------|-----------------|
| ٢ | اسماء الخلفاء | اباؤهم | امهاتهم | كنائهم | القائدهم | مواليهم | عقودهم | اصحابهم | وفادتهم | ولايتهم | مصارفهم | قبورهم |
| ٧ | يزيد رحمة الله | مباركة ابن ابي سنان رضي الله عنه | سمرقند بن يحيى كلية | ابو خالد | للتحصن على اهل الرجع | سنة غنى ومشيرة مباركة | بمكة من اليه | سنة والتاريخ سنة | في الاول سنة الرجع مباركة | ثلاث سنة وخصف نصف | على فراشه | بالشام بمراش |
| ٨ | مباركة رحمة الله | مباركة ابن مباركة | أم خالد بن مباركة مباركة | ابو خالد الرحمن | للتحصن على اهل الرجع | سنة غنى ومشيرة مباركة | بمكة من اليه | سنة والتاريخ سنة | في الاول سنة الرجع مباركة | ثلاث سنة وخصف نصف | على فراشه | بالشام بمراش |
| ٩ | عبد الله رحمة الله | العزيز ابن العوام | أسامة بن أبي بكر رضي الله عنه | ابو حبيب | عبد الله | سنة غنى ومشيرة مباركة | بمكة من اليه | سنة والتاريخ سنة | في الاول سنة الرجع مباركة | ثلاث سنة وخصف نصف | على فراشه | بالشام بمراش |

(مختصر تاريخ الخلافة)

| م | اسماء الخلفاء | أبائهم | أمهاتهم | ألقابهم | موتهم | مدبرهم | أهلهم | وفاتهم | ولادتهم | مصارفهم | قبورهم |
|----|------------------------|--------------------------------|----------------------------------|----------------------|------------------------------------|-------------------------------------|---------------------|--|---------------------------|---------------------------|-------------------|
| ١٠ | مروان رحمه الله | الحكم ابن أبي المنصور | له بنت عظيمة | أبو عبد المالك | سنة ١٢١ في ربيع الثاني | معاوية ومعاوية أهل المنصور | ثلاث بنين سنة | في رمضان سنة خمس ومئتين هجريه | سنة شهر رجب أبام | سنة أمره أم علاء | بدمشق |
| ١١ | عبد الملك رحمه الله | مروان ابن الحكم | عليه بنت سارية (قوية) | أبو الوليد | سنة ١٢٢ في ربيع الثاني | بمصر من أهل المنصور | سنة سنة | في شوال سنة سنة رستم هجريه | سنة سنة أبام | على وراثه | بالمنصور بدمشق |
| ١٢ | الوليد رحمه الله | عبد المالك ابن مروان | ولادة سنة المنصور عظيمة | أبو المنصور | سنة ١٢٣ في ربيع الثاني | بمصر من أهل المنصور | سنة سنة | في جمادى الآخرة سنة سنة هجريه | سنة سنة شهر | على وراثه | بالمنصور بدمشق |

(مختصر تاریخ الخلفاء)

| ردیف | اسماء الخلفاء | آباءهم | أمهاتهم | كنائهم | ألقابهم | مواليتهم | مهورهم | أعمارهم | وفاتهم | ولایتهم | مصارفهم | قبورهم |
|------|---------------------|---------------------------|-----------------------------|-------------|--------------------|---------------------------|-------------------------|------------------------|---------------------------------|------------------------|---------------|----------------|
| ۱۳ | سليمان رحمه الله | عبد الله بن مروان | ولادة ثم أمه عشيرة | أبو عمر | أبو الهادي باله | من البحرين والبحرين | بمكة من أبيه باله | خمس والسبعون سنة | في صفر سنة تسع والسبعين | سنة وثنائية أشهر | على قروته | بأرض فسيفين |
| ۱۴ | عمر رحمه الله | عبد الرحمن بن مروان | أم عاصم بن عاصم | أبو حنس | المعصوم باله | من البحرين والبحرين | بمكة من أبيه باله | ثلاثون سنة | في رجب سنة تسع والسبعين | سنة وثنائية أشهر | سنة مسروما | بأرض سيفين |
| ۱۵ | عبد رحمه الله | عبد الله بن مروان | عاتكة بن عاتكة بن زيد | أبو علاء | المعصوم باله | من البحرين والبحرين | بمكة من أبيه باله | ثلاثون سنة | في شعبان سنة تسع والسبعين | سنة وثنائية أشهر | سنة مسروما | بأرض سيفين |

(مختص التاريخ، الخلفاء)

| م | أسماء الخلفاء | آبائهم | أمهاتهم | كلامهم | اللقب | موااليده | حكومتهم | أصلهم | وفاتهم | ولادتهم | مصارعتهم | قبولتهم |
|----|---------------------------|-------------------------------------|-----------------------------------|---------------------|-----------------|---------------------|--------------------|---------------------|--|-------------------------------|---------------------|-------------------|
| ١٦ | عشام رحمه الله | عبد الملك ابن سروان | أم عاشم بنت عاشم | أبو الوليد | النصور بالله | سنة سبع مئة | سنة أربع مئة | عشرون سنة | في ربيع الأخر سنة عشرون مئة | سنة عشرون سنة وثلثون | مات على قراشه | بمدينة الرصافة |
| ١٧ | الوليد رحمه الله | عبد الملك ابن عبد الملك | أم عليق بنت عبد الملك | أبو المسلم | الملك بالله | سنة عشرون مئة | سنة أربع مئة | ثلاثون سنة | في جمادى الأخرى | سنة وثلثون | مات على قراشه | بالشام مدائن |
| ١٨ | عبد الملك رحمه الله | الوليد ابن عبد الملك | ساعة بنت عبد الملك | أبو عبد الملك | الملك بالله | سنة عشرون مئة | سنة أربع مئة | سنة عشرون مئة | في ربيع الأخرى سنة عشرون مئة | سنة عشرون مئة | مات على قراشه | بالشام مدائن |

(مختصر تاريخ الخلافة)

| م | اسماء الخلفاء | ابائهم | امهاتهم | كنائهم | اللقابهم | مواليهم | اصهارهم | وفائهم | ولايتهم | مصارعهم | قبورهم |
|----|-----------------------|---|-------------------------------------|---------------------|-------------------------|------------------------|-------------------|------------------------|-----------------------------------|---------------------|-----------------|
| ١٩ | ابراهيم رحمه الله | الوليد ابن عبد الملك | شافير الذكورية | أبو إسحاق | المتر بالله | سنة ثمان ونسعين | بهد من أبيه | ثلاثون سنة وشهر | خلع نفسه بعد سبعين يوماً | مات على قراشه | بارص الجزيرة |
| ٢٠ | عروان رحمه الله | محمد ابن عروان | ربا أم ولد كردية | أبو عبد الملك | الملك بمنزلة الله | سنة خمسين اربعين | علاوة بغداد | اثنان وسعون سنة | خمس سنتين وحشوة أشهر | قتل بالسيف | بصر بو صحر |
| ٢١ | عبد الله رحمه الله | محمد ابن علي ابن عبد الله ابن العباس | رمة بنت عبد الله بطارقة | أبو العباس | السلج | سنة خمسين رمة | مالية | ثلاث وثلاثون سنة | اربع سنتين ونصف | مات بالجدي | كديبة الاجار |

(مختصر تاريخ الخلفاء)

| م | أسماء الخلفاء | آباؤهم | أهلهم | كنائهم | اللقب | مواليهم | معدوهم | أعمارهم | وفاتهم | ولايتهم | أعمارهم | قبورهم |
|----|-----------------------|---------------------------------|--|--------------------|----------------|-----------------------|-----------------|-----------------------|-----------------------------|--------------------------|---------------------------------------|-------------------|
| ٢٢ | عبد الله رحمه الله | محمد ابن علي ابن عبد الله | أم ولد عبدية وقيل سلافة البرية | جعفر | المشور بأنه | سنة خص ونسو | بهد س أنه | ثلاث وسو سنة | سنة ثمان ونسو رملة | أثن و مشرون سنة | مات علي قراه | بكة بر ميرة |
| ٢٣ | محمد رحمه الله | عبد الله المشور | أم موسى بت مشور ميرة | أبو حد الملك | الهدى بأنه | سنة فلسطين رملة | بهد س بهد | ثلاث ولسور سنة | سنة ست ونسو رملة | مشر سني وشهر | كل مسوراً | لاري |
| ٢٤ | موسى رحمه الله | محمد الهدى | الحيران كوبه | أبو محمد | الهدى | سنة فلسطين رملة | بهد س بهد | ثلاث ومشرون سنة | سنة تسعين رملة | سنة ربك سنة | دفع علي قريب في ميرة فمات | عبدية معد |

(مختصر تاريخ الخلفاء)

| م | اسماء الخلفاء | أبائهم | أسمائهم | انسابهم | موااليدهم | صورهم | أعمارهم | وفاتهم | ولادتهم | معارفهم | قبورهم |
|----|--------------------|----------------------|--------------------------|------------------------|--------------------------------|------------------------|------------------------|--|-------------------------------------|---------------------|-------------------|
| ٢٩ | هارون رحمه الله | محمد المتصم | قراظيس أم ولد درية | لواظس بالله | سنة سنة وثلثين ومئة | سعيد س ليه | سنة ولم يموت سنة | سنة أبني وثلثون وماكنى مجرية | خمس وسون سنة ونصف وربع | مات على فرائه | بسر من ولكي |
| ٣٠ | جعفر رحمه الله | محمد المتصم | شجاع أم ولد تركية | التركول على الله | سنة سن وثلثون وماكنى | بشيرة المرلة | لومون سنة | سنة سبع وأربعين وماكنى مجرية | لربع عشرة سنة ونصف وربع | قفل باليف | بسر من ولكي |
| ٣١ | محمد رحمه الله | جعفر التركول | أم ولد درية | المتصم بالله | سنة ثلاثين وماكنى | عبد الله التركول | خمس وعشرون سنة | سنة ثلاثين ولم يموت وماكنى مجرية | سنة أشهر | مات مسوما | بسر من ولكي |
| ٣٢ | أحمد رحمه الله | محمد أبني محمد | أم ولد درية | المستور بالله | سنة ثمان ولم يموت وماكنى | بشاررة المرلة | أربع وعشرون سنة | سنة أبني وخمسون وماكنى مجرية | سنة ونسمة أشهر | خلع وكل باليف | بشيرة بالقاسية |

(مستقصر التاريخ المتخلف)

| م | أسماء المتخلفين | أبائهم | أمهاتهم | كنائهم | القبورهم | مواليدهم | موتهم | أعمارهم | وفاتهم | ولادتهم | مصارفهم | قبورهم |
|----|-------------------|-------------------------|-----------------|-----------------|---------------------|---------------------------------|----------------------|-------------------------|--|-----------------------------|------------------------------|------------------|
| ٢٣ | محمد رحمه الله | جعفر التوكل | أم ولد مقلبة | أبو عبد الله | المتر باله | سنة اثنين وثلاثين وماثلين | بشارية التلس | ثلاث وعشرون سنة | سنة خمس وخمسين وماثلين هجريه | ثلاث سنة وثلاث سنة | أغلق حماما فمات فيه | اسر من راى |
| ٢٤ | محمد رحمه الله | مارون الوراق | أم ولد روبية | أبو عبد الله | الهدى باله | سنة تسعة وماثلين | بشارية الموتة | إحدى والربعون سنة | سنة ست وخمسين وماثلين هجريه | إحدى عشر شهر | قل بختور | اسر من راى |
| ٢٥ | أحمد رحمه الله | جعفر التوكل | أم ولد روبية | أبو المعس | المعتمد على الله | سنة ثلاث وعشرين وماثلين | بهد من التوكل | خمس سنة وخمسين | سنة تسع وسبعين وماثلين هجريه | ثلاث سنة وعشرون | راى في رصاص مذاب | اسر من راى |
| ٢٦ | أحمد رحمه الله | الوراق ابن التوكل | أم ولد روبية | أبو المعس | المعتمد باله | سنة ثلاث والربعون وماثلين | بهد من المعتمد | خمس سنة والربعون | سنة تسع وسبعين وماثلين هجريه | مات على فراشه | مات على فراشه | بداية بغداد |

(مختصر التاريخ الخطأ)

| رقم | أسماء الأخطاء | أبائهم | أمهاتهم | كلاهما | اللقب | مواضعهم | مبداهم | أسماءهم | وفااتهم | ولادتهم | مصارفهم | القبورهم |
|-----|-------------------|----------------|-----------------|---------------|-------------|----------------------------|------------------|------------------------------|----------------------------|-------------------------------|-------------------------|-----------------|
| ٢٧ | علي رحمه الله | أحمد المعتد | عائش أم ولد | أبو محمد | للكني بالله | سنة أربع رستم رمضان | بعد من أيه | أعطى والتلون سنة وثلاث | سنة عسى زمن رمضان | سنة رستم والم | مات علي نراشه | بجدة بغداد |
| ٢٨ | جعفر رحمه الله | أحمد المعتد | شبيب أم ولد | أبو الفضل | للكني بالله | سنة سبع وثلثين رمضان | بعد من أيه | ثمان والتلون سنة | سنة عنون رمضان | أربع وعشرون سنة والم | كل بالسيف الشمسية | بجدة الرمضان |
| ٢٩ | محمد رحمه الله | أحمد المعتد | أم ولد مفوية | أبو العقود | للكني بالله | سنة سبع وثلثين رمضان | بعد من أيه | الثنان والم سنة | سنة نسخ والم | سنة والم سنة | سنة والم سنة | بجدة بغداد |
| ٣٠ | محمد رحمه الله | جعفر المعتد | ظفر أم ولد | أبو العقود | للكني بالله | سنة سبع وثلثين رمضان | بعد من أيه | أحمد والم سنة | سنة نسخ والم | سنة والم سنة | سنة والم سنة | بجدة بغداد |

(مختصر تاريخ الخلفاء)

| م | أسماء الخلفاء | كنائهم | أبائهم | آبائهم | كنائهم | أبائهم | آبائهم | مواويلهم | صورهم | أعمالهم | وفاتهم | ولادتهم | مصارعهم | قبورهم |
|----|-------------------------|------------------|-----------------|---------------|------------------|--------------------------------|--------------------------------|--------------------------------|--------------------------------|--------------------------------|--------------------------------|--------------------------------|--------------------------------|--------------------------------|
| ٤١ | إبراهيم رحمه الله | جفر المتبر | خلوب أم ولد | أبو إسحاق | لقني بالله | سنة تكون وخمسون وماكن | سنة تكون وخمسون وماكن | سنة تكون وخمسون وماكن | سنة تكون وخمسون وماكن | سنة تكون وخمسون وماكن | سنة تكون وخمسون وماكن | سنة تكون وخمسون وماكن | سنة تكون وخمسون وماكن | سنة تكون وخمسون وماكن |
| ٤٢ | المفضل رحمه الله | علي للكون | غض أم ولد | أبو القاسم | الستكني بالله | سنة تكون وخمسون وماكن | سنة تكون وخمسون وماكن | سنة تكون وخمسون وماكن | سنة تكون وخمسون وماكن | سنة تكون وخمسون وماكن | سنة تكون وخمسون وماكن | سنة تكون وخمسون وماكن | سنة تكون وخمسون وماكن | سنة تكون وخمسون وماكن |
| ٤٣ | عبد الكريم رحمه الله | جعفر المتبر | شفاعة أم ولد | أبو القاسم | المطبخ بالله | سنة تكون وخمسون وماكن | سنة تكون وخمسون وماكن | سنة تكون وخمسون وماكن | سنة تكون وخمسون وماكن | سنة تكون وخمسون وماكن | سنة تكون وخمسون وماكن | سنة تكون وخمسون وماكن | سنة تكون وخمسون وماكن | سنة تكون وخمسون وماكن |
| ٤٤ | أحمد رحمه الله | المفضل المتبر | حيث أم ولد | أبو مكر | المطبخ بالله | سنة تكون وخمسون وماكن | سنة تكون وخمسون وماكن | سنة تكون وخمسون وماكن | سنة تكون وخمسون وماكن | سنة تكون وخمسون وماكن | سنة تكون وخمسون وماكن | سنة تكون وخمسون وماكن | سنة تكون وخمسون وماكن | سنة تكون وخمسون وماكن |

(مختصر التاريخ الخلفاء)

| م | أسماء الخلفاء | أبائهم | أمهاتهم | كنائهم | اللقاب | مواليدهم | صوبهم | أعمارهم | وفاتهم | ولادتهم | سماواتهم | قبورهم |
|----|-----------------------|----------------------|--------------------------|----------------|------------------|-------------------------------------|--------------------|---------------------|---|-------------------------------|------------------|--------|
| ٤٥ | أحمد رحمه الله | أحمد القادر | ثمن أم ولد | أبو المعالي | القادر بالله | سنة ست وثلاثين والأربع مائة | بغداد الدرية | ست وثلاثون سنة | سنة ثلاثين وخمسين والأربع مائة | أحادي والربون سنة لربيع | مات على فرائه | بغداد |
| ٤٦ | عبد الله رحمه الله | أحمد القادر | قنبر الأندي أم ولد | أبو جعفر | القائم بأمر الله | سنة أحدي وثلاثين والأربع مائة | بغداد من القادر | ست وسبعون سنة | سنة تسعين والأربع مائة | أربعة والربون سنة | مات على فرائه | بغداد |
| ٤٧ | عبد الله رحمه الله | اللاحق أبو القائم | شربل أم ولد ورمية | أبو القاسم | المتقي بأمر الله | سنة ستين والأربع مائة | بغداد من جده | ست وثلاثون سنة | سنة ست والأربع مائة | تسع عشر سنة | مات على فرائه | بغداد |
| ٤٨ | أحمد رحمه الله | عبد الله المتقي | أم ولد نزيهة | أبو المعالي | المستظهر بالله | سنة ستين والأربع مائة | بغداد من المتقي | أربع والربون سنة | سنة ثلاثين والأربع مائة | خمسين سنة | مات على فرائه | بغداد |

(مختصر تاريخ الخلفاء)

| رقم | أسماء الخلفاء | أبائهم | أمهاتهم | كلماتهم | ألقابهم | مواليديهم | صورهم | أعمارهم | وفاتهم | ولادتهم | معارفهم | قبائلهم |
|-----|-------------------|------------------------|--------------|--------------|-------------------|---------------------------|-------------------|-----------------------------|----------------------|----------------------|---------------|-------------------|
| ٤٩ | الفضل رحمه الله | أحمد المستظهر بالله | أم ولد تركية | أبو منصور | المترشد بالله | سنة ست وثلاثين وأربع مائة | بعدد من السنين | ثلاثة وأربعون سنة | سنة تسع وخمسين ومائة | سنة تسع عشر ومائة | قلعة الجبلية | بديعة بغداد |
| ٥٠ | المستور رحمه الله | الفضل المسترشد بالله | أم ولد تركية | أبو حمزة | الرائد بالله | بعدد السنين | بعدد من السنين | سنة ثلاثين وثلاث مائة | سنة تسع وخمسين ومائة | سنة تسع وخمسين ومائة | قلعة الجبلية | باصمهان الكلدانية |
| ٥١ | المستور رحمه الله | أحمد المستظهر بالله | أم ولد تركية | أبو عبد الله | الغني لأمير بالله | سنة تسع وخمسين ومائة | ببشارة من البراءة | خمسة وستون وخمسة وأربع مائة | سنة تسع وخمسين ومائة | سنة تسع وخمسين ومائة | مات على فراشه | بديعة بغداد |
| ٥٢ | عزيف رحمه الله | محمد الغني لأمير بالله | طالوس أم ولد | أبو المظفر | المستعبد بالله | سنة تسع وخمسين ومائة | بعدد من السنين | سنة تسع وخمسين ومائة | سنة تسع وخمسين ومائة | سنة تسع وخمسين ومائة | مات على فراشه | بديعة بغداد |

(مختصر تاريخ الخلافة)

| م | اسماء الشهداء | أبائهم | أمهاتهم | كنائهم | القبائلهم | مواليهم | صورهم | أعمارهم | وفاتهم | ولادتهم | معارضهم | قبورهم |
|----|------------------------------|--------------------------|--------------------------------------|------------------------------|-------------------|--------------------------|------------------------|--------------------------|--------------------------|--------------------------|---------------------------------|------------|
| ٥٣ | علي بن أبي طالب رحمه الله | عروة بن مسعود بالله | فاطمة بنت علي بن أبي طالب والد | علي بن أبي طالب رحمه الله | المستقيم بالله | سنة ثمانية عشرة وخمسة | بهم أبوه من أبوه | سنة عشرة والثلاثون | سنة عشرة والثلاثون | سنة عشرة والثلاثون | مات علي بن أبي طالب فرائه | بهم بهم |
| ٥٤ | علي بن أبي طالب رحمه الله | علي بن أبي طالب بالله | فاطمة بنت علي بن أبي طالب والد | علي بن أبي طالب رحمه الله | المستقيم بالله | سنة ثمانية عشرة وخمسة | بهم أبوه من أبوه | سنة عشرة والثلاثون | سنة عشرة والثلاثون | سنة عشرة والثلاثون | مات علي بن أبي طالب فرائه | بهم بهم |
| ٥٥ | علي بن أبي طالب رحمه الله | علي بن أبي طالب بالله | فاطمة بنت علي بن أبي طالب والد | علي بن أبي طالب رحمه الله | المستقيم بالله | سنة ثمانية عشرة وخمسة | بهم أبوه من أبوه | سنة عشرة والثلاثون | سنة عشرة والثلاثون | سنة عشرة والثلاثون | مات علي بن أبي طالب فرائه | بهم بهم |
| ٥٦ | علي بن أبي طالب رحمه الله | علي بن أبي طالب بالله | فاطمة بنت علي بن أبي طالب والد | علي بن أبي طالب رحمه الله | المستقيم بالله | سنة ثمانية عشرة وخمسة | بهم أبوه من أبوه | سنة عشرة والثلاثون | سنة عشرة والثلاثون | سنة عشرة والثلاثون | مات علي بن أبي طالب فرائه | بهم بهم |

(مستقيم تاريخ الاختلاف)

| م | أسماء الاختلاف | أبائهم | أمهاتهم | كلماتهم | اللقب | موااليهم | صورتهم | أصواتهم | ولادتهم | مصارعتهم | قبولهم |
|----|-----------------------|-----------------|-----------------|----------------|----------------------------------|-------------------------|-------------------|------------------------|------------------------------|--------------------|-----------------|
| ٥٧ | عبد الله رحمه الله | محمد الظاهر | أم ولد تركية | أبو جد الله | المتصم الله | سنة ثلاثين وخمسة | بهد من له | خمسون سنة | سنة ثلاث وعشرون سنة | كله مولاكو | كلية بيلاد |
| ٥٨ | محمد رحمه الله | محمد الظاهر | أم ولد تركية | أبو الميلس | الحاكم بامر بالله | سنة اللاثون وخمسة | بشارية للأولاد | خمس وسبعين سنة | سنة أحدى وخمسة | مات على فرشه | بقر الله مصر |
| ٥٩ | أحمد رحمه الله | أبو الحاج | أم ولد تركية | أبو الريح | المتكى بالله | سنة اللاثون وخمسة | بهد من أيه | سنة أربعين وخمسة | | | كلية قوص |
| ٦٠ | سليمان رحمه الله | المتكى بالله | | أبو الميلس | المتكى بالله أبو المؤيد | | | | | | |

١- الخلفاء الراشدون

| | | |
|--------------------|------|-----------|
| ١- أبو بكر الصديق | ١١هـ | ٦٣٢م |
| ٢- عمر بن الخطاب | ١٣هـ | ٦٣٤م |
| ٣- عثمان بن عفان | ٢٣هـ | ٦٤٤م |
| ٤- علي بن أبي طالب | ٤٠هـ | ٦٥٦م-٦٦١م |

٢- الخلفاء الأمويون

| | | |
|----------------------------|--------------|------|
| ١- معاوية بن أبي سفيان | ٤١هـ | ٦٦١م |
| ٢- يزيد الأول | ٦٠هـ | ٦٨٠م |
| ٣- معاوية الثاني | ٦٤هـ | ٦٨٣م |
| ٤- مروان الأول | ٦٤هـ | ٦٨٣م |
| ٥- عبد الملك «أبو الخلفاء» | ٦٥هـ | ٦٨٥م |
| ٦- الوليد الأول | ٨٦هـ | ٧٠٥م |
| ٧- سليمان | ٩٦هـ | ٧١٥م |
| ٨- حمير بن عبد العزيز | ٩٩هـ | ٧١٧م |
| ٩- يزيد الثاني | ١٠١هـ | ٧٢٠م |
| ١٠- هشام | ١٠٥هـ | ٧٢٤م |
| ١١- الوليد الثاني | ١٢٥هـ | ٧٤٣م |
| ١٢- يزيد الثالث | ١٢٦هـ | ٧٤٤م |
| ١٣- مروان الثاني «الحمار» | ١٢٧هـ-١١٣٢هـ | ٧٤٤م |

١- الخلفاء العباسيون

من سنة ١٣٢هـ - ٦٥٦هـ / ٧٥٠م - ١٢٥٨م

| | | |
|------|-------|--------------------------------------|
| ٧٥٠م | ١٣٢هـ | ١- أبو العباس عبد الله السفاح |
| ٧٥٤م | ١٣٦هـ | ٢- أبو جعفر عبد الله المنصور |
| ٧٧٥م | ١٥٨هـ | ٣- أبو عبد الله محمد المهدي |
| ٧٨٥م | ١٦٩هـ | ٤- أبو محمد موسى الهادي |
| ٧٨٦م | ١٧٠هـ | ٥- أبو جعفر هارون الرشيد |
| ٨٠٩م | ١٩٣هـ | ٦- أبو موسى محمد الأمين |
| ٨١٣م | ١٩٨هـ | ٧- أبو جعفر عبد الله المأمون |
| ٨٣٣م | ٢١٨هـ | ٨- أبو إسحاق محمد بن المعتصم بالله |
| ٨٤٢م | ٢٢٧هـ | ٩- أبو جعفر هارون الواثق بالله |
| ٨٤٧م | ٢٣٢هـ | ١٠- أبو الفضل جعفر المتوكل على الله |
| ٨٦١م | ٢٤٧هـ | ١١- أبو جعفر محمد المستنصر بالله |
| ٨٦٢م | ٢٤٨هـ | ١٢- أبو العباس أحمد المستعز بالله |
| ٨٦٦م | ٢٥١هـ | ١٣- أبو عبد الله المعتز بالله |
| ٨٦٩م | ٢٥٥هـ | ١٤- أبو إسحاق محمد المهتدي بالله |
| ٨٧٠م | ٢٥٦هـ | ١٥- أبو العباس أحمد المعتمد على الله |
| ٨٩٢م | ٢٧٩هـ | ١٦- أبو العباس أحمد المعتضد بالله |
| ٩٠٢م | ٢٨٩هـ | ١٧- أبو محمد علي المكتفي بالله |
| ٩٠٨م | ٢٩٥هـ | ١٨- أبو الفضل جعفر المقتدر بالله |
| ٩٣٢م | ٣٢٢هـ | ١٩- أبو منصور محمد القاهر بالله |
| ٩٣٤م | ٣٢٥هـ | ٢٠- أبو العباس أحمد الراضي بالله |

| | | | |
|-----|---------------------------------------|-------------------------|-------|
| ٢١- | أبو إسحاق إبراهيم المقتضى بالله | ٣٢٩هـ | ٩٤٠م |
| ٢٢- | أبو القاسم الفضل المطيع بالله | ٣٣٣هـ | ٩٤٦م |
| ٢٣- | أبو بكر عبد الكريم الطائع لله | ٣٦٣هـ | ٩٧٤م |
| ٢٤- | أبو العباس أحمد القادر بالله | ٣٦٣هـ | ٩٧٤م |
| ٢٥- | أبو جعفر عبد الله القائم بالله | ٤٢٢هـ | ٩٩١م |
| ٢٦- | أبو العباس عبد الله المقتدى بأمر الله | ٤٦٧هـ | ١٠٥٧م |
| ٢٧- | أبو العباس المستظهر بالله | ٤٨٧هـ | ١٠٩٤م |
| ٢٨- | أبو منصور فضل المسترشد بالله | ٥١٢هـ | ١١١٨م |
| ٢٩- | أبو جعفر منصور الراشد بالله | ٥٢٩هـ | ١١٣٥م |
| ٣٠- | أبو عبد الله محمد المقتضى لأمر الله | ٥٣٠هـ | ١١٣٦م |
| ٣١- | أبو المظفر يوسف المستنجد بالله | ٥٥٥هـ | ١١٦٠م |
| ٣٢- | أبو محمد الحسن المستضى بأمر الله | ٥٦٦هـ | ١١٧٠م |
| ٣٣- | أبو العباس أحمد الناصر لدين الله | ٥٧٥هـ | ١١٨٠م |
| ٣٤- | أبو نصر محمد الظاهر بأمر الله | ٦٢٢هـ | ١٢٢٥م |
| ٣٥- | أبو جعفر المنصور المستنصر بالله | ٦٢٣هـ | ١٢٢٦م |
| ٣٦- | أبو أحمد عبد الله المستعصم بالله | ٦٤٠هـ-٦٥٦هـ-١٢٤٢م-١٢٥٨م | |



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

لما كان كثير من أدباء بغداد يشوقون إلى أخبار ماضيها منذ سقوطها على يد
هولاكو إلى يومنا هذا أحببت أن أجمع من الكتب القديمة والحديثة ليتحقق أمنية
هؤلاء الفضلاء تلبية لطلب مدير (الرياض) أعزه الله فأقول بعد التوكل عليه تعالى
وحمده.

()



التهيوء

في شهر شوال من سنة ٦٥٥ هـ (الموافق لشهر تشرين الأول من سنة ١٣٥٧ ميلادية) رحل هولاء عن حلود همدان^(١) نحو مدينة بغداد. وكان في أيام محاصرته قلاع الملاحنة قد سير رسولا إلى الخليفة العباسي المستعصم بالله^(٢) يطلب منه عيادة فأراد أن يسير الخليفة جيشاً تلبية لطلبه فلم يقدر إذ لم يمكنه الوزراء والأمراء وقالوا: أن هولاء رجل صاحب احتيال وخديعة وليس محتاجاً إلى نجدتنا وإنما

(١) بالتحريك والذال معجمة وآخره نون في الإقليم الربع وطولها من جهة المغرب ثلاث وسبعون وعرضها ست وثلاثون درجة قال هشام بن الكلبي همدان سميت بهمدان بن القلوج بن صام بن نوح عليه السلام، وهمدان وأصبهان آخران من كل واحد منهما بلدة، ورجل من بعض كتب السريانيين في أخبار الملوك والبداية، إن الذي نرى همدان يقال له كرميس بن حليمون وذكر بعض علماء الفرس أن اسم همدان إنما كان ناهمه ومعناه الحوية وروى عن شعبة أنه قال: أجدل عسكر وهمدان معبته وهي أحلبها ماء وأطيبها هواء

انظر الزيد في: معجم البلدان ٥ / ٤١٠ - ٤١٧

(٢) هو عبد الله (المستعصم) بن منصور (المستنصر) بن محمد (الظاهر) بن أحمد (الظاهر) من سلالة هارون الرشيد العباسي وكتب أبو أحمد آخر الخلفاء الدولة العباسية في العراق ولد ببغداد سنة ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م وولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٦١٠ هـ والدولة في شيخوختها لم يبق منها للحلفاء غير دار تلك ببغداد فالتقى زمام الأمور إلى أمراء القواد واعتمد على وزيره مؤيد الدين ابن العلفي وكان الممول قد استغل أمرهم في أيام سلطته المستنصر، فكتب ابن العلفي قائلهم هولاء (حفيد جنكيزخان) يشير عليه باحتلال بغداد، ويعد بالإحانة على الخليفة، فرحب هولاء سنة ٦٤٥ هـ وخرجت إليه عسكر المستعصم فلم تثبت طويلاً ودخل هولاء بغداد، فجمع له ابن العلفي ساداتها ومدرستها وعلمائها فظلمهم عن أمرهم وأبقى الخليفة حياً إلى أن دل على مواضع الأموال والدفائن ثم قتله سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م وبموته =

غرضه إخلاء بغداد عن الرجال فيملكها بسهولة فتقاعدوا بسبب هذا الخيال عن ارسال الرجال. ولما فتح هولاء تلك القلاع ارسل رسولاً آخر إلى الخليفة وعاتبه على إهماله تسيير النجدة فشار الوزير^(١) فيما يجب أن يفعلوه فقال. لاوجه غير إرضاء هذا الملك الجبار ببذل الأموال والهدايا والتحف له ولخواصه. وعندما أخذوا في تجهيز مايسرونه من الجواهر والمرصعات والثياب الذهب والفضة والمماليك والجواري والخيل والبغال والجمال، قال الدويدار الصغير وأصحابه. أن الوزير إنما يدبر شأن نفسه مع التتر وهو يروم تسليمنا إليهم فلا يمكنه من ذلك فعدل الخليفة بهذا السبب عن تنفيذ الهدايا الكثيرة واقتصر على شيء نزر لا قدر له؛ فغضب هولاء وقال لا بد من مجيئه هو بنفسه أو يسير أحد تلكة نهر. أما الوزير وأما الدويدار وأما سليمان شاء.

فتقدم الخليفة إليهم بالمظفر فسلم يركنوا إلى قوله فسير

= انقضت دولة بني العباس في العراق بعدة خلفائها ٣٧، ملكوا مدة ٥٢٤ سنة

انظر المزيد في تاريخ الخميس ٢/ ٣٧٢، فوب الوفيات ١/ ٢٢٧، النجوم الزاهرة ٧/ ٦٣، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٥٣٦.

(١) هو محمد بن أحمد (أو محمد بن محمد بن أحمد) بن علي أبو طالب مؤيد الدين الأسدي العلقي البغدادي وزير المستعصم العباسي وصاحب الجريدة النكراء في مائة «هولاء» على غزو بغداد، في رواية أكثر للورجين، اشتمل في صباه بالادب، وارتقى إلى رتبة الوزارة سنة ٦٢٤هـ/ فوليا أربعة عشر عاماً ووثق به «المستعصم» فآلفى إليه رمام أموره وكان حازماً خبيراً بسياسة الملك، كاتباً فصيحاً الإنشاء، اشتملت خزانته على عشرة آلاف مجلد وصنف له الصنعاني «العياب» وابن أبي الحديد «شرح نهج البلاغة» وثق عنه بعض ثقات اللورجين خبر الحاصرة على المستعصم حين أخار هولاء على بغداد سنة ٦٥٦هـ واتفق أكثرهم على أنه مائة رولى له الوزارة مدة قصيرة ومات سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م ودفن في مشهد موسى بن جعفر (الكاظمية) ببغداد وحطه في الوزارة ابنه عز الدين «محمد بن محمد بن أحمد»، وكان مولده سنة ٥٩٣هـ/ ١١٩٧م.

انظر المزيد في الفهرى ٩٥، البديعة والنهاية ١٣/ ٢١٢، شذرات الذهب ٥/ ٢٧٢، الواقى بالوفيات ١/ ١٨٥، تاريخ الخميس ٢/ ٣٧٧، مرآة الحك ٤/ ١٢٧، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١

غيرهم مثل ابن الجوزي^(١) وابن محيي الدين^(٢) فلم يجدوا عنه. وأمر هولاءكو بايجونوين وسولجاق نوين ليتوجه في مقدمته على طريق أربل وتوجه هو على طريق حلوان وخرج النويدار من بغداد ونزل قريباً من بعقوبا ولما بلغه أن بايجونوين عبر دجلة ونزل بالجانب الغربي ظن أن هولاءكو قد نزل هناك فرحل عن بعقوبا ونزل بحيال بايجونوين ولقي يرث المغول أميراً من أمراء الخليفة يقال له «ايك الحلبي» فحملوه إلى هولاءكو فأمنه أن تكلم بالصحيح طيب قلبه فصار يسير أمام العسكر. ويهديهم وكتب كتاباً إلى بعض أصحابه يقول لهم.

ارحموا أرواحكم واطلبوا الأمان لأن لا طاقة لكم بهذه الجيوش الجرارة فأجابوه بكتاب يقولون فيه. من يكون هولاءكو وما قدرته بيت عباس. من الله ملكهم.

(١) هو الإمام العلامة الخافظ عالم العراق وواعظ الآفاق جمال الدين أبو المرح عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله القرشي الكري الصديقي البخاري الحلبي الواصف. صاحب التصانيف المسيرة في فنون العلم، وحرف جدهم جردت كانت في علوم لم يكن بواسط سواه. وقد سته عشر وحماسه لو قلها. وسمع في منه سبع عشرة من من الحصة وأبي طالب بن الساء وحلق عندهم سبعة وثمانون نقاً. وكتب بخطه الكثير جداً، ووعظ من سنة عشرين إلى أن مات. حدث عنه بالإجازة الفخر علي، وغيره. وله «إزاد السير» في السير، و«جامع السائد» و«المعنى» في علوم القرآن، و«ملوك الأريب» في اللغة والأجود والبطائر و«مشكل الصحاح» و«الموضوعات» و«الواميات» و«الصعامة» و«تلقيح فهوم الآثار» و«المنتظم» في التاريخ وأشياء يطول شرحها. وما عمت أحد من العلماء صنف ما صنف وحصل له من الخطوة في الوعظ ما لم يحصل لأحد قط، قيل إنه حضره في بعض المجالس مائة ألف وحضره ملوك ووزراء وحلفاء وقال كتب بأصمى ألمى مجيد، وثلاث على يدي مائة ألف وأسلم على يدي عشرون ألفاً مات سنة ٥٩٧هـ.

انظر المزيد في: إنباء الرواة ٢ / ١٦٢، البنية والنهاية ١٢ / ٣١٩، بغية الوعاة ٢ / ٨١، تذكرة الحفاظ ٤ / ١٣٤٨، للديباج المذهب ١٥، الرسالة لمسطرة ٧ / ١، شذرات الذهب ٤ / ٢٧١، طبقات الفراء لابن الجوزي ١ / ٣٧١، طبقات القسرين للدردي ١ / ٢٦٦، العبر ٤ / ٢٤٤، سراج الجنان ٣ / ٤٢٢، نكت الهميان ١٨٧، وفيات الأعيان ١ / ٢٨٠.

(٢) هو محمد بن علي بن محمد بن العربي أبو بكر الخافى الطائي الأندلسي المعروف بمحيي الدين بن العربي الملقب بالشيخ الأكبر، فيلسوف من أئمة المتكلمين في كل علم، ولد في مرمية بالأندلس سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٥م ومات سنة ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م، له عدة مصنفات منها «المفردات المكية» و«محاضرة الأبرار» و«مسامرة الأخيار» و«عقلاء مغرب» وغيرهم.

انظر المزيد في: فوات الوفيات ٢ / ٢٤١، جردة الأقباس ١٧٥، مفتاح السعادة ١ / ١٨٧.

ولا يفلح من يعاديهم ويمائدهم ولو أراد هولاكو الصلح لما داس أرض الخليفة
ولما أفسد فيها. والآن إن كان يختار الصلحة فليعد إلى همدان ونحن نتوسل
بالدويدار ليخضع لأمير المؤمنين متخشعاً في هذا الأمر لعله يعفو عن هفوة
هولاكو.

فلما عرض إليك الكتاب على هولاكو ضحك هذا واستدل به على غباونهم
وغفلتهم ثم سمع الدويدار أن التتر قد توجهوا نحو الأنبار فصار إليهم ولقى
عسكر الدويدار فاقتلوا قتالاً شديداً وانجلى الحرب عن كسرة الدويدار فقتل أكثر
عسكره ونجا هو في نفر قليل من أصحابه وفر حتى دخل بغداد.

الفصل الثاني هولاكو على باب بغداد

وفي منتصف شهر المحرم من سنة ٦٥٦هـ (الموافق لشهر كانون الثاني سنة ١٢٥٨ مسيحية) نزل هولاكو بنفسه على باب بغداد، وفي يوم وليلة بنى المغول بالجانب الشرقي سوراً عالياً ربي يوقاتيمور. وسولجاق نوس. وبايجنونين بالجانب الغربي كذلك وحفروا خندقاً عميقاً داخل السور ونصبوا المتجنيقات بإزاء سور بغداد من جميع الجوانب ورتبوا العرصات وآلات النعط. وكان بدء القتال ثاني وعشرين محرم (٣ كانون الثاني).

فلما عاين الخليفة العجز في نفسه والخذلان من أصحابه أرسل صاحب ديوانه وابن دروش إلى خدمة هولاكو ومعهما تحف تزره. قالوا: إن سيرنا الكثير يقول قد هلعوا وجزعوا كثيراً فقال هولاكو لم ماجاء الدويدار وسليمانشاه فسير الخليفة وزيره مؤيد الديس ابن (العلقمي) وقال: أنت طلبت أحد الثلاثة وما أنا قد سيرت إليك الوزير وهو أكبرهم. فاجاب هولاكو. اننى لما كنت مقيماً بنواحي همدان طلبت أحد الثلاثة والآن لم أقتع بواحد.

وجد المغول بالقتال بازاء برج المعجمى (برج المعجمى أو برج المعجم كان معروفاً إلى عهد السلطان مراد الرابع فاتح بغداد لأن التاريخ يذكر أن السلطان المذكور أمر ببناء ثلاثة أبراج شاهقة صميغة الأسس في داخل الشكنة قريباً من الباب الأبيض في المحل المشهور باسم تل دى الفقار بازاء برج المعجم، أما اليوم فلا ترى برجاً من هذه البروج كلها ولا نعرف موقعها) وبوقا تيمور من الجانب

الغربي حيث المقابلة وسونجق نوين وبايجونوين من جانب البيمارستان
العضدي.

وأمر هولاكو البتيكتجية (أي الكتاب) ليكتبوا على السهام بالعربية (إن
الأركاونية) أي الذين يدهم القلاع والعلوين والداذنشمديه (أي كبار السادة)
وبالجملة كل من ليس يقاتل فهو آمن على نفسه وحرمة وأمواله وكانوا يرمونها
إلى المدينة.

واشتد القتال على بغداد من جميع الجوانب إلى اليوم السادس والعشرين من
محرم.

تملك المغول على بغداد

فى ٢٦ محرم (٣ شباط ١٢٥٧هـ) ملك المغول الأسوار وكان الإبتداء من برج العجمى واحتفظ المغول الشط ليلاً ونهاراً مستيقظين لئلا ينحدر فيه أحد، وأمر هولاء أن يخرج إليه الدويدار وسليمانشاه. وأما الخليفة أن أختار الخروج فليخرج والأقليلرم مكانه فخرج الدويدار وسليمانشاه ومعهما جماعة من الأكابر. ثم عاد الدويدار من الطريق بحجة أنه يرجع ويمنع المقاتلين الكامنين بالدروب والأرقة لئلا يقتلوا أحداً من المغول فخرج من الغد وقتل.

وعامة أهل بغداد أرسلوا شرف الدين المروغى وشهاب الدين الزبكانى لياحدا لهم الأمان ولما رأى الخليفة أن لا بد من الخروج أرسلوا لم يرد استاذن هولاء بأن يحضر بين يديه فاذن له وخرج رابع صفر (١١ شباط) ومعه أولاده وأهله

فتقدم هولاء أن ينزلوه بباب كلواذى وشرع العساكر فى نهب بغداد ودخل بنفسه إلى بغداد ليشاهد دار الخليفة وتقدم باحضار الخليفة فاحضروه ومثل بين يديه وقدم جواهر نفيسة ولآلى ودرراً معبأة فى أطباق، ففرق هولاء جميعها على الأمراء وعند المساء خرج إلى منزله وأمر الخليفة أن يفرز جميع النساء التى باشرهن هو وبنوه ويعزلهن عن غيرهن ففعل فكن سبعمائة امرأة فاحرحهن ومعهن ثلاثمائة خادم خصى وبقي النهب يعمل إلى سبعة أيام ثم رفعوا السيف وبطلوا السبى.

وفى رابع عشر صفر (٢١ شباط سنة ١٢٥٨هـ) رحل هولاء من بغداد

الفصل الرابع

قتل الخليفة المستعصم وانقراض دولة بني العباس

وفي أول مرحلة من سفر هولاكو قتل الخليفة المستعصم وابنه الأوسط مع ستة نفر من الخصيان بالليل وقتل به الكبير ومعه جماعة من الخواص على باب كلواذى.

وبموت الخليفة المستعصم وأولاده انقضت دولة بني العباس، وكانت مدة خلافة المستعصم ١٦ سنة تقريباً وكانت مدة ملك العباسيين ٥٢٤ سنة هجرية وعدة خلفائهم ٣٧ خليفة (إلى هنا عن تاريخ ابن العبري^(١) بتصرف قليل)

(١) هو عريعرورس واسمه في الولادة يوحنا بن عمرو بن عمرو بن توما فللطي أبو الفرج المعروف بابن العبري مؤرخ سرياني مستعرب من نصارى البعاثية، ولد سنة ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م في ملطية (من ولاية ديار بكر) وفر مع أبيه إلى أنطاكية سنة ١٢٤٣م بسبب هجوم التتار فتعلم العربية والطب، واشتغل بالفلسفة واللاهوت. وانتقل إلى القسطنطينية وتقطع في بعض الأديرة ونصب أسقفا على جوباس (من أعمال ملطية) سنة ١٢٦٤م وسمى «عريعرورس» ثم كان أسقفاً لبعاثية في حلب ولحقه إلى رتبة «جاثليق» على كرسي المشرق سنة ١٢٦٤م (والجاثليق رتبة رؤساء الكهنة السريانيين في بلاد المشرق العربي ولارس وما إليهما ويقال لصاحبه هذه الرتبة عند رجال الكنيسة القريان) وتوفي في مرافقة بالخراسان سنة ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م وبقيت جثته إلى الموصل فدفنت في دير مارموني

انظر المزيد في: اللؤلؤ المنشور ١١١ - ١٣٠

الفصل الخامس

امحاق سكان بغداد

بعد أن دام القتل والذبح سبعة أيام لم يبق من أهل بغداد إلا القليل ، فالذى استطاع أن ينجوا لمجا ومن بقى قتل شر قتلة حتى أمحق أغلب البغداديين . وقد استبقى القتلة جماعة من الشيعة والنصارى لا غير ومن سكن بغداد من بعد السكان الأصليين قوم جازوا مع هولاء من أقطار شتى ونية اغلبهم السلب والتمول بزمان وجيز كما يجرى مثل هذا الأمر فى الفتوحات والحروب العظيمة .

الفصل السادس

الحكومة في بغداد بعد فتحها على يد هولاكو

بعد أن فتح هولاكو دار الخلافة العباسية سعى في تنظيم شؤون حكومتها ففوض عمارة بغداد إلى صاحب لديوان (مخر الدين الدامغانى) والوزير (مؤيد الدين ابن العلقمى) وابن درنوش وكانت الحامية جماعة من فرسان المعول وعددهم ثلاثة آلاف ورئيسهم ابيجككاي نورين وقرايوغا. وعهد إليها (أى إلى الحامية ورئيسها) الشحنة وما يدخل تحتها من الأمور التى تشابهها.

وارسل يوقاتييمور إلى ^(١) الخلة ليمتحن أهلها هل هم على الطاعة أم لا، فتوجه نحوها ورحل عنها إلى مدينة واسط وقتل بها خلقاً كثيراً اسبوعاً. ثم عاد إلى هولاكو وهو بمقام ساه كوه (أى رئيس الحيوش)

وتلقى عمالة الرساتيق فى شرقى بغداد أحمد بن عمران وكان أحمد هذا خادماً لحاكم بعقوبا وفى أيام الحصار سعى فى تمرين جيش هولاكو مدة ١٥ يوماً وذلك بأن كشف سر انابير الطعام المخزونة فى السرايب والمطامير التى كانت قريبة من بعقوبا فكافاه هولاكو على عمله هذا الجليل أن إقامه على رساتيق شرقى بغداد.

وأقام نظام الدين عبد المؤمن قاضى القضاة وانتظم به عقد الحكومة الجديدة وموظفيها ووظائفهم.

أما ابن العلقمى وزير المستعصم سابقاً (وكان شيعياً وهو أول من سعى بتل

(١) قرية مشهورة فى طرف دجيل بغداد من ناحية البرية بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ تترلها القفول.

انظر. معجم البلدان ٣ / ٣٢٨.

عرش الخلافة العباسية معاداة لأهل السنة) فإنه بعد أن خدم الحكومة الجديدة بمنزلة معاون للحاكم لا بمنزلة وزير لم يتهنأ زمناً طويلاً لمنصبه الجديد على حقارته إذ توفي بعد ثلاثة أشهر من سقوط بغداد وابنه شرف الدين أبو القاسم على قام في منصب أبيه بمنزلة معاون للحاكم.

وبقيت الأمور ماثرة على هذا الوجه من النظام والترتيب إلى سنة ٦٦١هـ/ ١٢٥٣م وعامئذ أمر خان المغول بقتل وزيره سيف الدين البتيكتجي وكذلك الخواجه عزيز حاكم بلاد الكرج والخواجه مجد الدين التبريزي. ونصب وزيراً له شمس الدين محمد الجويني وأخاه علاء الدين عطاء الملك حاكماً على بغداد وعلى ولايتها.

وعلاء الدين هذا هو صاحب تاريخ فتوحات المغول وقد كتبه باللغة الفارسية وروسمه «بتاريخ جهان كوشاي» ولما كان هذا الرجل عادلاً نشر للحال أحنحة السلام والنجاح في دار السلام. وهو الذي أمر بحفر نهر يدفع في النجف مياه الفرات ذلك النهر الذي لما تراكمت فيه الرمال وسدت مجراه بعد قرون فتحه الشاه إسماعيل الصفدي فعرف بوقتئذ بالنهر الشاهي وهو المعروف اليوم بنهر الهندية لأن آصف الدولة أحد أمراء الهند في لكهنؤرجاء إلى النجف ورأى قلة الماء هناك فأعاد كرى النهر فسمى بالهندية وذلك سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م نقلًا من مختصر الدول وروضة الصفاء لميرخند وحبيب السير ومخطوطات دير المبعث

الفصل السابع مصير أهل المناصب الجديدة ومن كان من بعدهم وسلطنة أبا قين هو لاكو

هلك هو لاكو سنة ٦٦٣هـ وعمره ٤٨ سنة في الليلة التي سبقت نهار الأحد ١٩ ربيع الثاني (٨ شباط ١٢٦٥م) وقيل هلك في سنة ٦٦٤هـ وكان حكيماً حليماً ذافهم ومعرفة ودهاء يحب الحكماء والعلماء ويعدّه بقليل اندرجت طقز (نخاتون) روحته وكانت أيضاً عظيمة في رأيها وخبرتها.

وبعد ذلك اجتمعت الأولاد والأمراء والخوائن واتفقوا على أن أبا قين هو لاكو يفعد على كرسى المملكة لأن عند العقل والكفاية والعلم والدراية، ولما أقيم على عرش أبيه ابقى شمس الدين محمداً في منصبه إلا أن محمد الملك اليزدي ابن صفى الملك وزير أتاك يرد سابقاً مازال يقتل من شمس الدين في الذروة والغارب حتى قتل ذؤابة أبا قين في ما يتعلق بأمر وزيره الأعظم فجاء أبا قين بغداد.

ويقال أن في تلك الأثناء كان عطاء الملك يواصل المصريين مواصلة خفية لغايات سياسية فوشى به إلى سلطان المغول فأمر بأن يغفل لأنه لم يثبت عليه ما شاع عنه وإلا لافناء، وقد بذل أحوه الأموال الطائلة لانتقاذه فلم يفلح فتعهد عطاء الملك أن يدفع للخزانة الأميرية ثلثمائة تومان ذهب والظاهر أن التومان كان يومئذ على غير ما هو الآن لأن الرجل المذكور دفع كل ما يملك وباع جميع نسائه وأولاده ومع ذلك لم يتمكن من أن يدفع المبلغ كله وفي ٤ رمضان سنة ٦٨٠هـ (٨ كانون الثاني ١٢٨٠م) أطلقه من السجن.

ومن بعد مضي قليل من الزمن على هذا الحادث توفق مجد الملك إلى دخول بغداد فاعاد الكرة على الحاكم المظنوم واوجب عليه ان يدفع ما بقي في ذمته أي مائة وثلاثين تومانا ولما لم يستطع عطاء المثلث ان يفيها عذب أشد العذاب وجرد من ثيابه وطيف به على هذه الحالة في المدينة كلها وبينما كان يساق إلى السلطان الذي كان قد ذهب إلى همدان شاع خبر وفاة ابقا إيلخان عند وصول مجد الملك إليها وكان موته فجائياً وكان نصرانياً كأيّه هولاكو

الفصل الثامن حادثة جاثليق النساطرة ومحاولة الإسماعيليين لقتل حاكم بغداد

وقع حدثان في ذلك العهد ولا شك أنهما وقعا في أيام حكم عطاء الملك على بغداد وأول هاذين الحدثين أمر جاثليق النساطر بأن هذا الخير كان يقيم في بغداد منذ مصرت هذه المدينة وجعلت در خلافة إلا أنه في سنة ٦٦٨ هـ (أي سنة ١٢٦٨ م) رأى نفسه مجبوراً أن يعادر العاصمة أثر قبة وقعت فيها والسبب هو أن الجاثليق المذكور (وكان اسمه دبحا) وقد كان خلفاً لسلفه (مكيكا) حسن عنده نسطورياً كان قد أسلم قبل (بضع سنوات) وأشاع بعض المفسدين من أهل الأهواء أن نية الجاثليق أن يفرقه في الشط فتجهر المسلمون مفسدون أمام دار الحكومة فبعث الوالي مراراً إلى الجاثليق طالباً منه أن يسلمه الرجل المحبوس فابى مصرأ على بقاءه في قصره فما كان من الرعاع إلا واحرقوا باب دار الجاثليق ورواقه وتسلقوا الجدار ليدخلوا عليه ويقتلوه فلم يعثروا عليه لأن الوالي كان قد وجه إليه رجالاً لينقذوه من أيدي الأوبش فنجحوا في سعيهم وهزموا بينات الطريق ومن بعد أن نجا اشتكى على أولئك الرعاع أمام ديوان القان لكن سعيه ذهب ادراج الرياح فلما رأى أن لا قبل له بالإقامة في عاصمة العباسيين عقد النية على تبديل مقامه فذهب وأقام كرسيه اجاثليقي في اوبل.

وأما الحدث الثاني فهو أن بعض الإسماعيلية^(١) حاولوا أن يقتلوا والي المدينة فاخفق سعيهم فقبض عليهم ومزقوا أرباً أرباً فاشاع بعض الرعاع أن هؤلاء الإسماعيلية من النساطرة وقد أرسبهم إلى بغداد جاثليقهم انتقاماً منه فكانت هذه

(١) إحدى الفرق «الشيعية».

الأراجيف مدعاة لحبس الأساقفة ولطائرة وسائر رؤساء خدمة الدين الذين بقوا
في الزوراء ووقئذ إمرقاه اربيل وكان قوتلوق شاه أن يقبض على الجاثليق ويلقى
في السجن ولم يطلق سراحه إلا بعد بضعة أسابيع بأمر صدر من ديوان القان
ومنذ ذلك الحين صمم جثالة النساطرة أن يقيموا في حرر حريرز لا يصل إليهم
الأعداء بسهولة فذهبوا ونصبو كرسيهم في (اشنو) من بلاد آذربيجان.



تملك تكودار اغول وما وقع في عهده من الحوادث المشهورة

كان لتكودار اغول بن بوخى اغول اسم آخر إسلامى وهو أحمد وهو أخو أباقا بن قوتاي خاتون وقد رقى عرش المملكة حلفاً لأخيه سنة ٦٨١هـ - (١٢٨٢م) فأعاد إلى الوزارة شمس الدين محمد وأرجع عطاء الملك إلى وظيفته وظيفة وال فلما انتشر هذا الخبر بين أهل بغداد أقاموا أعياداً دامت اثنا عشر يوماً وأصدر القان مرسوماً وجهه إلى البغداديين ليشرهم بإرتقائه إلى عرش المملكة وبإيمانه الصادق ومما جاء فيه ما هذا معناه. أعيدوا إلى المدارس والأوقاف ماتزعموه منها وكان لها في عهد الخلفاء العباسيين وليأخذ كل واحد نصيبه مما كان يعود إليه من ريع المساحد والمدارس، فهذا كلام جريل القائدة لأنه يدلنا على أن الإضطراب كان عظيماً في المدينة وأنه لم يبق باق على حالته الأولى وإن المغول الكفرة كانوا قد اعتبروا الأوقاف والمدارس العديدة بمنزلة ملك عائد إلى الدولة العاتكة ولهذا أمر تكودار أمر ما أمر حماية لشوكة الإسلام.

ولما مكنت قدم عطاء الملك من الوقوف على دست الولاية انتقم من عدوه مجد الملك وحكم عليه بأنه ساحر وخائن ولم تكن نيته قتله بل تعذيبه فقط إلا أن خدمه ذهبوا وفسخوه فسحاً بدون أن يتظروا أمراً من سيدهم ووزعوا أعضائه المنسوخة على النواحي للجاورة وعلقوا رأسه على جسر بغداد.

وتوفى عطاء الملك في تلك السنة عنها (أى في ذى الحجة سنة ٦٨١هـ / ٥ آذار سنة ١٢٢٣م) بداء السكتة عند سماعه أخبار أرغون الذى كان عقد نيته على أن يشدد الخناق عليه وعلى أن يبدي تكودار أخاه الذى شتى في نواحي بغداد تلك السنة.

انتصار ارغون على أخيه تكودار اغول وأخذه بغداد وذكرهم ما جرى في عهده

لما حارب ارغون أخاه أحمد وانتصر عليه سلم عنان دار الخلفاء إلى أخيه بايدو اغول سنة ٦٨٣هـ (١٢٨٤م) فاستورر هذا الأمير بوقا الذي نسب إلى شمس الدين محمد بسم باقا ولهذا أمر بقتله وقتل أولاده الثلاثة.

ولقد ظهر ثملك ارغون على بغداد ودمشق بما بذل من السعي للمحمود في حفر نهر جديد يخرج من الفرات ومدفع ماء في سهل كربلاء.

وبعد قتل شمس الدين بقليل أمر القائد أروق أخو بوقا الذي كان وزيراً لأرغون وكان بيده إمرة الحيوش في العراق العربي في عهد الأمير بايدو بأن يقتل ابن آخر لشمس الدين واسمه حواجا هارون وكيل الولاية لأنه كان يظنه أنه متفق مع مجد الدين أثير الذي كان قد سب إلى أروق العبث بأموال الدولة. ثم أن أروق قبض عليه وقتل حالاً بعد قتل أخيه بوقا.

ومن اشتهر في ذلك إلا وأن الطبيب ليهودي سعد لدولة فإنه خلف جلال الدين السمناني في الوزارة المالية وكان طبيباً خاصاً لأرغون لكنه كان يقيم اعتيادياً في بغداد.

فعلمه طول الإقامة الإطلاع على حالة المال في الولاية ولما كان واقفاً تم الوقوف على بخل القان المغولي كان يكلمه دائماً عما احتلسه وكلاء أروق وحالة واردات الأموال الأميرية وكل ذلك طمعاً في تحويل فكره عن الأشغال المبهمة وانتهى به الأمر أن بين له أنه أغلب أموال الدولة ذهب إلى خزائن أروق ومنها إلى خزائن أخيه بوقا الوزير. ومن جملة انشراهد التي أتى بها دعماً لرأيه ما ذكر

له من هدم عدة مدارس وخانات بل هدم جامع وأخذ موادها لبناء ما قد أمر به أروق المذكور وفي الآخر نجح اليهودي في دسائسه فعين له رجلان من زعماء الدولة وهما أردو قيان وبيان سكورجي وعهد إلي ثلاثهم أن يفصحوا دواوين الحساب ويقبضوا الواردات. فجمع سعد الدولة من ذلك مبلغاً طائلاً وسلمه بيد أرغون فلما رأى هذا ما في هذا لطبيب من الكفاءة والجدارة إقامه مراقباً على دخل المملكة وخزانتها.

فلما بلغ اليهودي هذا المبلغ من علو المرتبة أقام أخاه فخر الدولة ناظراً عاماً على مزارع العراق وسائر أقاليمه في وظائف أخرى من وظائف الدولة في أقطارها المختلفة القريبة من بغداد.

ولما مات أرغون أثر مرض لم يمهله زماناً طويلاً جمع سعد الدولة حسنات كثيرة ودفع إلى أهل الجباية في بغداد ثلاثين ألف دينار من البقايا إلا أن قتل هذا الوزير قلب ظهر للمجن لليهود وذلك أن بعض كبار الدولة تأمروا على الفتك بحياته فنجحوا في مؤامرتهم وكان قتله قبل وفاة أرغون التي وقعت في ٧ ربيع الأول سنة ٦٩٠هـ (١٢٩١م) ومنذ ذاك الحين ضيق على اليهود تضييقاً عظيماً حتى عد ذلك الضيق من أعظم المصائب التي نزلت بهم وقام المسلمون في بغداد قومة واحدة وبأيديهم الأسلحة هجموا على اليهود في محللتهم هجوم الأسد الصرغام، لا أن اليهود كانوا قد استعدوا لهذه الموقعة فدافعوا عن أنفسهم دفاع الأبطال وردوا مهاجميهم على أعقابهم وكان القتل في الجانبين عظيماً جداً (إلى هنا نقلاً عن ابن العبري وذو صون ورحصاف وغيرهم).

سلطنة كيخاتو

خلف أرغون كيخاتو على عرش السلطنة إلا أن أمراء المغول ما عتصموا أن كرهوه لكثرة مفااسده وخلعه عذر الحياء فعقدوا البية على تمليك بايدو وقبل أن يستوى هذا على العرش دفع بعض الناس إلى قتل محمد السكوريحي الذي كانت بغداد بيده وما قتل إلا ورفع البغداديون علم العصيان والتمرد ولما رقى بايدو تخت المملكة عين حاكماً على بغداد تودر، جر أحد أخصائه فصادر سكان المدينة والتزف أموالهم واعتصرهم إعتصاراً لم يسمع بمثله.

تملك غازان أوقازان

قبض غازان على عباد الملك بعد كبختاتو وفي غرة ملكه ضيق الإسلاميون على الذميين تضييقات لا يقي وصفها القلم وكان أشد هذه للحن وقع في نصارى بغداد حتى لم يجسر واحد من الرجال أن يظهر في الطرق تحت نساؤهم بالذهاب إلى السوق لشترى الأطعمة لأنهن كن يتزين بزي المسلمات كما أنهن كن يعمن ما يلزم بيعه طلباً للرزق والربح إلا أن المرأة كانت إذا عرفت أنها نصرانية أهنت أشد الأهانة وضربت ضرباً ربما أودى بحياتها.

ومن امتحن بهذه للمحنة (سائر الذميين) من يهود ومجوس وإن لم تكن محتهم بالدرجة التي وصلت إليهم محنة النصارى

وفي ذلك العهد أيضاً انتشل المسلمون من أيدي النصارى الكنيسة التي كان قد بناها الجاثليق مكبكا في قصر الدريدار الذي أعطاه أباه هولاكو. ورد على ذلك أنهم نبشوا قبره واستخرجوا رفاته ورمات خلفه دنحا والقوها على الأرض فأسرع النساطرة وتلقفوها ودفنوها في بيع أخرى من بيعهم (إلى هنا نقلاً عن ابن العبري وذو الصون وشابو وغيرهم).

وأما الخراج الذي كان يؤديه الذميون ولاسيما النصارى عن الأرضين التي ابقيت لهم فكان غازان قد ميز بغداد عن سائر بلاد مملكته في الأمر لذي أصدره في شهر رجب من سنة ٧٠٣هـ (١٣٠٤م) إذ أوجب فيه على أهل سائر المدن أن يدفعوا الخراج مرة واحدة في السنة من نوروز الربيع إلى اليوم العشرين منه وأما في دار الخلاء فكان يجبي في أيام الحصاد إلى مدة عشرين يوماً.

وكان غازان يشتى في بغداد ويقضى أيامه في الصيد في السهول التي تكتنف المدينة وفي ١٨ ذي القعدة من سنة ٦٩٥هـ (٢٩ أيلول ١٢٩٦م) غادر جوار مراغة واتخذ معه أكابر دولته وذهب بهم على شواطئ دجلة فوصلها بعد ثلاثة أشهر في شهر كانون الأول وقضى أيام الشتاء وأخذ يتصيد في العراق ويرحه طالباً همدان في ١٤ جمادى الأولى سنة ٦٩٦هـ (١ آذار سنة ١٢٩٧م) وأمر بأن يقام في دار الخلفاء كما في سائر مدن المملكة دور ضيافة سماها (دور السيادة) لانزال السادة أبناء ذرية علي بن أبي طالب في رحابها ومقاصيرها وحبس عليها الأموال الطائلة لنفقتها ونفقة من ينزلها من العلويين.

وفي حين زحفته الثالثة على ديار الشام عبر غازان الفرات إلى الحلة في ١٠ جمادى الثانية من سنة ٨٠٢هـ (٣٠ كانون الثاني سنة ١٤٠٣م) وفي اليوم السادس من عبوره الفرات ذهب لزيارة قبيل كربلاء وعين للسادة لتقييمين بجوار التربة ثلاثة آلاف من الخبز في اليوم الواحد من ربيع الأرضين التي يسقيها النهر الأعلى الذي حفره غازان وكان شقة من الفرات إلى مشهد الحسين ناقلاً ماء زلالاً إلى بلدة مدفن الحسين وقال ذو النون في كتابه تاريخ المغول.

أمر غازان فحفر في أرض الحلة نهراً يأخذ ماء من الفرات ويدفعه إلى مرقد الحسين ويروى سهل كربلاء اليابس الفقير وما جرى الماء إلا وطرش عليها بسلاً أنحضر كله محاسن ولبست الأرضون ثياباً سندمية سداها مختلف البات ولحمها ألوان الأشجار وكانت غلتها تزيد في السنة على مائة ألف طغار من الحبوب تفوق حبوب بغداد حسناً وجوهراً، وأمر غازان أن يوزع كل سنة مقدار وافر من الحنطة على السادة الفقراء الذين كانوا يأوون إلى المرقد وعددهم كان هناك عديداً وتسمى ذلك النهر «نهر غازان الأعلى» أو النهر الأعلى العازاني، تمييز له عن النهر الآخر الذي كراء هو أيضاً ويأخذ ماء من الفرات وينزل به إلى مرقد السيد أبي الوفاء وكان الباعث على شق هذا النهر أنه ذهب يوماً يتصيد فاقضى به الصيد إلى السهل الفقير الذي فيه مرقد هذا السيد. وأراد حيثئلاً أن يورد دوابه ونخيله فلم يجد ثم ماءً فآلى على نفسه أن يجلب الماء إلى ذلك الرطن ويسقى أراضيه ففعل وسمى هذا النهر «نهر غازان الأسفل» أو «النهر الأسفل العازاني»

وكانه لم يكن بهلين النهرين فحفر نهراً ثانياً في الطرف الشرقي من بادية كربلاء
واشتهر باسم «نهر غازان» وأوقف على تلك الأنهر وريعتها لمركد أبي الوفاء
ولاوقف شيئاً توفي غازان في الري سنة ٧٠٣هـ (١٣٠٠م).

تملك الجايثق أواخر بنده بن أرغون

وبعد أن توفي غازان تسلم سرير الملك «الجايتق» وكان يشتى في بغداد ويصيف في «السلطانية» وهي مدينة من بنائه ومن شتواته شتوة سنة ٧١١هـ، ٧١٢هـ (١٢١١م - ١٢١٢م) فافر من بغداد في ربيع هذه السنة الثانية المذكورة. وكان وزيره تابع الدين على شاه وكان في السابق جواهرياً ووزيراً وكان سعد الدين الساوجي الوزير الذي سبقه قد أودع إلى عهده رئاسة معامل بغداد الملكية تخلصاً منه وإبعاداً أياه من حوالى لملك ولم يشتهر هذا السلطان بأمر يذكر راجع إلى بغداد غير ما ذكرناه ويسمى العرب هذا الملك خربنده بن أرغون ملك على العراق كله وخراسان فضلاً عن بغداد وكانت مدة حياته ثلاثين سنة.

وقد ذكر بعض المؤرخين من الفرس كلمة خربنده مصحفة بصورة خدابنده والأصح الرواية الأولى وأن تابعهم في غلطهم هذا البستاني في دائرة المعارف في مادة بغداد (في ٥ / ٥١٥) وإنما صحفوها بصورة خدابنده تعصباً لاطلبا للحقيقة لأن معنى خربنده عبد الحمار أو خادم الحمار وأما خدابنده فمعناه عبد الله أو خادم الله راجع تاج العروس في مستدرك مادة خرد. تراه يقول: وخربنده ملك العراق فارسية أى عبد الحمار» أه وأريد على ذلك أن كلمة خربنده معروفة إلى يومنا هذا في بغداد. ومنها بستان خربنده.

سلطنة أبي سعيد بهادر بن خريندة بن أرغون بن اباقا أو ابغا بن هولاكو

لما امتطى أبو سعيد بهادر بن خريندة صهوة المملكة لم يكن عمره يتجاوز السنة الثالثة عشرة وكان ذلك سنة ٧١٦هـ (١٣١٦م) واستوزر له الأمير جوبان وأودع أولاده سائر الولايات وأقامهم حكاماً عليها فوفقت بغداد في حصه أحدهم ولما استحكمت حربي الصداقة بين الخان ووزيره هان السلطان «بغداد خاوند» ابن جوبان وروضة الشيخ حسن الإليخاني فلما رأى ذلك الوزير وما يترتب على هذا الأمر من العواقب الوخيمة وما يدور عليه من الدوائر المطاوعة أرسل صهره مع أخته إلى قره باغ وحسن للخان قضاء الشتاء في جوار بغداد فنجح في مسعا مع ما بذل الوزير لملك ناصر الدين في سبيل أحباطه لأجل توفيق جوبان إلى أن ينفي الوزير المذكور إلى خراسان وإلى قتلى وقتله في أثناء الطريق.

وذهب أبو سعيد من بغداد إلى السلطانية فقتل فيها «دمشقي خواجا» ابن جوبان على وشاية لاغير فأوعز هذا العمل صدر الأمير جوبان ودفعه إلى العصيان والخروج على السلطان سنة (٧١٩هـ - ١٣٢٠م) إلا أن رؤساء الجيوش خانوه فولى مديراً خراسان ومنها إلى هراة طالباً الخلاص مستغيثاً بالملك غياث الدين، فلم يتوفق إلى النجاة فقتل بأمر أبي سعيد وبلغ عدد قتلى الفتنة ثلاثين ألف نسمة. وفي سنة ٧٢١هـ - ١٣٣٢م أرسل بهادر هدية للسلطان الناصر راقية في عينية ثم بعث بهادر المذكور إلى بغداد فيجأ يخبر أهلها بآراقة الخمر وإبطال

الفراخش فنأدى المنأى بذلك فى الأسواق والشوارع وما ذكر أنه وجد فى بيت رجل ذمى خاية خمر أخذت الخاية وأهريق مافىها وكسرت ووضعـت العلائم على الذميين من نصارى ويهود تميزاً لهم من الإسلاميين عند قرع الفتن بسبب الخمر والعهر فأسلم كثير من الذميين والتار، ومات بهادر سنة ٧٣٦هـ - ١٣٣٦م وكانت مدة ملكة عشرين سنة.

سلطنة أرياغاورون أو أرياخان

وموسى خان وحسن الإيلخانى وحسن الجوبانى

«على بادشاه أو على رواية بعضهم «عليشاه» وأصح الروايات (على بادشاه) كان حاكماً على بغداد لما خلف أرياغاورون على سرير السلطنة سلفه أبا سعيد وكان على المذكور شيخ فخذ من قبيلة الأويرات (المعروفة عند الأجانب باسم الويثة) قد أقام فى نواحى (بغداد مع قومه وهو آخ (الحاجة خاتون) أم السلطان (أبى سعيد) فالتجأت إليه زوجة أبى سعيد الثانية واسمها (دلشاد خاتون) ابنة «دمشق حواجبا» وكانت يومئذ حبلى خائفة على حياتها وقد فرغت هذه الخاتون إلى على بادشاه حلاً بعد مياعة أرياغاورون وليس بعد وحوود (بغداد خاتون) أول زوجة السلطان مخنوقة فى حمام على مارواه نظمى زاده فان خنى (بغداد خاتون) كان بعد ذلك بقليل.

أما على بادشاه فاستشر للحداد الأويرات ونادى بموسى خان سلطاناً على المغول وهو ابن حفيد هولاکو ففره قومه وأبلى بلاءً حسناً وهزموا أرياغاورون وأعوانه فولوا الأدبار إلا إنهم تأثروا وقبضوا عليه وقتلوه بعد أن ملك ستة أشهر.

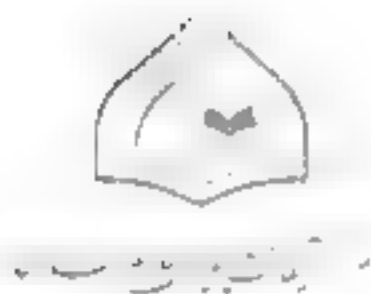
فقام فى تلك الأثناء الشيخ حسن صاحب عساكر بلاد الروم أسية الصغرى وقائدها وتحزب لرجل آخر من سلالة هولاکو وهو محمد خان قانجده على موسى خان وعلى بادشاه وغلبهما وكسرهما وخذلتهما فى وقعة الأطاغ فى ١٤ ذى الحجة سنة ٧٣٦هـ (٢٤ تموز ١٣٣٦) وقتل فى المعركة على بادشاه، أما

موسى فأنه ولى منهرماً إلى بغداد وكان الأويرات قد تملكوها.

وفي شهر ذى الحجة من سنة ٧٣٧هـ (تموز سنة ١٣٣٧) قتل موسى بأمر الشيخ حسن وكان موسى هذا قد أسر بعد أن فر هارباً من معركة دارت رحاها عليه في جوار مراغة وكان قد حارب فيها دفاعاً عن طوغاي تيمور الذي أقامه خوارج خراسان رئيساً عليهم.

وأما محمد خان فأنه قتل في السنة التالية في صفوان الشباب وغضاضة الأهاب بعد معركة نخجيران التي دارت دائرتها عليه في ٢٠ ذى الحجة سنة ٧٣٨هـ (١٠ تموز ١٣٣٨) وكان قاتله أحد خصوم الشيخ حسن الأيلخاني واسمه كاسمه فسمى حسن الجرياني تمييزاً له من سمي.

فلما اضمحل أثر الخصمين وقع أمر الإل مامى المعضلة من الأشكال وهو أن حسن الأيلخاني أخذ العراق وحسن الجويني احتص نفسه في تبريجان ثم اختار الأول ملكاً وسلطاناً شاء جهان تيمور من مملوكي كينياتو بن اباقا وذلك بعد أن رأى نفسه مكرهاً على أن يترك طوغاي تيمور لكثرة مادم حسن الجويني من الدسائس والحيل، وأما هذا فسمى نفسه سليمان خان بن محمد من سلالة هولكو فطرت شرارة الحرب مرة أخرى ودارت رحاها على حسن الأيلخاني وفر هارباً فارغاً إلى بغداد وتحصن فيها وأعلن بسيادته عليها وعلى هذه الصورة انتهى ملك المغول في دار السلام وحقر الإسلام وذلك في سنة ٧٤٠هـ (١٣٣٩م - ١٣٤٠م) انتهى ملخصاً عن ابن العبري وذو صون ونظمي زاده وكتاب مستجع المرتاد في تاريخ بغداد وهو كتاب خط المؤلف جبرائيل حنوش أصفر.



الباب الثاني

بغداد بيد الإيلخانيين

دولة الأيلخانيين أو الجلائريين

أقبغا أو آق بغابن إيلك خان أو أيلخان أو أيلكان بن جلاتر - كان أمير الأمراء في عهد كيخاتو خان وقتل في الفتن التي حدثت عند جلوس بايلو على سرير المملكة وتزوج ابنه الأمين حسين من ابنة أرغون وأصبح في عهد أبي سعيد شيخاً للرحل المبشورين في خراسان ورزق ولداً هو هذا الشيخ حسن الأيلخاني الذي تملك على حكومة بلاد «الروم آسية الصغرى» في عهد أبي سعيد وقد رايت ما وقع له من الحوادث قبل أن يستقل مملكته. بغداد في سنة ٧٤٠هـ (١٣٣٩م - ١٣٤٠م) وكان قد تزوج بدلتشاد خان (ابنه دمشق خراجا زوجة أبي سعيد الثانية التي كانت قد رزقت منه سلطان أويس الذي حلفه بعده).

وقد سبقنا فقلنا أن الأمير الشيخ حسن الأيلخاني غلب في المعركة التي نشبت بينه وبين حسن الجوباني فلما رأى ما صار إليه من الحال عاد ادراجه إلى بغداد وكان فيها ابنه السلطان أويس بمنزلة حاكم ونادي فيها بالاستقلال وملك سبع عشرة سنة وشيد مباني فخيمة في النجف وتوفي في بغداد في سنة ٧٥٧هـ (١٣٥٦م) ودفن في النجف بجوار مدفن علي بن أبي طالب، وقال بعض المؤرخين بل أن حسن الكبير الأيلخاني ملك عشرين سنة فلا شك أنهم حسبوا في هذه المدة السنوات التي غاب فيها عن بغداد قبل أن يجهر بالاستقلال.

وملك بغداد بعد حسن الكبير ابنه السلطان أويس وذلك في شهر رجب سنة ٧٥٧هـ (أي تموز سنة ١٣٥٦م) وفي شهر نيسان من السنة التالية من سلطنة السلطان أويس حدث طغيان دجنة ففرق وافنى شيئاً كثيراً من مال ورجال وقد نظم خندميريتين في هذا المعنى وهما.

يسال هفصد وينجاه وهفت كشت خراب

باب شهر معظم كه خاك بر سرآب

درينغ روضة بغداد آن بهشت آباد

كه كرده است خرابش سهر خانه خراب

أى فى سنة ٧٥٧هـ (١٣٥٧م) أخرج الماء البلية المعظمة (بغداد) محق الله ذلك الماء. وآسفاه على بغداد تلك الروضة الغناء التى كانت تشبه الجنة فقد أخرجتها السماء سماء عساها تكون بدون سماك - (ترجمة بتصريف).

وفى ربيع سنة ٧٥٩هـ (١٣٥٨م) رحف أريس بجيش جرار على أخيجوق بجوار تبريز وكان أخيجوق قد تملك على آذربيجان غير أن السلطان أريس لم ينجح إلا بعض النجاح فى رحفته لأن أحمد قواده خانه حبا بيلهنية العيش فالترم أن يعود إلى بغداد وقد ترك آذربيجان لصاحبها الجديد، وفى ذلك الحين خرج عليه من بغداد مولاة الخواجا مرجان وكان معه أريس قد أبقاه فيها بمنزلة حاكم عند رحفه على المدو، وإذا مرجان قصد الإستقلال بحكومة بغداد وتملكها، ولاسيما لأن بغداد كانت محاطة بالمياه من كل جانب، فأصبحت كالجزيرة المنيعه التى لا ترام بيد أن السلطان أريس دخل إليها، وكان معه أربعمائة سفينة مشحونة بالمقاتلة والذخائر، وما أبطا أن نصره الله على مولاة الخائن وقهره وفرق شمله ومزق حزيه ثم عفا عنه عفو الكرام، إحابة لطلب أهل بغداد والخاصهم عليه إلا أنه نزع منه الحكم على المدينة ولم تعد إليه إلا عند وفاة سلطان شاه الخارن التى وقعت فى سنة ٧٦٩هـ (الموافقة لسنة ١٣٦٧م - ١٣٦٨م)

واراد الخواجا مرجان التكفير عن خيائته والتقرب من عزته تعالى بالمبرات والحسنات فأنشأ الأوقاف الطائله الجديرة بالملك وأقسام المدرسة المعروفة باسمه وفى وسط تلك المدرسة بنى مسجداً خير أنه لم يبق من تلك الأبنية فى يومنا هذا إلا المسجد بل بعضه وحسبك دليلاً على ما كان عليه من حسن البناء مدخله فإن عواميده المئضه والنقوش المختلفة والنقوش التى تزينه بنبشك عما كان فى سابق الزمن وعلى أى طرز من كمال البناء وضع.

استطرد في جامع مرجان وأوقفه المحبوسة على مدرسته

قال السيد الأستاذ والسند الملاذ الشيخ محمود شكرى أفندى الألوسى من له في كل علم من علوم العرب امتز القسى ما هذا نصه بل قصه.

هذا مسجد رصين البناء واسع القواعد مشيد الأرجاء مبنى بالحجارة المهندسة ذو طبقتين سفلى وعليا فيه مصلى واسع وحجر فى الطبقة السفلى والعليا وقد جعله بانيه مدرسة حاكى بها المدرسة النظامية وجعل الحجر مساكن لطلبة العلم ومحال لإقامتهم فيها وأجرى عليهم الجرايات الوافرة ورتب لهم المدرسين من كل مذهب وأوقف الأوقاف الكثيره وما أوقفه من العقارات مذكور على جدران هذه المدرسة وداخل المصلى وهذا نص ما كتب على جدر المصلى والمحراب فى ابوان.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى وفق المطيعين لعبادة ابنه بيوت العبادات والههم للمخلصين اشادة أعمدة دور الطاعات ورفع ذكر الزلاة بتأسيس قواعد معالم المكرمات ودل أرباب السعادات على ملوك سبل الخيرات ومنح المحسنين بتشريف أن الحسنات يلهين السيئات وحباهم بمآل «أن المتصدقين والمتصدقات» والصلاة والسلام على نبى الرحمة محمد المصطفى خير الأنام وأصحابه مصابيح الدجى ويدور الظلام.

أما بعد فيقول المفتقر إلى عفو الملك الممان مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن بذل الله سيئاته حسنات أتى هاجرت مدة فى الأرض وجاهدت سنين فى الطول والعرض ذا شمال ويمين متورطاً فى مخاوف البر والبحر متوارداً فى متالف البرد والحر حتى ادانى الجلد الصاعد وادباني التوفيق المساعد فعلمت أن الدنيا دار الفراق والأخرة هى دار الفراق واهبنت أن أولى ما انفقت فيه الأموال وأحرى ما توجهت إليه همم الرجال ما كان وسيلة إلى أبواب رحمة محط الرجال وذخيرة ليوم المحاسبة والسؤال وقد قال النبى عليه الصلوة والسلام «إذا مات ابن آدم أنقطع عمله إلا عن ثلاث. صدقة جارية وعلم يتففع به وولد صالح يدعوا له»^(١)

(١) مثنى عليه.

والصدقة الجارية هي الوقف فشمرت عن نية صادقة صافية وسريرة للخير وافية. وشرعت في عمارة هذه المدرسة المسماة بالمرجانية وتوابعها المتصل بعضها ببعض في زمن المخدم الأعظم الدارج إلى جوار الله ورحمته المستريح على أعلى غرفات جناته حسين ثوبان أنار الله برهانه وتممت في دولة نور حدقته ونور حديقته. المخدم الأعظم الأعدل رافع رايات السلطنة على الأفلاك ناصر غايات المملكة إلى السماك صاحب ذيل الرحمة على الإعراب والأتراك. معي مراسم الملة المصطفوية مزين شعار الدولة الجسكية حاجيج شاه أريس خلد الله ملكه ووقف على الفقهاء وطلاب العلم والتفسير والحديث والفقہ على مذهبي الإمام الأعظم محمد بن إدريس الشافعي المطلبي والإمام الأقدم أبي حنيفة نعمان بن ثابت الكوفي رضي الله عنهما.

ووقف على مصالحها كما شرح في الوقفية الموقعة بتوقيع قضاة الإسلام المرشحة بشهادة الأمراء والوزراء العظام بالريحانيين أربعة وأربعين دكاناً وأثنى عشرة عصارة هي السوق الجديد المجاور للمدرسة والصاغة وتسعة عشر دكاناً أخرى وثلاثة خانات ونصف خان أحدها إنشاء الواقف ومواضع بالبدرية وبالأمشاطين ثلاثة دكاكين وبالمشرعة أربعة عشر دكاناً وخاناً جديداً من إنشاء الواقف تقبل الله منه صالح الأعمال وبالحلة ثلاثة عشر دكاناً وعصارة وخاناً فيه اثنتان وخمسون حجرة وفي الجانب العربي من محلة القصر داراً ومداراً وخاناً يعرف بالجوارى وفي الخليلات خان الزاوية ومداراً هي الآن من حقوق الخان المذكور وبالحريم دكان الكاغد. ونهر عيسى ناحية عرقوف ونصف القائمة وتل دحيم وبساتين بالمخرية وبساتين بقرية البرك والجوبة ومراح الجاموس بالصراط مزرعة وبالقاطول ناحية رادمان ويجلولي من خاناباد الصف ومن بساتين ببعقوبا ويوهرز النصف وبخانقين دورى ونصف دورى وارجية الماء وفي غمابا ودولتباد وبساتين في البنديجين وبساتيناً جديدة بهرز إنشاء الواقف ونهر خرباباد وسائر أراضيها ومزارعها المدعوة هراثة وذلك بين جبل حمرين وخانقين.

وفقاً صحيحاً شرعياً مزيداً مخلداً محرماً بجميع ما حرم الله مكة والبيت

الحرام والركن والمقام لازل ذلك كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين لا يندرس بمرور الأعصار ولا ينطمس بمرور الأدوار لا يؤجر من متغلب ومتعزّر وجندى ومن يخاف غائبه بل يؤجر من رجل مسلم معامل بتمكين الرأى على هذا الوقف من مرافقته بين يدي الحكام وقضاة الإسلام ما يتوجه عليه من ضمان الوقف ومن فعل ذلك فذلك الإجارة باطلة وتصرفه حرام ورصيتى نسخت إلى حكام كل زمان وعصر وأوان وإلى قاضى القضاة ببغداد أن يساعد الرأى على هذا الوقف واستخلاص الحقوق الواجبة لوقف هذه المدرسة وأن ينظروا إليهم بنظر الرحمة والرافة فإن الحاكم العادل فى رعيته كالوالد الشفيق على ولده الأوان، كل من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من يعمل بها إلى يوم القيامة، وإن لا يتعرضوا بمثل هذا الوقف ومستوفيه ومشرقيه من استرقاع حساب أو نصب أو ترتيب ولا يداخلوهم فى ذلك بشبهة من الشبه ولا يعقد مهله المدرسة ديواناً لفصل القضايا الشرعية أو ينارعوا فيه فإن هذا الموطن موطن العلماء ومزول الصالحين طوبى ثم طوبى لمن استجلب ترحماً لنفسه وويل ثم ويل لمن صاحبه اللعبة فى رمة فبمثل ما تعاملون فى حياتكم تعاملون فى مخلقتكم بعد عماتكم فإن المكافأة من الطبيعة واجبة كما تدبّر تدان وكما تزرع تحصد فإن الدنيا غيرة وأن طالت مدنها فما طالت وأن نال صاحبها فما نال

ومن غير شروط هذه الأوقاف أو تصرف فيها خلاف ما شرطت فى الوقفية فهو ظالم عدل الله إلا لعنة الله على الظالمين وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ومآواه جهنم وبئس المصير والحق بالآخرين أعمالاً الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وما ذلك على الله بعزيز.

وشروط الواقف تقبل الله منه الحسنات ولا وأخذها بما كسبت يده من السيئات أن لا يسلم من الأراضي الموقوفة من النواحي والبساتين والبسوط بالقرار الشمسى شيئاً أصلاً ولا من المسقفات من الدكاكين والخانات والطواحين بالعرضة أبداً ومن فعل ذلك فحكمه باطل وشروطه مفسوخ وتصرف من تصرف فيها بهذه

الشبهة حرام سحت وفاعلة ماثوم ملوم الخالق والخلق فمن بدله بعدما سمعه فإنما
أئمة على الذين يدلون أن الله سميع عليم وكتب في شهر سنة ثمان وخمسين
وسبعمائة والحمد لله وحده والصلوة والسلام على نبي الرحمة وشفيع الأمة
وكاشف الغمة النبي الأمي العربي الهاشمي المكي المدني سيد المرسلين ورسول
رب العالمين وخاتم النبيين وعلى آله وصحبه الطاهرين الكرام المنتخبين البررة
وسلم تسليماً كثيراً.

ما كتب في الحجر على ظاهر جدار المصلى في هذه المدرسة

بسم الله الرحمن الرحيم. في بيوت اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح
له بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله إنشاء المفتقر لمغفرة
الملك المتان مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن السلطاني الأوجلاتي تقبل الله
منه في الدارين طاعته وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين
الطاهرين وسلم.

ما كتب في الحجر أيضاً قرب البئر في الجهة الجنوبية من المدرسة

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله حق حمده والصلوة والسلام على نبي
الهدى محمد وآله وصحبه من بعده - يقول الواقف مرجان بن عبد الله بن عبد
الرحمن السلطاني الأوجلاتي من غير شروط أوقافى أو تصرف فيها خلاف ما
شرطت لعن في الدنيا والآخرة والحق بالآخرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في
الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم
ولقاءه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً وشرط أن لا يؤجر ما هو
وقف من متعز وبنى ومن يخاف هائلته وأن لا يؤجر أكثر من سنة واحدة ولا
يعقد عقد أجارة قبل انقضاء العقد الأول ولا يوفر من الموقوفات شيء بوجه
المرسومات بعض المرتزقة بها عما ذكر فهو ظالم عند الله وصلى الله على سيدنا
محمد النبي الأمي وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه وسلم وذلك في شهر
سنة ثمان وسبعين وخمسمائة كتبه أضعف عباد الله تعالى أحمد شاه النقاش
التبريزي أحسن الله إليه في الدنيا والآخرة.

ما كتب على باب المدرسة من خارج (أعنى على باب الجامع على ما هو اليوم مشهور

بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾. هذه مدرسة رصينة البناء مشيدة الأرجاء أنشأها المقتدر إلى حقو الملك الختان. مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن ابتداء بها في أيام دولة المخدم المكرم والنويان الأعظم السلطان حسين خان أنار الله برهانه وكملت في أيام إياالة ولده النويان الأعظم سر الهمدلة في العالم سلطان السلاطين. غاية الدنيا والدين ومغيث الإسلام والمسلمين الشيخ أويس لازال هذا الملك الأعظم ملجاء وملاذاً للامم - على أن يدرس فيها مذهب الامامين الهمامين والمجتهدين الأعظمين الإمام أبي حنيفة النعمان والإمام محمد بن إدريس الشافعي عليهما الرحمة والرضوان وذلك في سنة ثمان وخمسين وسبعمائة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين بقلم المقتدر إليه تعالى أحمد شاه النقاش التبريزي عفا الله عنه تقصير

ومن الكتابات الحجرية ما كتب على باب الخان المعروف

بختان الأورقمة (أي المقطى بالسقف الحجري)

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد النبي وآله وصحبه أجمعين. هذه الخان من إنشاء ذي العمل المبرور والسعي المشكور مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن السلطاني الأوجلاتي وقفها على المدرسة المرجانية ودار الشفاء بباب الغربية والنصف للقائمة وتل دحيم ومزرعة بالصراة وبساتين بالمخرية وبساتين بقرية البرل والرادماز وخدم اباد ورباط جلولى المعروف بقزل رباط ورزين حوى ونصف دورى وبساتين ببعقوبا وبوهرز وبابنتديجين وخان ودكاكين بالحلبة وأربع خانات ودكاكين بالجوهريين وخان في الجانب الغربي ودكان بالحريم كما هو محدود ومشروح في الوقفية وقفاً صحيحاً شرعياً تقبل الله منه الطاعات في الدارين وكان الفراغ منه سنة ستين وسبعمائة

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي العربي الصادق
وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه وسلم كتب الفقير إلى رحمة الله أحمد شاه
النقاش المعروف باليزدي غفر الله ذنوبه.

ما صارت إليه هذه الأوقاف

أعلم أن كثيراً مما ذكر في الرقعة من الأوقاف قد اندرس ولم يبق له ذكر ومنه
ما امتدت إليه يد الغضب. فدار الشفاء اتخذها أحد اليهود خانه للبن وهي
الشهيرة اليوم بقهوة المصبغة وباب الغربية هي شريعة المصنعة وكثير من الحوائت
المكتوب عليها وقف مدرسة مرجان ودار الشفاء تملكها الناس ومنها ما هو وقف
على كيسة والحاصل أن ما بقي من الأوقاف أقل قليل بالنسبة لما اندرس.

ما جرى على هذه المدرسة من مستحدثات العمارة

لم تزل العمارة الأولى قائمة على ما فيها من أساسها وتمكين قواعدها حتى
كانها جبل منحوت إلا ما كان من الإصلاح في أيام حكومة سليمان باشا الكبير
إلى بغداد وذلك أنه حكم فيها من سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف من الهجرة
إلى سنة سبع عشرة بعد المائتين وآلاف (من سنة ١٧٧٩ م - ١٨٠٢ م) وقد أمر
رحمة الله تعالى أن يوسع المصلى بهدم بعض الحجر المنيبة وإدخالها فيه فلما
كملت العمارة حسبما أمر أرخ ذلك بعض أبناء عصره هذه الأبيات.

| | |
|-------------------------------|------------------------------|
| تبارك من أنشا الأيام واوجدا | وفيض منهم من يقام به الهدى |
| ففي كل قرن يبدو منه مجد | حديث أتى من سيد الرسل مسندا |
| فكان بهذا القرن حقاً مجدداً | وزير محار جرس الضلالة والردى |
| فأحى ربوع العلم بعد دروسها | وكم جامع أحى وجدد مسجداً |
| ومذبان في هذا المكان تخلخل | تباركه فوراً فاضحى مشيداً |
| هنيئاً له حاز الثواب لأنه | نوى عملاً لله صرفاً مجرداً |
| وفيه روى الرواي الحديث مؤرخاً | سليمان أضحى عادلاً بل مجدداً |

ولما توفي مرجان في أواخر سنة ٧٧٥هـ (بدء سنة ١٣٧٤) دفن في المشهد الذي أعده لنفسه في هذه المدرسة وعليه قبة مرتفعة وقبره إلى اليوم يزار ولم يندرس لأنه كان مشهوراً بالتقوى والدين والصدقات والقربات. ولما توفي الخواججا مرجان قام مقامه الخواجه سرور.

وفي سنة ٧٧٦هـ (١٣٧٤م - ١٣٧٥م) غرقت بغداد غرقاً لم يسبقه مثله سابق ولا سيما لأن الأسس وكثيراً من الأبنية كانت قد تضععت وتخلخلت قبل سبع سنوات فلما طفت دجلة هذه المرة وزعزعت المباني فالقتها على الأرض وقتلت خلقاً كثيراً قدره أربعون ألف نسمة وحيث كانت الأبنية مكيئة انفتحت عيون الآبار والبوايع وأغرقت أهل البيت ومن لم يتوهم الله بالفرق توفاً بالأمراض المتولدة من الرطوبة والعفونة وسره الهواء فكانت الطامة عامة. فلما رأى ذلك الخواججا سرور حاكم المدينة أخذ الفم منه كل ما خلد حتى وقع مريضاً ومات مسلماً أرملة الحكم إلى الأمير أوجيه الدين ابن الأمير زكريا الوزير.

وفي ٢ جمادى الآخرة من تلك السنة (أى سنة ٧٧٦هـ - ٨ تشرين الثاني ١٣٧٤م) توفي السلطان أويس وكان رجلاً عادلاً محباً للعلم والعلماء حتى ملحه أغلب شعراء عصره وكتابه مثل سلمان السارجي وشرف الدين الرامى صاحب أنيس الأشواق والخواججا محمد عصار صاحب الرواية الخيالية الشعرية «مهر ومشتري» وعبيد زاكاني صاحب البطائف وغيرهم من الشعراء بل السلطان أويس نفسه نظم الشعر وقد أورد لنا من شعره رضا على خان صاحب كتاب «مجمع القصصاء» ودامت سلطته ١٩ سنة وخلفه على العرش ابنه حسين إلا أن الخلع لم يشبه السلف فإن هذا الأمير كان مولعاً باللعب وأنواع الملاهي ولم يهتم أبداً بالملكة وشؤونها فرجعت القهقري في عهده.

وفي سنة ٧٧٧هـ (١٣٧٥م) ظهرت دولة قره قويونلى فى الموصل وسوف نراها عن قريب فى بغداد بعد سنة.

وفي سنة ٧٧٨هـ (١٣٧٦م) قام باعبياء الملك الشاه منصور بن هم بهرام

صاحب الموصل ونسب العامة هذا الانقلاب إلى الكسوف والخسوف اللذين وقعا في تلك السنة إذ خسف القمر في شعبان خسوفاً كلياً وفي اليوم ٢٨ منه أيضاً انكسفت الشمس كسوفاً تاماً غربياً وظهرت النجوم صلب النهار وخر كوكب من الغرب وظهر له ضوء مثل البدر وسمع صوت هائل وهو المعروف عند العلماء بالرجم فهلع لهذه الأحداث الجوية قلوب أهل بغداد وكادوا يموتون خوفاً ولا تحدث عن الهرج والمرج اللذين وقعا على أثر هذه الوقائع. ولم تؤثر هذه الحوادث على الناس فقط بل شملت الحيوانات أنفسها حتى خيل للناس أن قد حانت ساعة القيامة فعلاً الحبيب وكثر العويل واستغاث أصحاب كل دين بأنبيائه ورسله وأئمتهم وقديسيه وكان ذلك اليوم من أهول الأيام شدة على الناس على اختلاف طبقاتهم ونحلهم.

على أن هذه السلطة لم تكن، لا اسميه لا حقيقية واشبهت تلك الحوادث الجوية التي ما كادت تظهر للعيان إلا وضعت ^{بهم} الألبصار لأن الشاه منصور لم يملك على بغداد إلا في تعيب الأمير حسين بينما أن جماعة من قواده انتهزوا فرصة سيره إلى تريبز لينفطروا عنه ويستبدوا بالحكم. على أن الأمير حسين يقطع حين الأمل من العود إلى العرش إذ اعتمد على عادل آغا الذي فتح العراق العجمي ليتوصل إلى قتل القواد الخوارج ولتخلص منهم ففعل واستراح منهم. وفي تلك الأثناء اغتصب بعض الأكابر من أهل القوة والنفوذ واجتمعوا يداً واحدة في دسيسة دسها الشيخ علي ابن السلطان أريس وقتلوا الأمير إسماعيل حاكم بغداد بينما كان ذاهباً إلى الجامع ليصلي (سنة ٧٨٠هـ - ١٣٧٨م - ١٣٧٩) ثم نادوا بهذا الشيخ ملكاً على المدينة وعلى الولاية كلها.

أما السلطان حسين فترث هنيهة ثم أقر للشيخ بالسلطة على بغداد وولاياتها. لكن لما رأى امتداد جناح سطوته ونفوذه يوماً فبرماً حاول أن يقصه أو يقلعه فرفع لواء العصيان والخروج على الشيخ، ثم رحف على العاصمة يساعده في هذا الأمر ويكاتفه فيه عادل آغا (في خريف سنة ٧٨٢هـ - أو آخر سنة ١٣٨٠م) فلما رأى الشيخ على نفسه على قاب قوسين من الخطر أو يكاد لم يتمكن من الوقوف

بروجه مناوئيه ففر مولياً إلى دزفول وششتر. إلا أن البغداديين رأوا في الأمير حسين من أعمال الظلم والاستبداد والضرب على الأيدي والجنون المتلون مادفعهم إلى طلب الشيخ على فاحتلوا على ذلك الطاغية ومازالوا يقتلون منه في اللروة والغارب حتى جندلوه عن العرش في الشتاء التالي لذلك الخريف وأقاموا عرضاً عنه الشيخ علي وأرادوا قتل ذلك الأمير العسوف العضوض فافلت ولا أفلات جرادة العيار وولى هارباً إلى تبريز متخذاً الليل جمللاً. وعامضى شيئاً من الزمن إلا وخرج عليه أخوه أحمد وفاحاه في قصبة أذربيجان وقتله في السنة الثامنة من ملكه (أى سنة ٧٨٤هـ - ١٣٨٢م - ١٣٨٣م).

وفي تلك السنوات وقع في ديار الجزيرة والعراق من الأحداث والبلايا ما زاد في العين بلاءً وذلك أن تيمور لك أحد يسمى سعى الأفعوان في الشر منذ سنة ٧٦٠هـ (- ١٣٥٩م) ومازال يفتح للبلاد ويقتل العباد حتى دخل بلاد خراسان وقتل فيها مئتمائة ألف من رجال الإسلام معك ما قتل من الأطفال والشيوخ المعجزة وما سبى من النساء والبنات وفي سنة ٧٨٠هـ جاء إلى جوار بغداد فذهب القرى وسلب أهلها بصورة هائلة شنيعة ثم عاهد ادراجة إلى سمرقند ومن هناك ذهب غارياً بلاد الكرج سنة ٧٨١هـ ثم عطف عنان جواده إلى نواحي الموصل فحمل على أهلها حملة شرعاء شعاء فاطاعوه ومالبت أن غدر بهم غدراً جديراً باخس اللئام فقتل جملاً غفيراً منهم وهدم قلعة الموصل حتى ساواها بالأرض ثم لدغة رنبور فقال: ما فعل بى هذا لا حاميتها ووليها قنبي الله يونس فعدل عن الأمان في القتل والفنك والتخريب.

وكانت نتيجة هذه الفتن والقلاقل في ديار العراق والجزيرة أن حدث غلاء فيها أضر أعظم الضرر بالموصل وشهرزور وبغداد وذلك سنة ٧٨٣هـ (- ١٣٨١م) ومات خلق كثير.

وفي سنة ٧٨٤هـ (١٣٨٢م - ١٣٨٣م) نهض أخ آخر للسلطان أحمد واسمه الأمير بايزيد فسانده عادل آغا والشيخ على ليقيموا معاً قومة واحدة. على أحمد

وبعد أن ناجزوه القتال أشد المناجزة انكسر أحمد فذهب للحال إلى قره محمد التركماني والد قره يوسف واستجده على أعدائه فالحده واجلث الموقعة عن قتل الشيخ على وادبار جيش عادل آغا المخلول وبعد ذلك عقدت هدنة طلب في اثنتائها البغداديون إلى عادل آغا أن يبعث إليهم حاكماً من قبله فعين لهم طرسون ابن أخيه من أمه أي ابن شقيقه وأقام له وزيراً وعضداً «قوام الدين النعجي».

وأول شيء هم به طرسون كان ذبح عبد الملك الطنجي وكل من وضع يده وخضبها بدم الأمير إسماعيل ولما تم الأمر وقع اضطراب في أعظم المدينة وكثرت الفتن وعظمت النواثر ونهبت الخزانة التي كان قد أجمع ما فيها لحساب عادل آغا فلما سمع بهذه البلايل السلطان أحمد وكان يومئذ في تبريز غادرها للحال وأسرع في رحفه على أهل الفساد ليخلص من يديهم عين بلاده ومملكته أي بغداد ولما قرب منها وسمع طرسون يقوده حاول الفرار لكن السلطان أحمد أقص أثره فدهمه واحتز رأسه فحلاً الجو للسلطان أحمد الجلائري وصفت له سماء سيدة البلاد فقضى فيها الشتاء ثم برحها في الربيع متوجهاً إلى تبريز وقد لقي فيها نزلة حكم الخواجا يحيى السمناني (سنة ٧٨٥هـ - ١٣٨٣م) وفي هذه السنة ذهبت ذهاب الهباء منشور سلطة الشاه منصور بن محمد القويلى وكانت سلطة اسمية وهمية كما سبقنا فإلحنا إليها وقد ابتدأت كما قلنا في السنة ٧٧٨هـ ودامت إلى هذه السنة أي ٧٨٥هـ ورسخت قدم أحمد الجلائري أتم الرسوخ وعرف بكونه صاحب دار الخلافة الحقيقي لا الوهمي.

على أن عادل آغا عدل عن الخضوع لمن أقر له بالطاعة ولم يستصوب بقاءه تحت تلك الضربة التي أضرت بسمعته فتشاور مع «الشاه شجاع خان» وكان صاحب شيراز وتأمر معه على الإيقاع بمناوئته ثم أخذ بالزحف عليه إلا أن «الشاه شجاع خان» أوفد رسلاً إلى السلطان أحمد وعهد إليهم أن يسعوا في إصلاح ذات البين بالتي هي أحسن فقر الرأي على الاتفاق والتحاب فاستقدم حيثئذ السلطان أحمد إلى بغداد أخاه يياريد وأقامه فيها بكل أبهة وجلال.

وفي سنة ٧٩٥هـ (١٣٩٢م - ١٣٩٣م) كان فتح بغداد للمرة الاولى على يد تيمور لنگ ولم يكن في طاقة السلطان أحمد أن يناجزه فولى هارباً مع الفی رامج إلا أن قواد للفتح اقتصوا أثره فظفروا به في سهل كربلاء والتحم القتال وتطايرت النبال وتذابحت الرجال وتوصل السلطان إلى الهرب من أولئك الأسود ونحى سلطان مصر برفوق إلى أن تستجم قواه.

ولما كانت سنة ٧٩٧هـ (١٣٩٤م) استنفر جيشاً عرمرماً ورجع إلى بغداد وكان عليها يومئذ من قبل تيمور لك الأمير مسعود السيزوري فلم يستطع هذا أن يناوئه لا سيما لأن صاحبه كان بعيداً عنه إذ كان قد غادر بلاد الكرج وذهب إلى قفجق.

وكان السلطان أحمد قد عرف أن جماعه من وجهاء المدينة قد اتفقوا على أن لا يدعوا لسلطنة ويفرغوا كنفه وسعهم ليولوه الأدبار فاحتالي في القبض عليهم وقتلهم الواحد تلو الآخر وكان أهل بغداد يكرهون السلطان أحمد كل الكراهية من كبيرهم إلى صغيرهم ومن غيهم إلى فقيرهم لأنه كان ظالماً عسوماً جابراً فتاكاً سفاحاً وكان يود أعليهم تسلط الفتر عليهم وكان أحمد يرى ذلك ولهذا اوجس في نفسه خيفة منهم عذب إلى ديار بكر عند الأمير التركمانی قره يوسف وعقد معه عري عهد مكن لا يقصم ويفضل هذا العهد ثبتت قدمه في حاضرتة كل الثبوت.

ولما وقف تيمور على طلع هذه الأمور احتد غضباً إلا أنه لما كان مهتماً بفتح بلاد الهند وبما وقع له من المشاكل المعضلة مع بياريدي سلطان آل عثمان التزم أن يؤخر ثاره ليكون أشد هولاً وأعظم وقعاً في النموس.

على أنه يحسن بنا هنا قبل الأمد في الموضوع وقائع الأمور أن نذكر منشأ تيمور وكيفية امتداد سطوته بوجه الاختصار ليكون الواقف على ما يتلو من الأخبار عارفاً حق المعرفة من هو هذا الرجل؟ وما هي مكانته من التاريخ؟.

ذكر منشأ تيمور وحداثته وامتداد سطوته وفتوحه للبلاد

قال صاحب أخبار الدول ما هذا يريد نعه «تيمور هو أحد الدجالين المرعوبين في الأخبار النبوية أن يخرج على جميع البلاد الإسلامية، وذكر صاحب المنتخب له نسباً يتصل به إلى جنكيز خان من جهة النساء وكان رجلاً ذا قامة شاهقة كأنه من بقايا العمالة عظيم الجبهة والرأس شديد القوة والبأس أبيض اللون مشرباً بحمرة عظيم الأطراف عريض الكتاف مستكمل النية مسترسل اللحية أعرج ليمناوين وعيناه كشمتين جهر الصوت لايهاب الموت وكان من ابنته وعظمت أن ملوك الأطراف وسلاطين الاكتاف مع استقلالهم بالخطبة والسكة كانوا إذا قاموا عليه وتوجهوا بالهدايا والتقاديم إليه يجلسون على أعتاب العبودية والخدمة نحوه من مد البصر من مرادقاته وإذا اراد منهم واحداً أرسل من الخدمة نحوه قاصداً فينادي ذلك الواحد باسمه فينهض في الحال ويعذو نحوه وكان بدأ أمره ونخروجه في حدود الستين وسعمائة وهو من قرية تسمى خواجه بلغار من أعمال الكش وهي مدينة من مدائن ما وراء النهر عن سمرقند نحو من ثلاثة عشر شهراً ذكر أنه لما ولد سقط على الأرض ذلك السقيط كان كفاه عاوتين من الدم العبيط، فقال بعضهم يكون شرطياً وقال بعض ينشأ لصاً حرامياً وقال قوم يكون قصاباً سفاكاً، وقال آخرون بل يصير جلاداً ابتاكاً، وكان أبوه رجلاً فقيراً اسكافاً وهو نشأ شاباً جلدأ لكه من القلة كان يتحرم فقى بعض الليالي

سرق غنمةً واحتملها فشعر به الراعى فصره بهمين أصاب بأحدهما فخذها فاحطلها وبالأخرى كتفه فبطلها فارداد كسراً على فقره ولزماً على شره ولم يملك سوى ثوب قطن فباعه واشترى بشمه رأس ماعز وقصد الشيخ شمس الدين الفاخورى فى مدينة كشن وقد ربط بطرف حبل عنق الماعز وريقط عنه بالطرف الآخر وحمل يتشحط على عصا من جريد حتى دخل كما يدخل على الشيخ المريد فدأفه هو والفقراء مشغولين بالذكر ومستغرقين فيما هم فيه من الوجد والفكر فلا زال قائماً فى صف العبد حتى أفقر من حالهم وسكتوا عن قالهم فلما وقع نظر الشيخ عليه سارع إلى تقبيل يديه وانكب على رجله فتصكر الشيخ ساعة ثم دفع رأسه إلى الجماعة وذلك كان هذا الرجل بدل عرسه وعروضه واستمدى فى طلب مالا يسارى عند الله جناح بعوضه فنرى أن نمده ولا نحرمه ولا نرده فاردوه بالدعاء اسماعاً لما طلبه فاشتهت قصته قصة ثعلبة ورجع من عند الشيخ وخرج وعرج بعدما عرج إلى ما عرج ولما فد خراسان اجتمع مع الشيخ زين الدين أبى بكر الخوافى وانكبه على رجله فوضع الشيخ على ظهره يديه فقال تيمور لو أن الشيخ رقع يديه من ظهرى بفرعة لخلعت ارتضى وقد تصورت أن السماء قد وقعت على الأرض وأن يسهما رخصت أشد رخص ثم أنه جلس بين يديه، وقال يا مولانا الشيخ لم تأمرن ملوككم بالعدل والأنصاف وإن لا يميلوا إلى الجور والاعتساف فقال له الشيخ: أمرناهم بذلك فلم يأتمروا فسلطناك عليهم فخرج من قوره من عند الشيخ وقد قامت منه الحدة وهو قاتل ملك الدنيا ورب الكعبة فانه كان يقول جميع منلته بدعوة الشيخ شمس الدين الفاخورى وهمة الشيخ زين الدين الخوافى ولسيد محمد بركة وكان من أمره أنه هو ورفقاؤه كانوا يتحرمون فى بلاد ماوراء النهر حتى شعر بهم السلطان حسين حاكم هراة فظفر به فبعد ضربه أمر بصلبه وكان للسلطان ولد رأيه غير متين يدعى الملك نياث الدين فشفع فيه واستوهبه من أبيه فقال له أبوه هذا جفتاى حرامى مادة الفساد لئن أبقى ليهلكن البلاد والعباد فقال له ابنه وما عسى أن يصدر من نصف أمى وقد أصيب بالدواهى ورمى فوهبه آياه فوكل به ن داواه إلى أن اندمل

جرحه وهرى قرحه فكان في خدمته فقر به وزوجه شقيقته ثم أنه غاضبها في
 الأيام فقتلها ثم لم يسعه إلا الخروج والعصيان والتمرد والطفيان إلى أن كان من
 أمره بعض ما كان حتى استعفى عمالك ماوراء النهر وذلت لأوامره جوامع الدهر
 شرع في استخلاص البلاد واسترقاق العباد فكان يحرق في جسد العالم مجرى
 الشيطان من بنى آدم ويدب في البلاد ديب السم في الأجساد ومن رآه أنه
 صاهر المنفل وصافاهم وهادهم وهادهم وتزوج بنت منكمهم قمر الدين خان فأمّن
 شهرهم وكفى ضرهم ثم أرسل إلى مخصومه سلطان هراة الملك غياث الدين
 الذي كان مغيبه عملاً بقوله كتب الله على كل نفس نخية أن لا يخرج من الدنيا
 حتى تسيء إلى من أحسن إليها، وطلب منه الدخول في طاعته فأرسل غياث
 الدين يقول صحبة الرسول أما كنت خادماً لي وأحسنيت إليك واسبلت ذيل
 نعمتي عليك وذلك بعد أن لحيتك من الصرب والصلب فإن لم تكن إنساناً يعرف
 الإحسان فكن كالكلب فعبّر جيحون وتوجه إليهم فلم يكن لغياث الدين قوة إلى
 الوقوف بين يديه فحصر نفسه في القلعة فحسب أن يكون له بذلك منه فأمته
 وقبض عليه واحتاط على ملك يديه وكان خليفته أن لا يريق له دماً ولكن قتله
 في الحيس جوعاً وظماً ثم عاد إلى خراسان ونوى الانتقام من أهل سجستان
 فوضع السيف فيهم وأفتاهم عن بكرة أبيهم ثم حرب المدينة فلم يبق بها شجر
 ولا مدر ولا عين ولا أثر ورحل عنها وليس بها داع ولا مجيب وما فعل ذلك بهم
 إلا لأنه أصيب منهم أولاً. ذكر الشيخ عبد اللطيف الكرمانى أن الذين تخلصوا
 من القتل من أهل سجستان هزيمة لم تراجعوا إليها بعد رجوع تيمور عنها أرادوا
 أن يجمعوا بها فاضلوا يوم الجمعة وما اهتدوا إليه حتى أرسلوا إلى كرمان من
 دلهم عليه ولما خلاص له جميع عمالك العجم ودمت له ملوكهم والامم بلغه أن
 فيروز شاه سلطان الهند انتقل إلى رحمة الله ولم يكن له ولد خليفة فعسى أن
 يتولى تلك الوظيفة فرسل إليها وقتل أقبالها وتسلم أقبالها وقد وفد عليه المبشر
 بأن أحمد حاكم سيواس والملك الظاهر برفوق حاكم مصر والشام انتقلا إلى دار
 السلام فسر بذلك صدره والشرح وكاد أن يطير نحوهما من الفرح فأقام في الهند

نائباً وتوجه نحو مدينة سيواس وكـ بعد وفاة واليها استولى عليها الأمير سليمان
 بن السلطان بايزيد بيلديرم خان ابن مراد خان بن عثمان خان فوصل إليها تيمور
 بتلك السيول الهامة فقال أنا فاتح هذه المدينة والقلعة في ثمانية عشر يوماً وكانوا
 قد حصنوا المدينة والقلعة فأقام في محاصرتها وفتحها في اليوم الثامن عشر وذلك
 بعد أن حلف لأهل البلدان لا يريق دمهم وأنه يرضى ذمتهم ويحفظ حرمتهم
 وحریمهم فلما دخل المدينة ربطهم في الرقاب سرباً وحفر لهم في الأرض سرباً
 والقاهم أحياء في تلك الأخاديد وعند من ألقى في تلك الحفر كان ثلاثة آلاف
 نفر ثم أطلق النهب للنهاب وانباع الأسر والخراب وانمحت مراسم نقوشها فهي
 خاوية على عروشها ولما استوفى سيواس حصداً ورعيّاً فوق سهام الانتقام إلى
 نحو الممالك الشامية كالجزاد المتشر فوصل إليها وختل وقتل وفعل فعلته التي
 فعل وقد ذكر تفصيله في ذكر فرح بن برقوق ولم يتعد منهم أحد حسر يعقوبا
 فرجع إلى طريقته العوجاء حتى وصل إلى الموصل وهو يحو آثار الإسلام ثم
 توجه إلى مدينة بغداد فلما سمع السلطان أحمد ذلك استتاب مكانه نائباً ولحق
 هو إلى السلطان الروم بايزيد خان فأخذها عنوة يوم عيد الأضحى فتقرب على
 رصمه بأن جعل المسلمين قوابين ثم أمر عسكره بأن يأتيه كل واحد من أهل بغداد
 برأسين ثم أتوا بهم وطرحوا أيديهم في تلك الميادين وجمع رؤسهم فبنا بها مآذن
 وعجز بعض الجند عن رؤس الرجال فقطع رؤس النساء والأطفال ثم أن تيمور
 خرب المدينة بعد أن أخذ ما به من لأموال والخزينة وأبقاها يعيش البوم والغراب
 في أماكنهم فاصبحوا لا ترى إلا مساكنهم ثم الوى بتلك الأتراك ناحية قراباغ
 ونوى السير نحو ممالك الروم فراسل سلطانها بايزيد المجاهد الغازي وجعل
 السلطان أحمد حاكم بغداد وقره بومف حاكم أدربيجان سبياً وذكر أنهما من
 سطوات سيفه هرباً فتوجه نحوه فكن لا يدخل قرية إلا أضدها ولا ينزل على
 مدينة إلا يحاها وبددها فلما بلغ السلطان بايزيد بمجيء ذلك العنيد توجه إلى
 ملاقاته فاجتمع العسكران على نحو ميل من مدينة أنقرة واشتغل الحرب بين
 الفريقين من الضحى إلى العصر فألّت إلى أسر ابن عثمان وكان من أمره ما كان

وقتل غالب عسكره من العطش لأنه كان ثامن عشر تموز وكان نهار الأربعاء
 سابع عشر ذي الحجة سنة أربع وثمانمائة ولما حصل لرأس مملكة الروم هذه
 الوعكة واندعكت أجسام عساكره أقوى دعة ووقع السلطان في مخالبه وعلم أنه
 غير ناج من معاطبه، قال لتيমور لئنك إليك ثلاث نصائح هن لخير الدنيا والآخرة
 لو اتبع أولاهن أن لا تقتل رجال الروم فإنهم رده الإسلام وأنت أولى بنصرة
 الدين لأنك تزعم أنك من المسلمين، ثانيهن أن لا تترك النار بهذه الديار ولا تذر
 على أرض الروم منهم دياراً فإنك أن تدرهم يملأها من قبائلهم ناراً وهم على
 المسلمين أضر من النصارى ثالثهن أن لا تمد يدك في التخریب في قلاع
 المسلمين وحصونهم ولا تجلبهم عن مواطن حركتهم وسكونهم فإنها معاقل الدين
 وملجأ الغزاة المجاهدين وهذه أمانة حملتها وولاية قلديتها فقبلها منه بأحسن
 قبول وحمل هذه الأمانة ذلك الجهول ولما صفا لتيمور شرب عمالك الروم من
 الكدر وقضى جيشه من الغارة الوطر اندرخ إلى رحمة ربه السلطان مايزيد وكان
 معه مكبلاً في قفص من حديد وبعد ما سبكوا الأشباح وسلبوا الأرواح ولم
 يحصل من شرهم من دعايا الروم إلا الثلث أو الربع بعد أن جعل أهلها بين
 المحترقة والمختقة والموقودة والطبيعة وما أكل السبع قور كل أمير من أمراء الروم
 على ولايته وزاد في رعايته وأمرهم بأن يخطبوا له وأن يضربوا السكة باسمه
 فامثلوا أوامره واجتنبوا رواجره ثم أن تيمور رجع إلى بلاده وقد بلغ من دنياه
 المرام وانتهى أمله إلى الكمال والتمام ووصل إلى مدينة تراز وضعف وانقطع
 ثلاث ليال وعلم أجمال الانتقال إلى دار الخزي واشكال وأبى الله أن يخرج تلك
 الروح النجسة إلا على صفات ما اخترعه من الطعم واسسه فجعل يتناول من
 عرق الخمر حتى فتنت كبده ولم ينفعه ماله وولده وصار يتقيأ دماً ويأكل يديه
 حسرة وندماً فانتقل إلى لعنة الله وعقابه واستقر في اليم رجزه وعذابه وذلك في
 ليلة الأربعاء سابع عشر شعبان سنة سبع وثمانمائة بنواحي مدينة تراز وحملوا
 عظامه إلى سمرقند وعمره قد جاوز الثمانين، ومدة ملكه واستيلائه مستقلاً ست
 وثلاثون سنة وذلك خارج عن مدة حروجه، تحزته رفع الله تعالى برحمته عن
 البلاد والعباد العذاب المهين وقطع دابرهم القوم الذين ظلموا والحمد لله رب
 العالمين. أهـ كلام القرمانى بحرفه.



في منكرات تيمور في بغداد خاصة

في منكرات تيمور في بغداد خاصة

في سنة ٨٠٣ هـ (١٤٠٠ م) عاد تيمور من رحلته على ديار الشام وتوجه نحو بغداد وكان السلطان أحمد قد أتى في المدينة الأمير فرجاً وعهد إليه دفع المهاجمين وذهب هو إلى قره يوسف في الموصل واتفق الاثنان على أن يكونا تحت جناح سلطان آل عثمان لأنه هو وحده كان قادراً على أن يناوئ ذلك الماتح الظافر ومن كان في أثره من **البشر لشبيه** بالهامر

فشرع فرج بالمهمة التي أودعت إلى عهده وأخذ يدافع عن البلد دفاع البطل الصنديد إلا أن تيمور الذي كان قد بعث بادي بدء بعضاً من أمراء جيشه استصوب الذهاب هو بنفسه إلى المعسكر وكان أصحابه قد حاصروا المدينة من الجهة الجنوبية والقوا جسراً من القوارب على دجلة فذهب جند التتار وعسكر على طريق أكتون كبرى باراء قرية المعقاب. ولما التحم القتال دام أربعين يوماً حوالى العاصمة وأظهر البغداديون من الشجاعة والبراعة والمهارة في المقاتلة والدفاع ما يعز وروء مثله في التاريخ فعلم التتار أن البغداديين بل وجميع العراقيين ليسوا كسائر خلق الله أنهم إذا أرادوا شيئاً يبدلون في سبيله كل علق نفيس بل النفس ذاتها.

إلا أن هذا الحصار الطويل سبب الفحط والغلاء فالتزم أهل المدينة أن يأتوا ما تلجئ إليه الضرورة أي أنهم اندفعوا إلى القنوط واليأس ثم إلى الفرار وترك الأخوة المرتبطين برباط حب الوطن.

فلما نشأ في أهل المدينة روح التحادل والأثرة وقد تم ذلك نهار الأحد ٢٧ من ذى القعدة سنة ٨٠٣ هـ (الموافق لليوم ١٠ من شهر تموز سنة ١٤٠١ م) وكان حماة الأسوار قد غادروها لشدة حر الهاجرة تسبق جيش تيمور أسوار القلاع بسلام وأول من وصل إلى رؤوسها كان أمير زاده خليل سلطان والشيخ نور الدين ورستم طغنا ولما لم يستطع أن يفعل أكثر مما فعل ركب هو وأهله سفناً وانحدر بها إلى البصرة إلا أن الأعداء تأثروا وأغرقوه هو وأهله وسفنهم وقيل أخذ وقتل.

ولما دخل تيمور المدينة أمر بذبح أهلها ذبحاً عاماً فأخربت المساجد والجوامع وهدمت المدارس التي يرتقى عهدا إلى العباسيين والسلطين الأولين الذين جدوا بعد الخلفاء قال صاحب كتاب عمدة البيان في تصارييف الزمان: قتل فيها (أي تيمور في بغداد) تسعين ألف مسلم. وقال صاحب منتجع المرتاد في تاريخ بغداد «وكانت واقعة (بغداد هائلة) اندكت لها الأرض وعملوا فيها السيف فقتلوا فيها الأولاد والنساء والرجال وخربوا حصونها وهدموا بروجها واتلفوا كل مما فيها من الحسن فجرى ما جرى إذ ذاك وصالت الدماء كالماء في شوارعها الليحاء قبل وأقاموا فيها هرماء عليه تسعون ألف رأس من القتلى».

وبعد أن خمدت هذه الشدة وخبت حدث ثائرتها كتب تيمور إلى بياريد ليسلمه عدويه السلطان أحمد وقره يوسف فلم يجب طلبه فاشتعل غيظاً واندفع راحقاً على بلاد الروم (آسيا الصغرى) فانكسر ياريد في أنقرة كسرة لانهوص وراؤها.

ولما عاد تيمور ادراجه عهد إلى حفيده ميرزا أبي بكر بن ميران شاه ولاية بغداد وضم إليه البصرة والجزائر جزائر شط العرب (والمراد بالجزائر جماعة الجزر التي كانت تنشأ من تجمع سواحل الشط بين جزائر وهي اليوم القرنة) وبين الجماسية بقرب واسط وبعد أن مضى ربح من الزمن حاول قره يوسف أن يتناجز حيوش التار على نهر العلقمي بجوار الحمة إلا أنه لم يفر بطائل فان أبا بكر دحره عن تلك الديار فأصبح سيد العراق وحده لا يشاطره فيه مشاطره.

وبعد معركة أنقرة رجع السلطان أحمد الجلايرى وقره يوسف إلى البلاد
الراجعة إلى سلطان ديار مصر وكان يومئذ الملك الناصر فرج وأمر حاكم دمشق
الشام أن يقبض على الهاريين ويحبسهما فى قلعة المدينة ففعل وذلك فى شهر
جمادى الآخرة سنة ٨٠٦هـ (الموافق لشهر كانون الأول سنة ١٤٠٣م وكانون
الثانى سنة ١٤٠٤م) بقيا فيها إلى وفاة تيمور التى كانت فى السنة التالية.

(قلنا: رواية الأميرين الهاريين فى ديار الشام أثبت من رواية ذهابهما إلى ديار
مصر، والذي يرى هذا الراى الأخيرهم مؤرخوا الفرس فلا تلتفت إلى قولهم).

فلما علم السلطان أحمد بوفاة تيمور فر هارباً من الشام فى الليلة التى سبقت
نهار الأحد ١٨ من ذى الحجة سنة ٨٠٧هـ (١٤ حزيران ١٤٠٥م) وكان قد
أطلق من السجن مع رفيقه قره برسف فى وقت واحد فى شهر شوال من تلك
السنة (شهر نيسان ولما بلغ الحلة لاحتها فيها مدة ثم استنفر دعاماً واو باشاً وأخذ
يقطع الطرق. وما سمع أهل بغداد بقدوم هذا السلطان إلا وارتجوا لهذا الخبر
ارتجاجاً حتى أن حاكم المدينة وكان «دولة خواجا عناق» لم يستطع أن يردع
الناس عنه فاجبر على أن يتجلى على محل من معسكر ميرزا عمر وهو حفيد آخر
من أحفاد تيمور وما مضى أسبوع بعد ذلك إلا والسلطان أحمد قد دخل بغداد
وأخذها من جديد.

وأول ما قام به السلطان أحمد وبذله من الاهتمام كان إعادة بناء اسوار المدينة
حفظاً على سكانها وتأميناً للمدينة لأن أهلها كانوا قد قلوا لكثرة ما نابهم من
النواب وفي أواخر سنة ٨٠٨هـ (حزيران ١٤٠٦) رحف على تبريز ومعه الجيش
لهام كانه الركام وكله من أهل لعتن والفساد وضم إليه جنداً من الأويرات
(الأتوثة) وطوائف من التركمان وكان الأمير الشيخ إبراهيم الشروانى رئيساً
لهذا الجمع الفقير فسلم قيادته إليه بكل سرور وسهولة. فلما رأى التبريزيون
أميرهم السابق كادوا يطيطرون فرحاً. أما السلطان أحمد فأخذ بالملاهى وعقد
مجالس الانس والطرب حتى قدم فحاة ميرزا أبو بكر حفيد تيمور واتفق فى

الوقت عينه وفود الطاعون فلم يصعب على السلطان أحمد فتح المدينة إذ فر أغلب سكانها. ثم أخذ يناجز قره يوسف فلم يتوفق في معركته ولم تفده فتوحاته شيئاً بل مرت أمر الرياح السواني مع جميع الولايات المجاورة لها ووقعت كلها. بيد مؤسس دولة التركمان المعروفة «بدولة قره قوبولي» أو دولة الخروف الأسود.

تكلّمنا عن بناء أسوار بغداد فيحسن بنا أن نقول أن ميرخند يقول ما ملخصه : أن الأسوار التي خططها السلطان أحمد كانت أضيق نطاقاً من الأسوار القديمة. وقد بذل كل جهده ليحصن الأسوار ويحفر لها الخنادق في بحر سنة ٨١٠هـ (١٤٠٧هـ - ١٤٠٨هـ) على مارواه صاحب كتاب مطلع السعديين ويقال أنه في أثناء حفره للخندق وجد الكثر المقيم العظيم الذي كان قد أودعه الأرض قبل واقعة تيمور ولم يؤخذ منه شيء البتة وهذا ما أمكه من تحصين عاصمته في قليل من الزمن صداً للعدو ودفاعاً عن رعيته (عن حديمير وهمر والمقریزی وهوار وغيرهم).

في أواخر دولة الأيلخانيين وانقراضها

في شتوة سنة ٨١١هـ (أواخر سنة ١٤٠٨م) أحد طامحي البصر إلى سرير المملكة وجميع المتحزبين له وحارل أحد العاصمة بينما كان السلطان أحمد يجرد عبثاً في حصار السلطانية وكان أسم الرجل هذا أويس وكان يدعى أنه ابن أحمد ولعل لهذا المدعى بعض الحقيقة لأن أهل الحكومة سعوا في قطع لسانه بالالطاف والأصفر الرنان فسكت هذا فصلاً عن أن السلطان عاد حالاً إلى بغداد لما سمع بهذه الأخبار المقلقة وقتل كل من كان متحزباً للمدعى بالعرش فاسكت نامتهم.

وفي سنة ٨١٢هـ (١٤٠٩م) توفي الشاعر نصر الله البغدادي.

وفي سنة ٨١٣هـ وقع تنافر بين قره يوسف والسلطان أحمد. فاراد هذا أن ينتهز الفرصة ليوسع مملكته بتضييق نطاق أرض متاوتة فزحف على تبريز ليأخذها منه فدخلها بدون صعوبة إلا أنه اضطر إلى أن يحارب حرباً عواناً سكان ربض شنب غازان (في ٢٨ ربيع الثاني ٨١٣هـ - ٢٩ آب ١٤١٠م) فكسروه وجرح جرحاً عظيماً في هزيمته ثم أخذ ودفع إلى غاليه الذي استحصل منه عهداً يتنازل فيه عن مملكته لابنه شاه محمد.

أما قره يوسف فرضى في الآخر بحقوق السلطان محمد من بعد أن ألح عليه حاشيته في إجابة طلبهم. وعلى هذا الوجه قضى نحبه هذا السلطان المقحام وله من علو المقام بين أهل الغناء وعلم الأنعام. وأهل الشعر والنظم والرياضيات

والهندسة ما يزرى بنمط العيوق. إلا أن الذي كرهه في أحين الخاص والعام ظلمه وجوره وجه لسفك الدماء.

وبموته عنت آثار سطوة الإيلخانيين لا آثار سلالتهم كما ظنه أغلب المؤرخين لأنه بعد موت هذا السلطان كان قد بقي ثلاثة أولادهم أبناء لأبناء أخته وهم محمود ومحمد وأويس. وعاشوا في بغداد مقدار ستة ونصف تحت رعاية الأميرة «تندو أو قندى سلطانة» أخت السلطان أحمد. ثم أن شاء محمد ذهب ليحتل المدينة عملاً بالعهد الذي قبل به السلطان المقتول فغادر أردبيل وجاء وضرب خيام عسكره بأزاء باب «سوق السلطان».

وبما ساعد في نجاح تركمان دولة قره قويونلى أن أصحاب الأمير بخشاش وهو الذى قام بوظيفة رئيس شحنة وحاكم في أيام السلطان أحمد نهضوا نهضة واحدة على هيد الرحيم الملاح وكان يحكم باسم محمود كبير الأخوة الثلاثة ذبحوه ذبحاً لا رحمة فيه فأصبحت المدينة في قبض واصطراب وارتباك لا يوصف. فهرب الأخوة الثلاثة مع «تندو سلطانة» إلى ششتر فكان لهم هناك نوع من السلطنة لكونهم من أتباع شاه رخ

ولما صفا الجول شاه محمد تملك على بغداد ودانة له الرقاب وأحضر تحت أمره قلعة هيت المنيرة الشامخة وطائفة من بلاد كردستان ومن هذه البلاد كلها نشأت المملكة الجديدة مملكة تركمان قره قويونلى وأق قويونلى.

(لخصنا هذا الفصل حوار في كتابه تزيخ بغداد فى الأزمنة الحديثة وعن الملا ياسين فى كتابه صمدية البيان).



الباب الثالث

في دولة التركمان القوينلية

(٢٠)

دولة قره قويونلى

قره قويونلى واق قويونلى (ومعنيهما الحروف الاسود والحروف الأبيض) طائفتان من بادية الترك المعروفين بالتركمان. وكنت مساكنهم القديمة بلاد تركستان ثم تحولوا عنها فى زمن أرغون خان انت إلى بلاد آذربيجان ثم طعنت طائفة قره قويونلى إلى نواحى أرزنكان وسيواس واستفحل فيها أمرهم وأما طائفة آق قويونلى فطعنت إلى ديار بكر واسترلجة.

فلما بالطائفة الأولى التى جاءت ديار المعرق أى قره قويونلى وقبل أن نشرع بالبحث يحسن بنا أن نذكر هنا حادثين وقعا فى بحر تلك السنين وأولهما العلاء الذى وقع فى سنة ٨٣٤هـ وكان سببه تتابع الحروب فإنه عم ديار بكر وماردين والموصل وبغداد وشهر زور وهمدان وآذربيجان وبلاد الروم (أسية الصغرى) وأضر بالخلاتق ضرراً عظيماً.

وفى سنة ٨٣٥هـ (١٤٣١م) شمل الخراب من تبريز إلى بغداد وكان سببه الجراد الذى ظهر فى تلك الديار فإنه أكل الرروع حتى أوراق الأشجار ولم يبق شيئاً ولم يذر وارتفعت أسعار الاطعمه ارتفاعاً فاحشاً حتى بيع رطل اللحم بنصف دينار ذهب ولحم الكلب بستة دراهم. ومن أضر ما ذكر من وقائع هذه السنة ما أورده صاحب عمدة البيان قل ما حرفة «وطلق رجل زوجته فتزوجت قبل العدة ثم طلقت وتزوجت ثالثاً فولدت ضفدعة بقدر الطفل» ولا يخفى ما فى هذه الحكاية من سوء التعبير فلو قال الكاتب أن المرأة ولدت ابناً مشوه الخلقة فيه بعض الشبه للضفدع لما كان على كلامه غبار وأما كلامه هذا بالصورة المذكورة

قلا يخلو من غرابة بعيدة والله أعلم بحقائق الأمور. هذا فضلاً عن أن المؤرخ لم يذكر محل الواقعة ولا في أي بلاد وقعت.

وإذ قد قدمنا ما وقع من غرائب الأحداث نقول. أن دولة قره قوينلى نشأت تحت كف الدولة الإيلخانية نشوءاً أمكها من أن تحل محلها بعد عهد مقدر.

ففى عهد السلطان أويس كان بيرم خواجه وهو رأس جماعة البهارلية فى عدة مواقع. ولما مات هذا السلطان أخذ هذا الشيخ أى «بيرم خواجه» الموصل وسنجار وارجيش (ارجيش مدينة قديمة من نواحي أرمينية الكبرى قرب خلاط وأكثر أهلها أرمن نصارى وقد أغرقها مياه بحيرة وإن قيل ستين سنة وأراد ابنه محمد أن يستقل بالملك فلم يوفق فجاء بعده حفيده قره يوسف وشيد دولة على أنقاض الدولة الجلائرية كما أسلفنا الكلام عليه فى وقته.

قلنا قبيل هذا تملك الشاه محمد على بغداد الآن نزيد على ما تقدم أن ملكه دام فى الزوراء ثلاثاً وعشرين عاماً خرج على أخيه الأمير اسيان وردى بعض الكتاب المتأخرين كحبيب أفندى شيخاً ومن بعده الأمير اسيان وهو حطاً شنيع خاف على حياته فمرها ربا إلى الموصل وهناك استمر جيشاً عرمرماً وتهيأ للحملة على بغداد وبينما هو على أهبة الزحف إذ بالأمير الحاج همدان هجم عليه واختاله سنة ٨٣٧هـ (١٤٤٣م - ١٤٣٤م) وذلك على تخوم الشيخان. وكانت قد مضت سنة واحدة منذ أخذ الأمير اسيان بغداد فحكم عليها بدون معارض إلى وفاته التى وقعت فى نفس بغداد سنة (١٤٤٤م - ١٤٤٥م).

أما قره يوسف فإنه كان عظيم النفس كثير المطامع طامح البصر يؤدى ملك الدنيا كلها وتحصع له الأكابر والأصاغر ولهذا قصى أياماً لم ير فيها راحة إذا كان لا يحلم شيئاً إلا توسيع نطاق مملكته وتدريب البلاد وارقاق العباد ولما كان يعلى نفسه بهذه الأمانى الأشعبية حاول أن يحققها فذهب لمأجزة الشاه رخ بن تيمور وجيش لذلك جيشاً جراراً إلا أن الله توفاه فى مدينة أجان مصيف المغول قرب

تبريز سنة ٨٤٣هـ - ١٤٤٠م ولم يكن يومئذ بجانب المحتضر أحد من أبنائه ليختلفه فنهب عسكره كل خزائنه ثم ما أعموا أن تفرقوا أيدي سبائل وتحت كل كوكب وتركوا جثته هائلة باردة عارية ليس عليها ما يستر عورتها في مربوط دواب ولم تدفن إلا بعد ثلاثة أيام وكان قد استوى على العرش مدة أربع عشر سنة. فسبحان من يعامل الظالمين الطامحين معاملة يرجع عنها القلم حافياً نافياً وتكون عاقبتهم آية القوم يعقلون. وما أخرى بكل طامع أن يشتمل بقول عمر بن مالك الحارثي.

| | |
|-----------------------------|-------------------------------|
| من كان منه الحرص يوماً لحظه | يؤمل أن نأثبه منه رغائبه |
| فأني رأيت الحرص أنكد سددت | عن النجح في كل الأمور مذاهبه |
| موارده فيها الردى حياضه | وأن أترعت لم يحظ بالرى شاربته |
| وان هيجته المظلمات بجذته | إلى أنى تعدى كل يوم ركائبه |
| فلم أر حضاً لأمرى كقائه | ولا مثل هذا الحرص أفلح صاحبه |

وفي أوائل سنة ٨٤٤هـ (١٤٤٣م) قبض على حنان الملك بعد قره يوسف أبيه إسكندر. واتفق مع أخيه من أمه حهان شاه أو جهانكير شاه بن على بك . ستفر جيشاً لهاماً ويأدي شاه رخ معداوة لانطغا جذوتها وظهر بريقها وبصيصها حينما تلاقى الفريقان قريباً من أرجيش. فصر الله المعدي عليه شاه رخ إذ ليس للظالمين من نصير. هذا ولم يحاول أحد من أصحاب الشاه رخ ثائر الأعداء ومطاردتهم مع أن هؤلاء الأعداء حمى على مساوئهم ثلاث حملات منكرة وفي كل حملة كان الخزي لأولئك الظالمين

وبعد أن مضى ربح من الزمن ولأمر تجرى هذا المجرى شملت نفس جهانكير شاه وأغلب الأمراء التركمان من معاملة إسكندر لهم وتحملوا منه ملتجئين بعسكر الشاه رخ فرحب بهم هذا كل الترحيب وعهد إلى الأمير الطريد للحكم على بلاد ديار بكر وأدريجان بشرط أن يفتحها ويستحوذ على أخيه. فلما

رأى إسكندر أن لا مناص من هذا التضيق لجأ إلى حصن النجق. فحاول جهانكير شاه أخذه فلقى منه الأمرين. واضطر إلى استعمال الغدر والخيانة للبلوغ إلى وطره فنجح. ولما كان يعلم أن قباد بن إسكندر قد هام بجارية من حوارى أبيه دفعها إلى أن تقتل إسكندر فقتله وكان ذلك فى سنة ٨٤١هـ (١٤٣٧م - ١٤٣٨م) وكانت مدة ملكة ١٦ سنة وجاء فى نخبة التواريخ أن جهانكير شاه قتل بنفسه قباد الماتك بأبيه ليعاقبه على ما جنت يده ولا سيما لأن فى قتله مشقة عظيمة لنفسه.

لما تبوأ جهانكير شاه عرش المملكة قبض أيضاً على أئمة بلاد دياربكر وأذربيجان مدة اثنتى عشر سنة بمقام نائب عن شاه رح بن تيمور. ولما قضى حبه الشاه رخ سنة ٨٥٠هـ (١٤٤٦م) استقل حيث جهنكير بالملك أتم الاستقلال ونقى مدة ٣٢ سنة سيداً مستبداً مادام صوبلجان مكره على بلاد دياربكر وأذربيجان وبغداد والبصرة وفارس وكرمان وليس من متاوى بناوثة.

فى سنة ٨٥٤هـ (١٤٥٠م) قاضت دجلة فيصاً فاحشاً وأمتلأ الخندق المحيط ببغداد فحصر أهل المدينة حصر أهل الحرب لهم اندفعت المياه ففرقت الزوراء وتهدمت دور كثيرة وكان أهل المدينة يستغيثون بالله صباح مساء ويكثرون من الصلاة والتردد إلى المعابد والمساجد. ولم يسمع الله من المدينة حديث آخر إلا حديث الماء انكسار الأسداد ودخول المياه فى بيت فلان وفلان أو فى المحلة الفلانية والفلانية وجامع هذا الصوب. وكثيرون من الناس ماتوا تحت الهدم الردم. ومن لم يميت كان يرتبط مع من يجاورة من أهل محله لينجوا من الفرق البيوت التى لم تدخلها الماء. وكانت مياه دجلة قد علت المدينة ودويها يفعل فى المسامع ما تفعله أكلت الجذب فى أيام المماعم إلا أن هذه الحالة لم تدم أياماً طويلاً فإن ريك رحيم بعباده فرأف بهم وأخذت لمحة السيل تغتر شيئاً فشيئاً حتى خمدت شدتها. بيد أن الأهالى كانوا يتخوفون من عاقبة المياه المستنقعة ووحامة بقائها فى مواطنها حتى أخذوا يتشاءمون بفنك الطاعون عن قريب. ولم يحقق سوء الظن هذا فى بغداد وأن كان ينفك يومئذ فى بلاد الكرج.

وفي تلك السنة خسف القمر خسوفاً تاماً وظهر كوكب في السماء يحرم القمر
وخر فهلعت القلاب واقشعرت اخلود واصطكت الركب وتزلزلت الأقدام وعلا
العويل والنحيب وأخذ الناس على اختلاف الأعمار والطبقات والمذاهب والإبان
يقرعون أواني النحاس والدموت والطشوت والمواخين حتى خاف الناس من هذه
الجلبه والضوضاء أكثر من خوفهم من الخسوف نفسه. وكان السامع لهذه
الأصوات يتخيل أن قد حات الساعة وأن الأموات تتململ في الأحداث وأنهم
هم الذين يحدثون تلك الأحداث. والحقيقة أن ذلك الشهاب كان
رجمات صوتاً عظيماً عندما تفرقع في الجو وما أنحل وجه البدر
الصبيح بعد ذلك الظلام القبيح على الناس إلى أفراحهم ونشعروا تلك
الساعة الهائلة وكل أتراحهم.

وفي سنة ٨٥٩هـ (١٤٥٤م) سمع أهل بغداد بظهور الطاعون فخافوا على
انفسهم خوفاً عظيماً لأنهم كلما سمعوا بذكر هذه الواقعة وظهورها في دار من
ديار الله ظنوا أنها تأتيهم شاذواً أم أبوا. إلا أن ظنونهم لم ينحقق.

بيد أن الطاعون فتك في السنة التالية في ديار بكر الجزيرة وماردين نصيبين
والموصل ولم يجسر على القدوم إلى دار السلام وما ذلك إلا الصعوبة العدوى
المتولدة من صعوبة التنقل والترحلات في ذلك العهد وانقطاع الطرق. فراق الله
بعبادة متخذاً الوسائط البشرية والطبيعية وسيلة لإظهار أعماله بين الناس.

في سنة ٨٦١هـ (١٤٥٦م - ١٤٥٧م) انتقل إلى ديار القرار باي سنقر بن شاه
رج ملك حراسان فتنازع أولاده المملكة. فلما رأى جهان ما وقع من الانقسام بين
أبناء الملك انتهز هذه الفرصة فأخذ هراة، فلما سمع بهذا الخبر أبو سعيد عملت
في نفسه عوامل الغيرة على آل نيمور وتسببت شواعره الباطنة فآلى على نفسه أن
يتأثر هذا الفائح الجسور. ولا سيما لأنه كان قد شهر نفسه ملكاً على سمرقند قبل
مدة وجيزة فخسف في الزحف على التركمان ليجمع ناهض طمعه. فلما رأى
جهان شاه ما في صدر منائه من محكم القصد ولم يستطع أن يقاومه في السهل

ذهب للحال وتحسن في حرد منبع من ذلك الصقع وبعث إلى ابنه «بيربودق» حاكم شيراز يطلب إليه أن يعجل في المجاهدة. في كذب ابنه أن استنفر جيشاً عظيماً في أسبوع واحد وفيه اثنا عشر ألف مزن صديد.

ولسوء الطالع لم تغد هذه العساكر جهان شاه فائده عظيمة فإن أبا سعيد خضد شوكة وكسر جنده الأبطال. وفضلاً عن هذا شاع الخبر في ذلك الأوان أن أبا آخر من أبناء التركمان جهان شاه وهو «حسن علم مرزا» لما رأى أن مدينة تبريز تركت وشانها وانتهز هذه الفرصة ليتخمد لها لنفسه ففعل ولم يقاومة أحد واستقل فيها أحسن استقلال. وما كنت هذه الأمور إلا لتزيد حسن جهان شاه فصبر على مجامر الكرام وعقد عرى السلام مع أبي سعيد الهمام ثم عاد ادراجه إلى تبريز والقي في السجن ابنه «حسن على مرزا» وعهد إلى ابنه الآخر «بيربودق» حاكم العراق العوي مكافأة له على حسن خدمته.

وما كادت قدما «بيربودق» تستقرن ببغداد إلا ورفع راية العصيان على أبيه كان الله أراد أن يبين لهذا الالب المكروب المتلى بأنواع ألحن أن الإنسان إذا اقتنى شيئاً بالحرام لا يتهنأ به وكيف يتهنأ بمملكة سفكت فيها الدماء زوراً وظلماً واتسثت بأخذه من قتل قباد بحيلة دبرها هو بنفسه ونصف ولم يزل مثابراً على عزمه حتى افتتحها. ثم قبض على بيربودق وقتله في سنة ٨٧٠ هـ (١٤٦٥م - ١٤٦٦م) إذ ليس بظالم إلا ويلى بأظلم وكل كانوا ظالمين

وكان بيربودق في حياته قد جرى على نفسه عداوة حسن الطويل وحسن هذا هو مؤسس دولة التركمان المعروفة بأق قويونلى أى دولة الخروف الأبيض فلما قتل بيربودق فرح حسن الطويل فرحاً لا مزيد عليه شاشاً بموته. فأثار هذا التصرف الدميم ثائر الغضب في نفس جهان شاه فبادء بالحرب ورحف عليه للحال معه خمسون ألف مقاتل. فلما رأى حسن الطويل هذا الجيش الجرار ولى هارباً إذ رأى من نفسه إذ لا قبل له به إلا أنه يسما كان جهان شاه مع خمسمائة أو ستمائة من رجاله يستريح على ضفة نهر أنتهز حسن لطويل هذه الفرصة في قابل عدوه

وقاتله حتى ظفر به وأمانه في سنة ٨٧٢هـ (١٤٦٧م - ١٤٦٨م) فصالح هذا الكلام الماثور أن ما يؤخذ بالسيف فليسيف يتزع وعلى هذا الوجه نشلت هذه المملكة من القتل وكان قد بذل في سبيل توسيعها كل مرتخص وغال ولم يبال بحرام أو الحلال. وهكذا انتقلت برمتها إلى حسن الطويل رأس الدولة التركمانية المعروفة بأق قوينلي وانقرضت تلك الدولة الأولى من بغداد بعد أن حكمت فيها نحواً من ستين سنة.

في دولة آق قويونلي

لما وقع بين حسن الطويل أو أوزون حسن صاحب ديار بكر وبين جهان شاه صاحب العراقين (العراق العجمي والعربي) حروب كثيرة استمر القتال والتحم النضال مدة مستين لأنها ابتدأت في سنة ٩٧١هـ (١٤٦٦م) وانتهت سنة ٩٧٢هـ (١٤٦٧م) وفي الأخير غار حسن الطويل شهر جليل على عدوه الدليل جهان شاه وقتله هو وأولاده وكثيراً من عسكره ومنذ ذلك الجهر استولى على بلاد العراق وأذربيجان بل وعلى كل أملاك قتله.

فلما كان لأوزون حسن هذا القور المبين ظن أن الجو قد خلا له ورق أدبمه وراق ولم يبق له من يتزع من يده صولجان الملك. إلا أن الإنسان في تفكير الرحمان في تدبير ونحال أوزون حسن أنه لا بد له من أن يلوح البلاد ويخضع له العباد فسأ ظلاً لأنه بينما كان يفكر في مثل هذه الأمور رأى في أوفق السياسة ما يكثر من قريب صفو سمائها وذلك على الوجه الذي نبين لك أصله كما يأتي:

كان قره عثمان جد أوزون حسن أو حسن الطويل في خدمة تيمور وكان يحكم باسمه على عدة قري من بلاد ديار بكر ثم توفي قره عثمان في عهد شاه رخ وخلفه «على بك» ابنه ثم عقبه ابنه «أوزون حسن» وكان هؤلاء الأمراء معادين كل المعاداة للتركماني المتسبين إلى قره قويونلي أو الخروف الأسود. فلما قتل جهان شاه كما معنا إليه فويق هذا خلفه على عرش المملكة ابنه «حسن على» وما كادت قدماء تستقران حتى أرسل رسلاً إلى أبي سعيد ابن مير شاه ابن

تيمور ليطلعه على أعمال أورون حسن فأراد أبو سعيد مساعدة هذا الأمير
 المستجير به لاسيما أنه من أتباعه فحمل على العدو ومعن سبعة وعشرون ألف
 مقاتل. فلما سمع بذلك أورون حسن داخله الرعب فلجأ إلى التسويق ثم إلى
 حسن المعاملة. وعما أناء في هذا الباب أنه لما علم بمجيئه إليه أرسل لاستقباله أمه
 العجوز ومعها هدايا والطاب كثيرة ثمينة نفيسة. ومن جملتها خيل تركمانية.
 والخيل عند أولئك الأقوام من أجل الهدايا. إلا أن هذا التزلف لم يأت بفائدة
 أبداً. إذ أن أبا سعيد أبى قبول الهدايا ولم يقابل الأم العجوز. وكذلك خاب
 معنى حسن الطويل لما حاول أن يهديه بغداد والبصرة وفارس وكرمان وأعداً أيها
 أن لا يدخر لنفسه إلا بلاد آذربيجان وأن يدع له النقود في كل أمر يكون له من
 الأمراء الخاضعين لصرلجانه ويضرب النقود باسمه ويذكر اسمه في خطبة
 الجمعة. أما أبو سعيد لم يقبل بشيء من هذه المواعيد والشروط وكان كلما لأن
 خصمه نجبر وعتا. فلما رأى حسن الطويل أن الحلم لا يفيد شيئاً وأن له من هذا
 المارق وقد بلغ السيل الزمان أن على نفسه أن يناهضه ويناجزه وينأوئه مستمداً
 العون من رب الجنود. وللحال جيش جيشاً من قبيلته وفيه اثنا عشر ألف مقاتل
 وحاصر معسكر أبي سعيد وقطع عنه الطعام أربعين يوماً. ولما انقضت هذه المدة
 سار إلى أردبيل وفي تلك المطوى رأى أبو سعيد موت أغلب دوابه فلما لم يدر
 ما يعمل وجه أمه إلى أورون حسن لتسميله إلى ابنها. على حد ما عمل أورون
 حسن حينما بعث أمه لمثل هذه الغاية إلى أبي سعيد. وكان حسن مستعداً لأجابة
 طلب الأم لولا أن «جنيداً» جد النشأ إسماعيل مؤسس الدولة الصفوية في فارس
 بعدئذ عارضه في تلبية طلبها. وكان جيد حاضراً في المجلس الذي عقده حسن
 الطويل لاستشارة وجهاء دولته. فرجعت أم أبي سعيد بخفي حنين وعادت إلى
 ابنها صفراً اليدين كما عادت سابقاً أم حسن الطويل. ورد على ذلك أن بعض
 أمراء جيش أبي سعيد قلبوا ظهر المجن لسيدهم واتحازوا إلى الحزب المعادي.
 فلما رأى ذلك أبو سعيد فر ولا فرار جراحة العيار.

وما زال يضرب في الأرض وزينل مرزا بن حسن الطويل يتعقبه حتى قبض

عليه وأتى به إلى أبيه فرحب به وأكرم مثواه وكان يشوب إكرامه له بعض الهوان. فعرض المضيف على ضيفه ما ظنه يرضيه ويطيب خاطره فقال له: خذ لك يا أبا سعيد خراسان وما وراء النهر. وأما أنا فادخر لنفسى ما افتتحت من البلاد وما تحويه من العباد. فأبى أبو سعيد هذا الرأي إذ وجد صاحبه يستقى لنفسه شيئاً كثيراً. فلما وقف أوردون حسن على ما فى نفس مناورته من الطمع والجشع اشتعل غيظاً وتلهب غضباً وعمر بمشورة أمرائه لأنهم كانوا يقولون له أن لا يعطيه شيئاً بل زاد على ذلك أنه أفتى بقتله أمام جماعة من القضاة الذين كانوا قد اجتمعوا بأمر حسن الطويل لينهوا الأمر على وجه حسن. ومن جملة الأسباب التى حملته على إصدار أمر القتل أن أبا سعيد كان قد أمر بقتل أم رجل اسمه يادكار محمد بدون علة ولذا حكم عليه بالقصاص فقتل سنة ٨٧٤هـ (١٤٦٩م - ١٤٧٠م).

وفى رواية للقرماني ما نصه: (فى سنة ٨٧٣هـ قصد صاحب ما وراء النهر الملك أبو سعيد ابن مير شاه ابن ييمور أن يسترد ما كان لجهان شاه من البلاد من حسن الطويل فقابل به بحدود آذربيجان فالتحم الحرب بينهما إلى أن قتل خلقاً كثيراً من عظماء خراسان وأسر الملك أبو سعيد فى يد زينل بن حسن الطويل. ثم أمر بقتله فقتل وأرسل برأسه إلى صاحب مصر فأمر به صاحب مصر فدفن اجلاً له لأنه كان من أكابر ملوك الإسلام وأرسل معه كتاباً سلك فيه طريقة الملوك وأبرق فيه وأرعد وكان قبله يتلطف بهم وأستولى حسن الطويل على ما كان بيد أبى سعيد المذكور على ملك صمرقند وفيرة.

وفى سنة ٨٧٤هـ حدث طاعون جارف ابتداء من كربلاء ونجف ثم انتقل إلى بغداد يعيث فيها عيث الأسود المفترسة ثم نزل إلى القرنة والبصرة ومن هناك انتقل إلى بغداد وأصيبهان بعد أن قتلك فتكاً هائلاً فى النفوس. وكان العوام ينسب هذه الطامة الكبرى إلى قتل أبى سعيد إذ توهموا أنه أميت ظلماً وجوداً.

وفى أواخر تلك السنة (٨٧٤هـ) سير أوردون حسن جمعاً كثيفاً من العسكر

على الوند بيك عامل جهان شاه على بغداد. وجهان شاه هنا هو كما رأيت آخر ملوك دولة قره قوينلى الذى كست قد ثبتت قدمه فى الزوراء إلى نحو ذلك الحين. فنارل الوند بيك فى الحرب ذلك الجيش الجرار حتى كسره فاضطر حسن الطويل إلى أن يقدم بنفسه إلى حومة الرغى ومارال قراع ونضال أمام دار الخلفاء حتى قتل الوند بيك ولورده حياض الموت. وفار حسن القور المين. ومنذ ذلك الحين ضم العراقيين إلى بلاده الرسعة الاكتاف فازدادت امتداداً وتبساطاً.

وفى سنة ٨٧٦ هـ (١٤٧١ م) وصل بوسفجة بيك بمسكر حسن الطويل إلى مدينة توقات أو طوقات فهما وخرب أسواقها وامتلكها باسم أورون حسن. وفى تلك السنة زادت توقات خراباً على خراب أن زلزلت الأرض ولزأها وكادت تغنى من بقى من أهلها فكان هرلهم يومئذ من أشد الأهوال

وفى سنة ٨٧٧ هـ (١٤٧٢ م) كسف القمر فى بغداد فحدث من الهول والفضواء مالا يصفه واصف وتشاءوا بعدة بلایا تقع فى السنة واتفق أن بعد ذلك أحد الشريف محمد محمل أورون حسن فقال العوام: أن البلايا لا تقف عند هذا الحد وكان يوسف جد بيك فى تلك الاثناء يتم مسيره إلى بلاد فرمان وكان بها السلطان مصطفى ابن السلطان محمد خان فاتح القسطنطينية فكبه السلطان مصطفى وظفر به وأسر، وقتل غالب عسكره ثم بعث به إلى أبيه السلطان محمد خان كما مر ذكره.

وفى سنة ٨٧٨ هـ (١٤٧٣ م) نهض كل من الملكين السلطان محمد خان وحسن الطويل إلى الآخر فالتقى العسكران بقرب مدينة «بايودد» (وهى اليوم قصبة قضاء بأسمها فى نفس لوآء أرضروم واقعه على نهر جورك صر على مسافة ٢٤ ساعة من أرضروم إلى الشمال الغربى وفيها آثار يونانية قديمة) فوقع بينهما قتال شديد ثم جاء النصر للسلطان محمد خان فانهمز حسن الطويل وقتل ولده زينل على يد السلطان مصطفى كما ذكر فى محله. أم أورون حسن فذهب إلى تبرير ولم يعد يفكر بأمر سوى بتوجيه اشغال المملكة على الطريق الذى يراه الأسد فى عينيه.

وفي تلك السنة سنة ٨٧٨هـ وقع في بغداد برد عظيم قدر الواحدة منها قدر الرمانة وأصاب خلقاً كثيراً كانوا في البادية فقتلهم وكذلك أمات شيئاً عظيماً من صغار الحيوانات والطيور وأضر بالأشجار فأتلف عدداً منها معدوداً وقبل أن يتساقط هذا البرد الهائل سمع أصوات في الجو كأنها أصوات أسلحة تصطفق.

وفي سنة ٨٨١هـ (١٤٧٦م) سافر السلطان محمد إلى جهة بغداد فبلغه خروج الأتكرس (المجر) فعاد إلى أدرنة. وفي هذه السنة جاء إلى بغداد رجل من مصر فأخبر أن امرأة من نساء الجراكسة ولدت أباً له أربع عيون وأنف غير مثقوب من جهة الشمال وله في كل يد من يديه سبع أصابع وله طول الواحدة منها شبر وشعره طويل أيضاً يتعدى الفترين. فكان هذا الخبر من أجل ما أهتم به خواصهم وعوامهم ولم يسمع يومئذ سواء في البيوت والمحالس والمستديات.

وفي سنة ٨٨٢هـ (١٤٧٧م) توفي صاحب العجم أوزون حسن وملك بعده ولده ميرزا خليل وكانت مدة ملك حسن الطويل اثنتي عشرة سنة وكانت وفاته ليلة عيد الفطر وخلف خمسة أولاد وهم خليل ميرزا أو ميرزا خليل وكان حاكم فارس وهو الذي ورث أباه ومقصود بيك. وكان حاكم بغداد. ويعقوب بن ميرزا وكان حاكم ديار بكر ومسيح ويوسف.

أما خليل وهو ابن حسن الطويل بن علي بيك بن قطلو بيك بن طور علي التركماني فقد ورث ملك أبيه بعهد منه إليه، وكان أكبر أولاده وأحبهم إليه فملك جميع ما كان يملكه أبوه من البلاد الشرقية إلا أنه لم يتهنأ بالملك لأنه لما استقر على منصبه الملك طغى وبغى وحار وعسف وأخذ الناس بالحنف والشدة. وقتل كثيراً من الأمراء وقتل أخاه مقصود بيك وخلقاً كثيراً من أقاربه وزاد الطين بلة أنه أولع باللهو والمعاصد وكانت الفتن قائمة على قدم وساق في أطراف البلاد فضلاً عن أنحاء العراق وكان الدين يشيرونها بعض الملوك من أصحاب الغايات وما كان أحد يجسر على أن يطلعه على ما يحدث من الأسواء والأحداث لسوء خلقه وخشونة طباعه وشدة جبروته فاتفقوا على خلعهم وتوليده أخيه الملك الصغير يعقوب بيك صاحب ديار بكر وكانت مدة سلطنة للخلوع ستة أشهر ونصف شهر وفي رواية أخرى أن حسن الطويل لما كان حياً أقام حاكماً على بغداد أبه ميرزا

مقصود ولما علم الأب أن ابنه هذا قد اتفق مع عمه أوغزلو محمد الذى كان قد رفع راية العصيان على أخيه حسن فى أصبهان أنزله عن منزله الرفيعة ثم لما قضى نحبه حسن الطويل وتملك ابنه خليل بعده أتى هذا من المنكرات مالا يصفه قلم واصف فتمرد عليه أخوه يعقوب ميرزا سنة ٨٨٣هـ (١٤٧٨م - ١٤٧٩م) وتلاقى الإخوان فنصر أب الصغير الله العاصل على الكبير الرذل بقرب سلماص من ديار العجم ثم قتل المغلوب فى تلك الموقعة بعد قليل فاستوى على عرش المملكة يعقوب ميرزا وبعد أن قبض على صولجان الملك مدة ثلاث عشرة سنة اشربته أمه بالماء بافعاً ولم تدر أنه سم بما أنها هى أيضاً شربت منه فمات كلاهما فى وقت واحد أسف عليهما الجميع وسرف بعيد الكلام عن هذه الوفاة بعد هذا فى السنة المناسبة لموتها.

وفى سنة ٨٨٩هـ (١٤٨٤م - ١٤٨٥م) فاصت دجلة فيضاناً فاحشاً حتى فاق كل فيضان جاء ذكره سابقاً فإن الماء دخل المدينة كلها وبلغ علو الماء فى الأزقة ذراعاً واحداً وفى بعض المحلات كحجوار مدين عبد القادر الجيلانى بلغ ذراعاً ونصف ذراع.

وتعذر المشى على الأقدام فى الطرق فاضطر الناس إلى ركوب القمف والقوارب والسفن ومنهم من كان يتحول على الدواب. وقد وافق أزدحام السيل فى طحمة الليل فانبثقت الامتداد ليلاً على عملة من الناس ففاجأهم السيل وهم نيام فلما انتبهوا على أنفسهم رأوا أن كثيرين منهم قد خنقوا بالماء ومنهم من جاءهم السيل وهم فى البادية فاحتملهم إلى بعيد ولاسيما الأطفال فمات منهم مئات وكذلك يقال على الدواب التى ابتلعها المياه أو ساقها إلى حيث ألقيها رحلها أم قشعم وكان العويل يسمع من بعيد فالذين فى جانب الكرخ كانوا يسمعون صراخ أهل الرصافة والذين كانوا فى ضفة الرصافة تسنك مسامعهم من نحيب أهل الكرخ وأما الذين دفنوا تحت الردم فلم يحصروا لكثرتهم ولم تدخل المياه البيوت من فيضان دجلة فقط بل كانت أراضي الدور تصيق بالمياه التى كانت تنبسط منها لأن سطح ماء الشط كان أعلى بكثير من أعلى محلة ببغداد وفى الناس فى هذا الخوف العظيم مدة تزيد على شهر ولما جاء تموز تبخرت المياه ورجع الناس

إلى منازلهم بعد أن أصابهم من الفزع والجزع مالا يقوى على وصفه أى فلم تستحنه.

وفى تلك السنة أى سنة ٨٨٩هـ بعث يعقوب شاه ابن حسن الطويل عسكرياً لهاماً إلى بلاد الشعشع فكسروه كسراً شنيعاً وكان الشعشع بعد نفسه علباً ثم غالى فى نفسه حتى زعم أن روح على بن أبى طالب انتقلت إليه فأمن به كثيرون وما زال أمره فى استفحال واستشراء وهدد المخازين إليه يزداد أزدباد السيل المتجمع من كل حدب وصوب حتى استولى على بلاد ابن علان (وفى رواية: ابن هلال) على أن يخرج يعقوب شاه عليه قلم اظفاره وخفض جناحه وقت فى عضده حتى تنوى العهد به.

وفى سنة ٨٩٢هـ (- ١٤٨٦م) توفى الفقيه الشاعر محمد بن الحضر البغدادي حتى لموته رنة حزن فى جميع ديار العراق تشبه وفاة أعظم ملوك الأرض.

وفى سنة ٨٩٢هـ (١٤٨٧م) ظهر الشيخ حيدر بن الشيخ صمى الدين من جريد الأردبيلي شيخ الصوفية بمريديه (إن شئت) فقل بمردته وهجم على شروان شاه صاحب شماخي (شماخي مدينة عامرة وهى قصبة بلاد شروان فى طرف أران تعد من أعمال باب الأبواب) فغلب عليه واستنجد صاحب شماخي يعقوب شاه المذكور وكان بينهما علاقة صهارة فاستنجد على حيدر بعسكر كثير كثيف فاوقعوا بحيدر المذكور فقتلوه وأعادوا شروان شاه إلى مقر ملك شماخي.

وفى سنة ٨٩٤هـ (١٤٨٨م) تحيل يعقوب شاه بحيلة غريبة حتى استولى على بلاد ديار بكر ونزعها من يد الأكراد والتركمان وانتصر عليهم.

وفى سنة ٨٩٦هـ (١٤٨٨م - ١٤٨٩م) ماتت أم يعقوب شاه وكان موتها سبباً لاختلاف حصل بين أهل هذا البيت. وكان دأبها أن تجمع فى كل أسبوع أهل هذا البيت بمكان أعدته لهم وتكلم كلا منهم بما يناسب حاله ومقامه. فلما ماتت انقطع هذا التدبير وتفرقت الكلمة فكان سبباً ووسيلة لدس السم على يعقوب شاه بعد وفاة والدته بثمانية عشر يوماً وأحبه ميرزا يوسف بك. وكانت وفاتهم فى نواحي قره باغ. وهذه الرواية تختلف عما رويناها فريق هذا والله أعلم بالحق. وكانت مدة ملك يعقوب شاه اثني عشرة سنة وشهرين وخلف ثلاثة

أبناءهم باى سنقر. وحسن. ومراد. وتسلطن. بعده أخوه مسيح بك بن حسن الطويل. فوقع بين الأمراء اختلاف إلى أن آل الحال إلى تولية على بيك بن خليل بيك بن حسن الطويل. ثم لم يتظم به الأمر أيضاً حتى أقاموا باى سنقر بن يعقوب بن حسن الطويل صبياً صغيراً دون العشر سنوات. ثم وقع بين الأمراء عدة حروب تطاعنوا فيها وتطاحنوا بسبب أن كل جماعة منهم اختارت واحداً من أهل بيت الملك ومالت إليه وقتلت جماعة منهم. ثم اتفق أن قتل باى سنقر فى بعض الحروب بعد أن ملك سنة وثمانية أشهر. وهى رواية: أن سبب اختلاف الأمراء فى تعيين الخلف الراث انتهى بقتل مسيح بك وتبريع باى سنقر على تخت المملكة وقيل لم يتنه الاضطراب بذلك لأن واحداً من حاشية مسيح بك واسمه محمود بيك بن أوعرلو محمد وهو ابن عمه لحاقر هارباً إلى بغداد فاستوى هناك على سرير المملكة مدعى شاه على بيرناك حاكم الروراء. ولكن باى سنقر وصوفى خليل مزدبه جمعاً جيشاً جراراً ورحلوا على المتحالفين حتى أهلكاهما ويديهما الأسلحة

وبعد أن مضى ربح من الزمان خرج رستم ميرزا بن مقصود بن حسن الطويل على باى سنقر وتغلب على آذربيجان ولما لم يكن آمناً من جهة باى سنقر أطلق من سجن اصطخر أولاد الشيخ حيدر الصفوى. وقد نوى بعمله هذا أن يمنع فرخ يسار شاه شروان من أن يغيب باى سنقر لأنه إذا كان حبله على عاربه يشر لناوئه ما يتبط به عزمه. وفى تلك المطاوى بلغ الخبر إلى رستم ميرزا أن باى سنقر أخذ بالزحف فلما ثبت الأمر تهباً للملاقاة. والتحم القتال وقتل فيه باى سنقر فبلغ رستم إلى تحقيق أمانيه وهى السملك على آذربيجان فملكها وأقام فيها خمسة أصوام وستة أشهر. وأرسل بأبهة وجلال إلى أردبيل أولاد حيدر وأردبيل هذه هى مهد سعادة الصفوية ولحد جدهم الأكبر.

وقبل وقوع وفاة باى سنقر قضى نحبه يعقوب ميرزا فلجاً حفيظة أحمد بن أوغرلو محمد بن حسن الطويل إلى اسلطان بياريد الثانى العثمانى فزوجه ابنته. ومن بعد أن أقام سنوات فى الراحة والسكون أفلت من بلاد الترك فى السنة السادسة من ملك رستم ومعه جيش عظيم وتوجه إلى آذربيجان فذهب وخيم على ضفتى الرمس فأنضم إليه بعد ذلك أمراء تلك الأصقاع أصقاع آذربيجان إلى

أمراء العراق ليكونوا جميعهم يبدأ واحدة على رسمهم . فلما التحم القتال هلك رسمهم في حومة الوغى فقام مقامه أحمد بدون أن يتمكن من أن يتمتع بأموال سلفه لأن عيبه سلطان خرج عليه واعتل به بعد ستة شهر من تملكه أي سنة ٩٠٣هـ (١٤٩٧م - ١٤٩٨م).

وكان السلطان مراد بن يعقوب ميرزا الخلف المعين ليرث عرش أحمد إلا أن العقبات التي أثارها بوجهه ابن عمه محمد ميرزا بن يوسف الجائنه إلى الفرار إلى شيراز وترك له الجو خالياً يبيص فيه ويصفر وما كاد الملك الجديد يستوى على العرش إلا وانتزع منه أخوه الوند ميرزا من أولاد يوسف المذكور ولاية آذربيجان وأكرهه على الهرب إلى السلطانية ومنها إلى أصبهان.

ثم أن السلطان مراد غادر شيراز حيث كن مالكاً وهبط أصبهان فقبض على محمد ميرزا وأخله معه نحو تبريز التي كان يثبأ فيها الوند ميرزا اليقارم هذه المهمة الفجائية لكن اتفق أن اناساً مصلحين توسطوا بين الطرفين وحملوهما على عقد عهد سلام بشرط أن تبقي ديار بكر وآراك وآذربيجان بيد الوند ميرزا ويكون العراقان العجمي والعربي وفارس بيد السلطان مراد.

وفي تلك الأثناء وقعت عدة وقائع لا تعلق لها بالحرب من ذلك ما وقع في بلاد فارس من أمر ذبح اليهود فاهتز له يهود بغداد كلهم . وتحرير الخبر أن يهود بلاد إيران عصوا على الدولة فقاتلهم المسمون وأهلكوا منهم ثلثمائة ألف يهودي على رواية صاحب عمدة البيان وكان ذلك سنة ٨٩٩هـ (١٤٩٣م).

وفي سنة ٩٠١هـ (١٤٩٥م) زادت مياه الأنهر والأبار زيادة فاحشة من ذلك النيل فإنه زاد على المقياس وقاضت دجلة والفرات زيادة غير مألوفة في السنين السابقة ففرقت المدينة وأشدت الضيق على الأهالي ومما زاد الطين بلة أن الأبار فارت بل والكنف أيضاً قلذفت ما في أحشائها لامتلاء تنانيرها ماء فكانت الطامة من أعظم الطوام التي شوهدت إلى ذلك الحين لأن الذي الناس لم يجدوا لهم محلاً تقرر فيه قلعهم فإن أقاموا في بيوتهم شموا من الروائح الكريهة ما يوردهم حياض الموت وينفض عيشتهم ولهذا مات كثير في هذه السنة ولا سيما النساء

لأنهن كن مضطرات إلى لإقامة في دورهن . وأن برزوا إلى البرية أو ضاحية المدينة أضرتهم المياه المستنقعة وكثرة الهوام وأثرت فيهم الرطوبة تائيراً بينا . وأن جلسوا في متدياث المدينة خافوا في أنفسهم من سقوط الجيطان عليهم . ولما كانت هذه الوقائع تقع مراراً في النهار أخذ في الناس كل ماخذ وطلبوا إلى الله أن يرأف بهم ويكشف عنهم هذا العم ويدفع عنهم هذا الهم . فلم يجبههم عز وجل إلا من بعد أن كفروا عن سيئاتهم بأعمال البر والتقوى .

وفي تلك السنة أشتدت وطأة الأمراض الناجمة عن التعفن كالبطاح والبطاحي وأمراض الحلق والوبالة والرثية (وهي الردماتزم بالفرنساوية والصليل بلسان عوام بغداد) والحمى المتقطعة والبقطة (التي فربيدية) والتهاب الأمعاء ونحوها ومات جم غفير من الناس . ولم يستطع أهل بغداد أن يستريحوا بعض الراحة إلا من بعد نضوب المياه بالتمام وحيث عاشوا بهناء وسلام

(تم الكتاب)

الكشاف العام



١- الأعلام

(١)

أباقا بن قوتاي ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٨، ٢٣١

أباقا بن هولكو ٢١٦، ٢١٧

إبراهيم بن خالد بن إلياس ١٣٧

إبراهيم بن سيار النظام ١٤٢، ١٤٣

إبراهيم الشرواني ٢٥٦

إبراهيم «العلويين» ١١، ١١٣

إبراهيم القراري ١٦١

إبراهيم بن المهدي ٢٠، ٣٩، ٥٧، ٦٥، ٧٨، ٩٤، ١٠٦، ١٠٨، ١٧٧

إبراهيم الموصلی ٧٧، ٧٨، ٨٨، ٨٩، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٦، ١٠١

١٠٣

إبقراط ١٥٢، ١٦٥، ١٦٧

أبولونس ٧١

أحمد أمين ٩٠

أحمد الجلائري ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨

٢٥٩

أحمد بن حنبل ٦٦، ١٠٤، ١١١، ١١٢، ١٢٢، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٧

١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٤، ١٤٥، ١٥٧

أحمد بن أبي داود ٥٧، ٥٨، ٥٩، ١٢٢، ١٤١، ١٤٣

أحمد «السلطان» ٢٤٥

أحمد شاة النقاش التبريزي ٢٣٩

أحمد بن محمد بن أوغرلوا ٢٧٧ ، ٢٧٦
أحمد بن هارون الرشيد ١١٢
أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي ١٤١
أحمد بن يحيى المكي ١٠٧
أخيچوق ٢٣٥
آدم ١١٢ ، ٢٥٠
أردشير ١٥٩
أردوقيان ٢٢
أرسطو ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٧٥ ، ١٨٠
أرشميلس ١٧٥
أرغون ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٤
أرغون خان ٢٦٢
أروق ٢٢١ ، ٢٢٢
أرباخان ٢٣٠
أرباغاورون ٢٣٠ ، ٢٣١
أبر إسحاق ١٣٢
إسحاق بن إبراهيم ١٤٦ ، ١٥٩
إسحاق بن حنين ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٧٥
إسحاق بن ماسويه ١٨١
إسحاق الموصلي ٥٣ ، ٦٦ ، ٧٧ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٣٠
أسد بن الفرات ١٣٦
أسد بن يزيد ١٠٠
اسفنديار ١٧٩
إسكندر بن قره يوسف ٢٦٤ ، ٢٦٥
أسلم «عن الموالى» ١١

إسماعيل «حاكم بغداد» ٢٤٣، ٢٤٥

إسماعيل الصفوي ٢١٥، ٢٧٠

أسيان ٢٦٣

أشناس ٦٥

الأصطخري ٢٦

أصف الدولة ٢١٥

الأصمعي ١٠٢، ١٢٢، ١٤٥، ١٤٦

أفقا ٢٣٤

الأفشين ٣٨، ٣٩، ٥٨، ٥٩

أفلاطون ٧١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٦٥، ١٧٥، ١٨٠

أق بنا ٢٣٤

أق قوينلي ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩

أقليدس ٧١، ٩٢، ١٥٠، ١٥٢، ١٦٥، ١٦٦، ١٧٥

الأمين ١٣، ١٩، ٢٠، ٢٧، ٣٠، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤٤، ٤٥، ٥٥، ٥٦

٥٧، ٦٢، ٧٠، ٧٢، ٧٥، ٨١، ٨٢، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٤، ٩٦، ٩٧

١٠٠، ١٠١، ١٠٤، ١٠٧، ١٠٨، ١١٢، ١٢٦، ١٣١، ١٤٦، ١٦٨

أوغرينده ٢٢٧، ٢٢٨

أوزون ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤

أويس ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٤٣

٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٣

إيتاخ ٦٥

أيك الحلبي ٢٠٧، ٢٠٨

أيلبجكتاي ٢١٤

أبو أيوب اللورباني ٢٥، ٦٠

(ب)

- بابك الحرمی ۳۸، ۳۹، ۱۵۲
باقا بن هولاکو ۲۱۶
بای منقر شاه ۲۶۶، ۲۷۶
بایجونوین ۲۰۷، ۲۰۹
باید واغول ۲۲۱، ۲۲۳، ۲۳۴
بایزید ۲۴۴، ۲۴۵، ۲۴۶، ۲۵۱، ۲۵۲، ۲۵۵، ۲۷۶، ۲۷۷
البختری ۱۴۹
البخاری ۱۳۸، ۱۳۹
البختری ۱۳۷
بختنصر ۸
بختیشوع ۷۲، ۱۶۸، ۱۶۹
بخشاتش ۲۵۹
برصوما ۸۹، ۱۰۱
برموق ۲۴۶، ۲۵۰
بزل ۹۶
البستانی ۲۲۷
بشار بن برد ۸۸، ۸۹، ۱۱۲، ۱۴۹
بشر بن المعتز ۱۴۱
بشر بن الولید ۱۳۵
بطليموس ۷۱، ۱۵۰، ۱۵۲، ۱۵۹، ۱۶۰، ۱۶۲، ۱۶۵، ۱۷۵
البغدادی ۱۵۷
أبو بکر الاصم ۱۳۳
بکر بن المعتز ۵۶
البلافری ۱۵۹

البلخی ۱۶۳، ۱۶۴

بہادر بن خرمندہ ۲۲۸، ۲۳۰، ۲۳۴

بہرام جور ۱۷۹، ۲۴۲

بوران ۲۸، ۸۲، ۱۰۸، ۱۱۴، ۱۱۵

بوسفجہ ۲۷۲

ہوقا ۲۲۱، ۲۲۲

ہوقا تیمور ۲۰۹، ۲۱۴، ۲۲۱

بیان سکورجی ۲۲۲

بیرم خواجه ۲۶۳

بیربودق ۲۶۷، ۲۶۸

(ت)

تاج الدین علی شاہ ۲۲۷

تکود اراعول ۲۲۰، ۲۲۱

آبو تمام ۵۹، ۲۴۹

تندو ۲۵۹

تندی ۲۵۹

تویخت ۱۱۳

توداجر ۲۲۳

توفیل بن توما ۷۳، ۱۰۹، ۱۵۲، ۱۶۲

تیمور ۲۴۴، ۲۴۶، ۲۴۸، ۲۴۹، ۲۵۰، ۲۵۱، ۲۵۲، ۲۵۴، ۲۵۵

۲۵۶، ۲۵۷، ۲۶۹

(ث)

الثعالبی ۱۲۴

(ج)

جابر بن حیان ۱۶۴، ۱۷۱، ۱۷۲، ۱۷۳، ۱۷۴، ۱۷۵، ۱۷۶

جايون ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠

الملاحظ ٥٩، ١٠٩، ١١٦، ١٢٨، ١٣٥، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٨، ١٤٩

١٧٥، ١٧٦، ١٨٠

جالينوس ٧١، ١٦٥، ١٦٧، ١٧٥

ابن جامع ٨٩، ٩٥

الجائيق «أوخرينده» ٢٢٧

جبله بن سالم ١٧٩

جبرائيل حنوش ٢٣١

جبريل ١٤٣

جبريل بختيشوع ٧٢، ١٦٨

جبريل الكحال ٧٣، ١٦٩

أم جعفر بن أبي الفصل ١٦٩

جعفر بن بشر ١٤١

جعفر بن حرب ١٤١

جعفر بن خالد ١٨

جعفر الصادق ١٧١، ١٧٥

جعفر بن محمد بن محمد البلخي ١٦٣، ١٦٤

أبو جعفر بن المغيرة ١٣١

أبو جعفر المنصور ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦،

١٧، ١٨، ١٩، ٢٣، ٢٥، ٢٩، ٣٠، ٣٣، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤١،

٤٢، ٤٥، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٦٠، ٦١، ٦٤، ٦٧، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤،

٧٥، ٨٠، ٨١، ٨٤، ٨٨، ١٠، ١٠٢، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٩، ١١١،

١١٣، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١٢٣، ١٢٨، ١٣١، ١٤٠، ١٥٠، ١٥١،

١٥٦، ١٦١، ١٦٢، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٩

جعفر بن يحيى البرمكي ١٧، ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٨٢، ٩٣، ١٠٩

جلال الدين السمناني ٢٢١

جنكيزخان ٢٣٧ ، ٢٤٨

جنيدا ٢٧٠

جهان شاه ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣

جها نكير شاه ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣

الجهشياري ٢٤ ، ٢٥ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٦٤ ، ١١٣ ، ١٢٣ ، ١٢٤

جوبان ٢٢٨ ، ٢٣٤

جورجيس بن جبريل ١٦٨ ، ١٦٩

ابن الجوزي ٢٠٧

جيورجيس بن بختيشوع ٧١

(ح)

(الأمير) الحاج ٢٦٣

حيب أبو راتطة ٧٣

حيب السير ٢١٥

حيب (أفندي) شيخا ٢٦٣

حيش بن الحسن ١٥٤

الحجاج بن أرطاة ١٠

الحجاج بن مطر ١٥٢

الحراني ٩٥

الحرب بن عبد الله ١٦

حرب بن حمير ٧٦

حسن الإيلينحاني ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥

حسن الجرباني ٢٣١

الحسن بن سهل ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٦٣ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ١١٤ ، ١٣٢ ،

١٥٩ ، ١٦٢

حسن الطويل ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٧٤

حسن على مرزا ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٣

الحسن الكبير بن أويس ٢٣٤، ٢٣٥

الحسن بن موسى بن شاذل ١٥٣

حسون بن أويس ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٩

حسين (الأمين) ٢٣٤

حسين خان ٢٤

الحسين بن علي ١٥٧، ٢٢٥

الحكم بن يوسف ١٥

حمزة بن الزيات ١٣١

حمزة بن ميمون ٥٣

أبو حيفة «النعمان بن ثابت» ١٠، ١٨، ٦٦، ١٢٥، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥

١٣٩، ١٧٨، ٢٣٧، ٢٤٠

حين بن إسحاق ٧٠، ١٢٢، ١٢٩، ١٥٢، ١٥٤، ١٧٥، ١٧٧

الحوافي «زين الدين» ٢٤٩

حيدر بن صفى الدين ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧

(خ)

خاتون ٢١٦، ٢٢٠، ٢٣٠

خازم بن خزيمه ٥٣

خالد البرمكى ٤١، ٤٧، ٦١

خاوند ٢٢٨

خريشة بن أرغون ٢٢٧

خرداذبه ٣١، ١٦٠

أبو خطاب النحاس ٧٦

ابن خلدون ٧، ١٢١، ١٢٢، ١٥٥، ١٦٧

ابن خلکان ۱۳۰
 خلیل بن احمد ۷۱، ۱۷۶
 خلیل بن میزرا ۲۷۴
 خنلمیر ۲۳
 الخواجه عزیز ۲۱۵
 الخوارزمی ۷۶، ۱۶۰، ۱۶۱، ۱۶۳، ۱۶۴، ۱۶۵
 الخیزران ۸۵، ۱۰۵، ۱۰۶، ۱۰۷

(د)

داذویه ۸
 ابن ابی دارد ۵۹
 ابو داود الظاهری ۱۳۴، ۱۳۸
 ابن درنوش ۲۰۹، ۲۱۴
 ابو دلامه ۱۰۲
 دلشاد خاتون ۲۳۰، ۲۳۴
 ابو دلف ۵۹
 دمشق خراجا ۲۲۸، ۲۳۰، ۲۳۴
 دنجا ۲۱۸، ۲۲۴
 دینار «الصغری» ۱۸
 دینار بن عبد الله ۱۸
 دینار الکبری ۱۸
 دریدار ۲۰۳، ۲۰۴، ۲۰۵، ۲۰۶، ۲۰۷، ۲۰۸، ۲۰۹، ۲۱۰، ۲۱۱، ۴۲۴
 ابن دیصان ۱۵۴

(ذ)

ذو صون ۲۲۲، ۲۲۴، ۲۲۵، ۲۳۱

(ج)

راغول ۲۲۱، ۲۲۰

الراوندي ۱۴۱

الربيع بن يونس ۵۴، ۱۶

رخ بن تيمور ۲۶۳، ۲۶۴، ۲۶۵، ۲۶۹

رستم ۱۷۹، ۲۵۵، ۲۷۶، ۲۷۷

الرشيد ۱۳، ۱۴، ۱۸، ۱۹، ۲۸، ۳۴، ۳۶، ۳۷، ۳۸، ۴۰، ۴۳، ۴۴

۴۵، ۴۶، ۴۷، ۵۱، ۵۲، ۵۵، ۶۱، ۶۲، ۶۴، ۶۷، ۶۹، ۷۲، ۷۵، ۷۸

۸۱، ۸۴، ۸۵، ۸۹، ۹۰، ۹۱، ۹۲، ۹۳، ۹۴، ۹۵، ۹۶، ۹۷، ۹۹

۱۰۰، ۱۰۱، ۱۰۲، ۱۰۳، ۱۰۵، ۱۰۶، ۱۰۷، ۱۱۰، ۱۱۲، ۱۱۳

۱۱۷، ۱۲۴، ۱۲۶، ۱۲۷، ۱۲۸، ۱۲۹، ۱۳۱، ۱۳۳، ۱۳۵، ۱۳۷

۱۴۱، ۱۴۵، ۱۴۷، ۱۵۰، ۱۵۱، ۱۵۸

رصاص ۲۲۲

رضا علي خان ۲۴۲

ابن الرومي ۱۴۹

رطة بنت أبي العباس ۷۹

(د)

زاده خليل ۲۵۵

زيدة ۲۸، ۵۵، ۸۱، ۱۰۱، ۱۰۶، ۱۰۷، ۱۰۸، ۱۰۹، ۱۱۳، ۱۱۴

۱۱۷

زياب ۷۸

زلزل ۸۹، ۹۳

الزهري ۱۴۰

زهير بن أبي سلمى ۱۳۲

زيادة الله ۷۸

أبو زيد الأنصاري ١٤٦

زينب بنت سليمان بن علي ١٠٥ ، ١٠٨

زينل بن حسن الطويل ٢٧١ ، ٢٧٢

(ص)

سالم بن سالم البلخي ١٠٠

سرور ٢٤٢

ابن سعد ١٥٨ ، ١٥٩

سعد الدولة اليهودي ٢٢١ ، ٢٢٢

سعد الدين الساوجي ٢٢٧

أبو سعيد ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١

أبو سعيد بن مرشاه بن تيمور ٢٧١

السفاح (أبو العباس) ٦ ، ٤٢ ، ٦٣

سقراط ٧١ ، ١٥٣

سلمان بن داود ١٣٧

سلمان الساوجي ٢٤٢

سلامة ٧٥

أبو سلامة الخلال ٥١

سلمويه ٧٣ ، ١٦٩

سليط بن عبد الله بن عباس ٥٣

سليم بن سلامة ٨٩

سليمان بن بايزيد ٢٥١ ، ٢٥٢

سليمان الدخيل ٥ ، ١٨١

سليمانشاه ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢٤١

ابن السماك ١١٢

سند بن علي ٧٣

السندی بن شاہک ۴۲
سہل بن مابور ۷۳، ۱۶۹
سہل بن سلامة ۹۹
سہل بن ہارون ۱۲۸
سونجا نوین ۲۰۷، ۲۰۷
سیوہ ۱۴۸
سیف الدین البیکتجی ۲۱۵
السیوطی ۵۱، ۶۵

(ش)

شاہور ۲۲۴
الشافعی ۶۷، ۱۲۲، ۱۳۲، ۱۳۳، ۱۳۴، ۱۳۶، ۱۳۷، ۱۳۸، ۱۳۹، ۱۴۶،
۱۵۶، ۲۳۷، ۲۴۰
شاہ جہان تیمور ۲۳۱، ۲۳۵
شاہ رخ ۲۵۹
شاہ محمد ۲۵۹
شجاع خان ۲۴۵
الشحر الہللی ۵۶
شرف الدین الرامی ۲۴۲
شرف الدین ابو القاسم علی ۲۱۵
شرف الدین المرافی ۲۱۱
شروان شاہ ۲۷۵، ۲۷۶
شماسة بن الأشرس ۱۴۱، ۱۴۲
شنب غازان ۲۵۸
شہاب الدین الزنکائی ۲۱۱

(ص)

صاعد ١٥

صالح بن بشير ١١١

صالح بن الرشيد ٩٤

صالح بن المنصور ١٦

صوفي خليل ٢٧٦ ، ٢٧٧

(ض)

(ط)

طاهر بن الحسين ١٣ ، ١٩ ، ٣٦ ، ١١٥

الطبري ٢٧ ، ٥٣ ، ٦٦ ، ٩٠ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٥٨

طرسون ٢٤٤

طقز ٢١٦

طوغاي تيمور ٢٣١

ابن طيفور ٨٣

طيماشوس ٦٨ ، ٧٣ ، ١٥٤

(ظ)

(ع)

عائشة بنت الرشيد ١٠٨

عائكة ٩٦

عادل أخا ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥

عالية بنت الرشيد ١٠٨

أبو العباس «السفاح» ٦ ، ٤٢ ، ٦٧

العباس بن الفضل بن الربيع ٥٦

العباس بن المأمون ٥٨

العباس بن محمد بن عبد الله بن العباس ١٥ ، ٢٤

العباسية بنت المهدي ١٠٨ ، ١٠٩

(السلطان) عبد الحميد ١٨١

ابن عبد ربه ١٥٩

عبد الرحمن بن الحكم ٧٨

عبد الرحمن بن المهدي ١٣٧

عبد الرحيم الملاح ٢٥٩

عبد القادر الجيلاني ٢٧٤

عبد اللطيف الكرمانى ٢٥٠

عبد الله بن العباس ١٠٨

عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع ٩٥

عبد الله بن حبة ٥٦

عبد الله بن المقفع ١٤٧ ، ١٥٤ ، ١٧٨

عبد الله بن موسى الهادي ٩٥

عبد الملك بن الطمنحي ٢٤٥

عبد الملك بن مروان ١٤٦

عبد الله بن العباس ١٠٨

أبو عبيد الله بن معاوية بن يسار ٥٤ ، ٥٥

عبد راکاني ٢٤٢

ابن العبري ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٣١

أبو العتاهية ٩٠ ، ٩٨ ، ١٠٣ ، ١١١ ، ١٤٠ ، ١٤٩

صعيف بن عنبه ٥٨

عزيز ٢١٥

عصام عبد الرحوف ٥

ابن عطاء الليث ١٠١

علاء الدين عطاء الملك ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠

ابن علان ٢٧٥

حلاز الشعوبى ١٢٤
 ابن العلقمى ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٤
 علويه ٩٣
 على بن اويس ٢٤٣ ، ٢٤٤
 على باشا ٢٣٠
 على بيرناك ٢٧٦
 على بن خليل ٢٧٦ ، ٢٧٧
 على الرضا ٢٠ ، ٤٤
 على بن سليمان ١٠٢
 على شاه ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٤٤
 على بن أبى طالب ١٠٨ ، ١٧٥ ، ٢٢٥ ، ٢٣٤
 على بن عبد الله بن عباس ٥٣
 على بن عيسى ١٦١ ، ١٦٩
 على بن عيسى بن ماهان ٣٦ ، ٣٨ ، ١٠٧
 على بن محمد المدائنى ١٥٩
 على بن موسى ٦٢ ، ٦٧
 عليه بنت المهدي ٩٥ ، ١٠٦
 عمر بن بكير ١٣٢
 عمر بن الخطاب ٣٣ ، ٣٥
 عمر بن العباس ١٠١
 عمر بن مالك ٢٦٤
 عمرو بن عبيد ١٤٠
 عمرو الفزال ٨٩
 أبو حمير ٧٦
 عناق (خواجه) ٢٥٦
 عنان ٧٨ ، ٢٦٤

أبو عيسى الرشيد ٩٥

عيسى بن شهلاتا ٧١، ٧٢

عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس ٨١

عيسى بن فرخانشاه ٧٣

عيسى بن موسى ٥٤

(غ)

غازان ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧

الغزال ٨٩

غياث الدين ٢٢٨، ٢٤٩، ٢٥٠

(ف)

الفاخوري «شمس الدين» ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢

فخر الدين الدامغانى ٢١٤، ٢٢٢

الفخرى ٦٥

الفراء ١٢٦، ١٤٧، ١٧٨

فرج بن برقوق ٢٥١، ٢٥٦

الفرج بن فضالة ٤٥

فرجا ٢٥٤

الفضل بن خالد البرمكى ١٨

الفضل الرقائسى ٩٥

الفضل بن الربيع ٤٦، ٥٢، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ١٠١

الفضل بن سهل ٥١، ٥٧، ٦٢، ٦٣، ٨٣، ١١٢، ١٦٢

الفضل بن صالح ٥٥

أبو الفضل الضبي ١٤٦

الفضل بن مروان ٣٦

الفضل بن يحيى ٤١، ٤٢، ٨٢، ١٢٤

أبو الوفاء ٢٢٥ ، ٢٢٦

فيثاغورث ١٦٥

فيروز شاه ٢٥٠

(ق)

أبو قابوس ٧٣

قاران ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦

قباد بن إسكندر ٢٦٥ ، ٢٦٧

قرابرغا ٢١٤

القرماني ٢٥٢ ، ٢٧١

قرة باغ ٢٢٨ ، ٢٧٥

قرة عثمان ٢٦٩

قرة قويونلي ٢٤٣ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢

قرة قويونلي ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ،

٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢

قرة محمد التركماني ٢٤٥

قرة يوسف ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ،

٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤

قسطا بن لوقا ١٥٣

القفطي ١٧٣

قلم «جارية» ٧٧

قمر الدين خان ٢٥٠

قوتلوق شاه ٢١٩

قوم الدين النجفي ٢٤٥

قيس ٥٣

(ك)

ابن كثير ١١٣

الكسائي ١٣٠، ١٣١، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٧٨

كسرى ٣٥، ٥٧

كعب الأحبار ١٣٢

الكندي ١٢٢، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٦، ١٧٧، ١٧٨

كوهين العطار اليهودي ١٧١

كيخاتو ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٣١، ٢٣٤

(ل)

ابن أبي ليلى ١٣٥

(م)

ماري ٦٨

ما شاء الله ٧٣

مالك بن أنس ٩٢، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٥٧

الماصون ١٣، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٣٨، ٣٩

٤٠، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٥١، ٥٣، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٦٢، ٦٣، ٦٧، ٦٩

٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٥، ٨٢، ٨٤، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٤، ٩٦، ٩٧

١٠٣، ١٠٧، ١٠٨، ١١٠، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١٢٤، ١٢٦

١٢٧، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٥، ١٣٨، ١٤١، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥

١٤٦، ١٤٧، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٧، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣

١٦٤، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩

ماني ١٥٤

الماوردي ٤٣

المبارك ٢٠

المتوكل ١١٢، ١٤٥

منيم ٩٦

المثنى بن حارثة ٨
 مجد الدين أنير ٢٢١
 مجد الدين التبريزي ٢١٥
 مجد الملك ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٠
 محمد بن إبراهيم العلوي ٤١ ، ٤٢
 محمد بن إسحاق بن يسار ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨
 محمد بن إسماعيل البخاري ١٣٨ ، ١٣٩
 محمد بن أويس ٢٦٣
 محمد يركة ٢٤٩
 محمد بن الجهم البرمكي ١٧٩
 محمد بن الجوهري ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢
 محمد بن الحسن الشيباني ١٣٥ ، ١٣٦
 محمد بن الحضر ٢٧٥
 محمد بن خان ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤
 محمد الشريف ٢٧٢
 محمد ذي النفس الزكية ١١
 محمد الرف ٩٣
 محمد بن سعد ١٥٨ ، ١٥٩
 محمد السكوري ٢٢٣
 محمد بن عبد الملك الزيات ٣٢
 محمد عصار ٢٤٢
 محمد بن علي أبو جعفر ٦٧
 محمد بن عمر الواقدي ١٣٠ ، ١٥٧ ، ١٥٨
 محمد بن خازان ٢٥٨
 محمد الملك اليزدي بن صفى الملك ٢٦٦

محمد بن موسى الخوارزمي ١٦٥
 محمد بن موسى بن شاذان ١٥٣
 محمد ميزران بن يوسف ٢٧٧
 محمد بن واسع ١١١
 محمود بيك بن أوغرلو محمد ٢٧٦
 محمود شكري الألويسي ١٨١ ، ٢٣٦
 ابن محي الدين ٢٠٧
 مخارق ٩٤ ، ٩٦
 مراد بن أغا ٢٧٧
 مراد الرابع ٢٠٩ ، ٢٧٦
 مرجان «الخوارجة» ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢
 مرزا بن حسن الطويل ٢٧١ ، ٢٧٩
 مروان بن أبي حفصة ٨٨ ، ١٠١ ، ١١٥
 ابن أبي مریم ١٠١
 المستعصم ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢
 مسعود السبزواري ٢٤٦
 المسعودي ٥٢ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١١٤ ، ١٥٩ ، ١٦٤
 مسلم ١٣٨
 أبو مسلم الخراساني ٥١ ، ٥٣ ، ٦٥
 أبو مسلم الضبي ٥٢
 المسيب بن زهير بن عمر ٥٢
 مسيح ٢٧٣ ، ٢٧٦
 المشعشع ٢٧٥
 مصطفى بن محمد خان ٢٧٢ ، ٢٧٣
 المعتصم ٢٠ ، ٢٧ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٨ ، ٥٩

٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ١٠٩ ، ١١٠ ،
١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٩ ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٦٩

محمّر بن المثنى ١٤٦ ، ١٤٧

معن بن زائدة الشيباني ٥٢

مقاتل بن سليمان ١٣٢

المقرئ ٢٥٧

مقصود بيك ٢٧٣ ، ٢٧٤

مقلاص ٨

مكنونة (جارية) ٧٨

مكيكا ٢١٨ ، ٢٢٤

الملا ياسين ٢٥٩

المنصور «أبو جعفر» ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ،
١٨ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ،
٤٢ ، ٤٥ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٧١ ،
٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ،
١١١ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٤٠ ، ١٥٠ ، ١٥٦ ،
١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٦ ، ١٦٧

المنصور «حاكم بقلاده» ٢٤٢ ، ٢٤٣

منصور بن محمد القرينلي ٢٤٥

المهدي (العباسي) ١٧ ، ١٨ ، ٢٤ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٣ ،
٤٦ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٤ ،
٨٥ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٥ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ،
١١١ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٣ ، ١٤٦ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٦٢ ، ١٧٩

موسى بن الأمين ٥٥ ، ٥٦

أم موسى الحميرية ١٠٥

موسى خان ٢٣٠، ٢٣١

موسى بن شاكز ١٦٧، ١٧٨

أبو موسى المردار ١٤١

ميرخند ٢١٥، ٢٥٧

ميرزا ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٧٣، ٢٧٥

(ن)

ناصر الدولة ٢٢٨

ناصر (السلطان) ٢٢٨

نصر الله البغدادى ٢٥٨

ابن النديم ١٣٢، ١٣٥، ١٥٢، ١٥٩

النظام ١٤٢، ١٤٣

نظام الدين عبد المؤمن ٢٩٤

نظمى واده ٢٣٠، ٢٣١

النعمان بن ثابت «أبو حنيفة» ١٠

نعيم بن خازم ٥٧

نقفور فركاس ٣٦

أبو نواس ٩٨، ١٠١، ١٠٢، ١١٢، ١٤٨، ١٤٩

نوبخت ١٥١، ١٦١

نور الدين ٢٥٥

(هـ)

الهادى ٤٢، ٥٣، ٥٦، ٦١، ٦٨، ٧٥، ٨٥، ٨٩، ٩٥، ١٠٥، ١٠٦

١٠٧، ١١٠، ١٦٨

هارون «خواجه» ٢٢١

هارون الرشيد ١٣، ١٤، ١٨، ١٩، ٢٨، ٣٤، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٠

٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٥١، ٥٢، ٥٥، ٦١، ٦٢، ٦٤، ٦٧، ٦٩

٧٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ،
٩٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ،
١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ،
١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٦٨ ، ١٦٩

هاشم بن عبد مناف ٦

أبو الهذيل العلاف ١٤٢ ، ١٤١

هرثمة بن أعين ١٩

ابن هشام ١٥٦

ابن حلال ٢٧٥

همر ٢٥٧

هنري رولنسون ٨

هوار ٢٥٧

هولاكو ١٨١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ،
٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣١

الهيثم بن عدي ١٥٩

(و)

الوائق ٣٢ ، ٤٠ ، ٧٢ ، ٧٧ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٧٠

الواقدي ٦٧ ، ١٣٠ ، ١٥٧ ، ١٥٨

وجيه الدين بن زكريا ٢٤١

الوندبك ٢٧٢ ، ٢٧٧

وهب بن كثير ١٣٧

وهب بن منبه ١٣٢ ، ١٥٧

(ي)

يادكار محمد ٢٧١

يحيى بن البطريق ١٢٨ ، ١٥٤ ، ١٦٢

يحيى بن الحارث الدماري ١٣١

يحيى بن خالد البرمكي ١٨ ، ٣٧ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٨٢ ، ١٠٦ ، ١١٣ ، ١٣٥

يحيى السمناني ٢٤٥

يحيى بن عبد الله العلوي ٣٩

يحيى المكي ١٧٧

يزيد ٢١٦

يزيد بن حاتم ٣٨

اليزيدي ٢٤١

يعقوب بن داود ٥١ ، ٥٥ ، ٦٠

يعقوب الكندي ١٦٣

أبو يعقوب المورياني ٥٤

يعقوب بن ميرزا ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦

اليقوي ١١ ، ١٢ ، ١٣

يوحنا بن البطريق ٧١ ، ١٢٩ ، ١٥٢ ، ١٥٤

يوحنا بن ماسويه ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ١٢٩ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٦٩ ، ١٧٠

أبو يوسف ٣٣ ، ٣٤ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٦٦ ، ٧٤ ، ١٠١ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٣٣

١٣٤ ، ١٣٥

يوسف بن أوزون ٢٧٣ ، ٢٧٤

٢. الأماكن الجغرافية

(١)

الأبلة ٣٠ ، ٣١ ، ١٦٠

أتينا ٨

أجان ٢٦٣

أدرنة ٢٧٣

أذربيجان ٣١، ٢١٩، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٤٤، ٢٥١، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٥،
٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٦، ٢٧٧
أران ٢٧٥
أريل ٢٠٧، ٢٠٨
أربيل ٢١٩، ٢٥٩، ٢٧٠، ٢٧٦
أرجيش ٢٦٣، ٢٦٤
أرونكان ٢٦٢
أرضرم ٢٧٢
أرمينية ٧، ٣١، ٣٢، ٢٦٣
الإسكندرية ١٥٠، ١٦٧، ١٧٢، ١٧٩
آسيا ٣١
آسيا الصغرى ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٥٥، ٢٦٢
أشتر ٢١٩
أصبهان «أو أصفهان» ٣١، ٣٨، ١٣٧، ٢٧١، ٢٧٤، ٢٧٧
الاطاع «معركة» ٢٣٠
إفريقية ٣١، ٣٨
الأنبار ٦، ٤٢، ٢٠٨
أنطاكية ١٥٠
أنقرة ١٢٩، ٢٥١، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧
الأنطلس ٧٨
الأموار ١١، ٢٥، ٣٠
أوريا ١٦٥
إيران ٣١، ٢٧٧
باب البصرة ١١، ١٤
باب بغداد ٢٠٩

باب خراسان ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ٦٠

باب الذهب «قصر» ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢٠ ، ٤٥ ، ٨٠ ، ٨١

باب الشام ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٥

باب الطاق ١٨ ، ٣٠

باب الغربة ٢٤٠

باب الكوفة ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ٨٤

باب كلواذى ٢١١ ، ٢١٢

باب المهدي ٨٨

بابل ٧ ، ٢٠٧

بادوريا ٢٦

بايودد ٢٧٢

بيومرز ٢٣٧

بجلولي ٢٣٧

البحرين ١١ ، ٣٠

برج العجمي ٢٠٩ ، ٢١١

البردان ١٨ ، ٧٠ ، ٨٢

اليزل ٢٤٠

بستان خرينده ٢٢٧

بستان القس ٩

البصرة ٦ ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٦ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٩٦ ، ١٠٨ ، ١١٢ ،

١٣٠ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٦٦ ، ٢٥٥ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧١

بمقريا ٢٠٧ ، ٢١٤ ، ٢٣٧ ، ٢٥١

بغداد ٥ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ،

٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ،

٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ،

٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ،
 ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ،
 ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ،
 ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ،
 ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ،
 ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ،
 ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ،
 ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،
 ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ،
 ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ،
 ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ،
 ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ،
 ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ،
 ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ،
 ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ،
 ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ،
 ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ،
 ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ،
 ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨

بلغ ١٣٢

البغار ٧٦ ، ٢٤٨

البنديجين ٢٣٧ ، ٢٤٠

بيت الحرام ٢٣٧

بيت الحكمة ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٥١ ، ١٦٨

بيعة درب دينار ٧٠

بيعة درب القراطيس ٧٠

بيعة سمالو ٧٠
بيعة سوق الثلاثاء ٧٠
البيمارستان ٢٠٩
بيهر ٢٣٧

(ت)

التبت ٣٠
تراو ٢٥٢
تبريز ٢٣٥ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ،
٢٦٧ ، ٢٧٢
الترك ٣٠
تركستان ٢٦٢
تل ذي الفقار ٢٠٩
توقان ٢٧٢

(ث)

الثغور ٣١ ، ٣٣

(ج)

جامع مرجان ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١
الجبيل (أهل) ٣١ ، ٣٨
جرجانيا ٦
الجزيرة ٧ ، ٣١ ، ٢٤٤ ، ٢٦٦
جلولي ٢٤٠
الجماسية ٢٥٥
جنديسابور ٧١ ، ٧٢ ، ١٥٠ ، ١٦٨ ، ١٧٩
الجوبة ٢٣٧
جورك صو ٢٧٢

جيحون ٢٥٠

(ح)

الحبشة ٣٠

الحجار ١١، ٣١، ٨٤، ١٠٢، ١٣٦

الحرام ١٠٦

حران ١٥٠، ١٧٩

الحربية ١٦، ١٩

الحلة ٢١٤، ٢٢٥، ٢٥٥، ٢٥٦

حلوان ٣١، ٢٠٧

الحيرة ٦

(خ)

خان الجوارى ٢٣٧

خان الزاوية ١٣٧

خان مدارا ٢٣٧

خاناباد ٢٣٧

خراسان ١١، ١٢، ١٤، ١٥، ١٦، ٣١، ٣٦، ٥٣، ٥٧، ٦٠، ٦٣،

٧٧، ٨٠، ٨٢، ٨٤، ١١٥، ١٥٩، ١٧١، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٤،

٢٤٤، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٦٦، ٢٧١

الخرز ٣٠

خلاط ٢٦٣

الحلدة (قصر) ٨٠، ٩٠، ١١٣

خليج القارسي ٣١

(د)

دار دمشقى ٩٦

دار دينار الصفوى ١٨

دار دينار الكبرى ١٨
 دار الرقيق ٧٦
 دار الروم ١٨
 دار زينة ١٠٦
 دار السلام ٢١٥ ، ٢٣١ ، ٢٥٠ ، ٢٦٦
 دار الشفاد ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢
 دار صاحب الشرطة ١٨
 دار الطراز ٢٨ ، ١١٧
 دار المنصور ٨٨
 دار النكت ١٩
 الدجاج (نهر) ١٦ ، ٢٣
 دجلة ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١١ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣١
 ٧٠ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ١٠٤ ، ١٦٠ ، ٢٢٥ ، ٢٣٤ ، ٢٤٢ ، ٢٥٤
 ٢٦٥ ، ٢٧٤
 دجيل ١٦ ، ٢٣
 دحيم (تل) ٢٣٧ ، ٢٤٠
 درفول ٢٤٤
 دمشق ٥ ، ٨ ، ٢٨ ، ٩٠ ، ٢٥٦
 دولتآباد ٢٣٧
 ديار بكر ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧
 ديار ريعة ٣١
 ديار مضر ٣١
 دير أشمونى ٨٦
 دير الثعالب ٨٦

دير درمالس ٨٧

دير الزريقية ٨٧

دير الزنبرد ٨٧

دير صماليو ٨٦ ، ٨٧

دير العاصية ٨٧

دير المعجم ٢٧٤

دير قوطا ٧٠

دير المبعث ٢١٥

(ذ)

(و)

الرادهار ٢٤٠

رها ٢٦٣

الرحبة ١٢ ، ٣١

الرصافة ١٧ ، ١٨ ، ٢٣ ، ٣٠ ، ٦٩ ، ٧٦ ، ٨٢ ، ١٣٧ ، ١٥٧

الرقعة ٧ ، ٣١

الرها ١٥٠

الروم (بلاد) ٣١

(بلاد) الروم ٣١ ، ٣٨ ، ٧٦ ، ٩٨ ، ١٢٩ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ،

٢٥٥ ، ٢٦٢

روما ٨

الري ٩١ ، ٢٢٦

الرياض ١٨١ ، ٢٠٣

(ز)

زادمان ٢٣٧

زبطرة ١٠٩

الزوراء ٩ ، ٢١٩ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٢ ، ٢٧٦

(س)

سامرا ٢٠ ، ٤٥ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٩٦

سجستان ٢٥٠

سوندب ٣١

سكة الحرس ١٥

سكة الحكم بن يوسف ١٥

سكة الربيع ١٥

سكة صاعد ١٥

سكة العلاء ١٥

سكة نافع ١٥

السلام (مدينة) ٩ ، ٢٠ ، ٨٦ ، ٩٦

السلام (نهر) ٩

السلطانية ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٥٨ ، ٢٧٧

سلماس ٢٧٤

سلوكة ٧

سمرقند ٦٤ ، ٧٦ ، ١٢٤ ، ٢٤٤ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٦٦ ، ٢٧١

منجار ١٦٠ ، ١٦٣

السند ٣٠ ، ٣١ ، ٣٩ ، ٧٧ ، ١٧٩

السواد ٣٩ ، ٥٧ ، ٦٤ ، ١٥٩

سورية ٣١ ، ٣٢

سوق الأساكفة ٣٠

سوق البزلاين ٢٧

سوق الثلاثاء ١٨

سوق الخنارين ٣٠

سوق خضير ٣١
سوق السلطان ٢٥٩
سوق الصاغة ١٨ ، ٣٠
سوق الطيب ٣٠
سوق القصاين ٢٩ ، ٣٠
سوق الكرخ ١٩
سوق الوراقين ٣٠
سيواس ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٦٢

(ش)

الشام ٥ ، ٧ ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ٣١ ، ١٥٧ ، ٢٢٥ ، ٢٥٠ ، ٢٥٤

٢٥٦



الشامي (نهر) ٢١٥
شروان ٢٧٥
شستر ٢٤٤ ، ٢٥٩
شطر العرب ٢٥٥
شماخي ٢٧٥
الشماسية ١٨ ، ٨٢ ، ٨٦ ، ١٦٣
شهرزور ٢٤٤ ، ٢٦٢
شيراز ٢٤٥ ، ٢٦٧ ، ٢٧٧

(ص)

الصحن العتيق ١٣
الصراة ٧ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٢٤٠
الصراطين ٢٤
صقلية ١٣٦
الصين ٧ ، ٨ ، ٣٠ ، ١٦٠

(ط)

الطائف ٧٨

طابق (نهر) ٢٣

طوقان ٢٧٢

(ظ)

(ع)

العباسية ٢٤

العراق ٥ ، ٢٤ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٥٩ ، ٧١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ١٣٦ ،
١٣٧ ، ١٦٤ ، ١٥٧ ، ١٦٦ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣١ ، ٢٤٣ ،
٢٤٤ ، ٢٥٥ ، ٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧

العقاب ٢٥٤

عقروبول ٢٣٧

العقبي ٢٥٥

عمان ٣٠

عمورية ٥٨ ، ١٠٩ ، ١٢٩

عيسى (نهر) ١٧ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٢٣٧

عيسى باذ (قصر) ٨١

(غ)

غازان الأسفل ٢٢٥ ، ٢٢٦

غازان الأعلى ٢٢٥ ، ٢٢٦

غزة ١٣٦

غمرايا ٢٣٧

(ف)

فارس ١١ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٨٧ ، ١١٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧٧

الفرات ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٦ ، ٢٣ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٨٣ ، ٢١٥ ، ٢٢١ ، ٢٢٥

قرمان ٢٧٢

قم الصلح ٢٤ ، ١٥٩

(ق)

قاسان ١٣٧

القاطول ٢٣٧

قبة الخضر ١٢ ، ١٣ ، ٨٠

قرباغ ٢٥١

القسطنطينية ١٥٢ ، ٢٧٢

قصر الحسنى ٨٢

قصر أم جعفر ١٩

قصر جعفر بن يحيى البرمكى ١٧

قصر الجعفرى ٨٢

قصر الخلد ١٤ ، ١٩ ، ٢٠

قصر زينة ٨١

قصر السلام ١٣ ، ٨٠ ، ٨١

قصر السلامة ٨١

قصر الطين ١٨ ، ٨٢

قصر عيسى بن على ٨١ ، ١٦٩

القصيم ١٨١

قطيعة الحرب بن عبد الله ١٦

قطيعة الربيع بن يونس ١٦

قطيعة صالح بن منصور ١٦

قطيعة العباس بن محمد ١٥

قم ٣٨

قنلى ٢٢٨

قهرة المصيفة ٢٤١

(ك)

كابل ١٣٤

كربلاء ٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٤٦ ، ٢٧١

الكرج ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٦٥

الكرخ ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٧٦ ، ٩٨ ، ٢٧٤

كرخايا «نهر» ١١ ، ١٦ ، ٢٣

کردستان ٢٥٩

كرمان ٢٥٠ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠

الكش ٢٤٨ ، ٢٤٩

كشمير ٣١

الكعبة ١٠٦ ، ٢٤٩

كنهر رجاء ٢١٥

كنيسة دار الروم ٦٨

الكوفة ٦ ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢٦ ، ٣١ ، ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ،

١٤٩ ، ١٦٠

(ل)

(م)

ماردين ٢٦٢ ، ٢٦٦

مارراء النهر ٣٠ ، ٣٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٧١

المجر ٢٧٣

محلة الروم ٦٩ ، ٧٦

محلة المتابية ٢٧

المحول ٢٦

المخرم ٩

المدائن ٧ ، ٦٨
 المدرسة المرجانية ٢٣٩ ، ٢٤٠
 المدينة المنورة ١١ ، ٣٩ ، ٦٧ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨
 مراغة ٢٢٥ ، ٢٣١
 مرو ٣٢ ، ٨٢
 مسجد بغداد ١٣
 المشرق ٣٠
 مصر ٢٧ ، ٣١ ، ٣٩ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٦ ، ١٥٦ ، ٢٤٦ ، ٢٥٠ ، ٢٥٩
 ٢٧١ ، ٢٧٣
 المغرب ١١ ، ٣٠ ، ٣١
 مكة ٣٩ ، ٥٤ ، ٨٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١٥٧ ، ٢٣٧
 الملايو ٣١
 ملقا (جزيرة) ٣١
 المهدي (نهر) ٢٣ ، ٨٦
 الموصل ٦ ، ٣١ ، ٩١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣
 ٢٦٦

(ن)

نجد ١٨١
 النجف ٢١٥ ، ٢٣٤ ، ٢٧١
 نخجروال ٢٣١
 نصيبين ١٥٠ ، ٢٦٦
 نهر (عيسى) ٢٣٧

(هـ)

الهاشمية ٦
 حرارة ٢٣٧

هراة ٢٢٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٦٦

همدان ٣٨ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٧ ، ٢٢٥ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣

الهند ٢٦ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٨٣ ، ٩٨ ، ١٦٠ ، ١٨١ ، ٢١٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٠

الهندية (النهر) ٢١٥

(و)

واسط ١١ ، ٢٤ ، ٣١ ، ١١٤ ، ٢١٤ ، ٢٥٥

(ى)

اليمامة ١١ ، ٣٠

اليمن ٣١ ، ٣٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ١٠٨

اليونان ٩٢ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٦٠ ، ١٧٢ ، ١٨٠

٣. البطون والقبائل

(١)

الأتراك ٥ ، ٢٠ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨

٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ١٠٩ ، ١٨١ ، ٢٥٤ ، ٢٩٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦

الأركاونية ٢١

الأرمن ٧٧ ، ٢٦٣

بنو إسرائيل ١٨٠

الأشراف ٨٣ ، ٨٤ ، ١٠٢ ، ١٥٩

الأشعريون ٥٤

الإغريق ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩

بنو الأغلب ٧٨

الأمويون ٥ ، ٢٤ ، ٢٨

بنو أمية ٥ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٨٤ ، ٩٠ ، ١٠٩ ، ١٢١

١٣٣ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٧٩

الأنصار ١٥ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ١٣٧

الأويرات ٢٣٠، ٢٣١، ٢٥٦

الإيراني ٦

الإيلخانيين ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٣

(ب)

البيكتجية ٢١٠

البرامكة ١٨، ٢٠، ٣٤، ٣٦، ٤٠، ٥١، ٥٢، ٥٥، ٥٦، ٦١، ٦٢،

٦٥، ٧٢، ٨١، ٨٢، ٩٥، ١٠٠، ١٠١، ١٢٨، ١٥٣، ١٧١

البربر ٧٥

البصريون ١٤٧

البيخاديهون ٩٩، ٢١٢، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥٤

البهارلية ٢٦٣

البيزنطيون ٥، ٣٦، ٧٠، ٧١، ٧٤، ١٢٦، ١٢٨، ١٥٢

(ت)

التبريزيون ٢٥٦، ٢٥٧

التر ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٢٩، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٥

التركماني ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٦٧، ٢٧٥

القيمور ٢٦٦

(ث)

ثمود ١٥٦

(ج)

جديس ١٣٧

الجراكسية ٢٧٣

(ح)

الحربية ١٦، ١٩

الحنابلة ١٠٤

(خ)

الحراسانيون ١٥٢ ، ٥٤ ، ١٥٩
الخوارج ٣٨ ، ٢٣٠

(د)

الداذشمريه ٢١٠

(ذ)

أهل اللغة ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٩ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ،
١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٧٨ ، ٢٢٤

(ر)

الراوندية ٥٢

ربيعة ١٥ ، ٥٤

الروس ٣٢

الروم ١٨ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٥٨ ، ٦٨ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ١٠٩ ، ١٢٩ ،
٢٥١ ، ٢٥٢

الرومان ١٦٦

(ز)

الزنادقة ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٤

(س)

الساسانيون ٨ ، ٣٠

السريانية ١٢٢ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٨

السلف ٤٧

السنة ٥١ ، ١٤٣

بنو سهل ٦٢ ، ٦٥ ، ١٥٣

السراد ١٥٩

السودانيات ٧٧

(ش)

شعبة ٦، ٥١، ٦٠، ٦٢، ٦٦، ٦٧، ١٠٩، ٢١٣

(ص)

الصائين ٣٥

الصاحبة ١٦

الصقالبة ٧٦، ٧٩

الصرفية ٢٧٥

(ض)

(ط)

الطاليون ٦٧

طسم ١٣٧

(ظ)

(ع)

عاد ١٥٦

العباسيون ٥، ٦، ١١، ١٣، ١٦، ١٨، ٢٠، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٢٨،
٢٩، ٣٢، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٩،
٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٣، ٦٤، ٦٦،
٦٧، ٦٩، ٧٠، ٧٥، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦،
٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٤، ٩٦، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٨، ١٠٩، ١١٢، ١١٥،
١٢١، ١٢٢، ١٢٧، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٦، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٧،
١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٥، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٦،
١٧٨، ١٨١، ٢٠٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٥٥

آل عثمان ٢٤٦، ٢٥٤

المعجم ٥٢، ١٠٩، ١١٠، ١٢١، ١٢٢، ١٥٩، ٢٥٠، ٢٧٣

العراقيون ٢٥٤

العرب ٥، ٦، ٧، ٨، ١٥، ٣١، ٤٩، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦

٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٧١، ٧٤، ٧٥، ٧٨، ٨٧، ٩٢، ٩٤،
٩٨، ١٠٩، ١١٦، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٨، ١٣٠، ١٣١، ١٣٩، ١٤٥،
١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٠، ١٥١، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧،
١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٣، ١٧٥،
١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ٢٢٧، ٢٣٦

العشرين ٦، ١١، ٢٠، ٣٨، ٥٧، ٦٠، ٦١، ٦٣، ٦٦، ٦٧، ٢١٠،
٢٢٥

المعاليق ٢٤٨

(ف)

الفرس ٥، ٨، ١٢، ٢٨، ٤٩، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٦٠،
٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٨٣، ٨٧، ٩٠، ٩٨، ١٠٩، ١٢١،
١٢٤، ١٢٨، ١٤٦، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٦، ١٦١، ١٦٤،
١٦٦، ١٧٨، ١٧٩، ٢٢٧، ٢٥٦

(ق)

قرش ١٥، ٥٣، ٥٥، ١٥٧، ١٥٩،
قيسة ٥١

(ك)

كنة ١٦٦
الكوفيون ١٢٦، ١٤٧

(م)

المالكية ١٣٦

للمأمونية ١٦٠

المتكلمون ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٥٤، ١٥٥

المجوس ٣٥، ٦١، ١٤١، ١٤٢، ٢٢٤

المسلمون ٣٣، ٥١، ٦٦، ٦٩، ٧٠، ٧٤، ٧٥، ٨٦، ٨٩، ١٢٢، ١٢٩

١٣٠ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٥ ،
١٨٠ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨

المسيحيون ٦٨ ، ٧٣ ، ٨٦ ، ١٧٥ ، ١٨٠ ، ١٨١

مضر ١٥ ، ٥٤

المعتزلة ١٢٨ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥

١٤٦

المغريبات ٧٧

المغول ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ،
٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٣١ ، ٢٦٣

الممالك ٢٥١ ، ٢٧٣

الموالي ١٩ ، ١٢١

(ن)

النساطرة ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥

النصارى ٣٥ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١١٦ ، ١٣٢ ،
١٣٨ ، ١٥٦ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٥٢ ، ٢٦٣

(هـ)

بنو هاشم ١٩ ، ٤٢ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٨١ ، ١٠٩ ، ١١٤ ،
١١٥ ، ١١٧ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣٦

الهنديات ٧٦ ، ٧٩ ، ١٥٠

الهنود ١٥٠ ، ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧٨ ، ١٧٩

(و)

الوثية ٢٣٠

(ي)

يمينة ٥١ ، ٥٤

اليهود ٣٥ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ١٣٢ ، ١٣٨ ، ١٤٦ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ،
١٨٠ ، ١٨١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٣٧ ، ٢٤١

اليونانيون ٧١، ٧٤، ١٢١، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٥٠، ١٥١،
١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٦، ١٧٥، ١٧٨،
١٧٩، ١٨٠

٤- الآيات

سورة الأنعام ٩
سورة فاطر ٢٤٠
سورة مريم ١٤٥
سورة النساء ١٤٥

٥- الأحاديث

ابن آدم
إذا مات ٢٣٦
لا يرث أهل الملتين ٧٥
٦- الأشعار

تبارك ٢٤١
دريغ روضة ٢٣٥
فاحى ربوع ٢٤١
فانى رايت ٢٦٤
ففى كل ٢٤١
فكان بهلا ٢٤٠
قلم أرحضا ٢٦٤
لا تأمن ١١١
فهنيئا لكما ١٠٢
قد رمى ١٠٢
من كان ٢٦٤
موارده ٢٦٤

نرجو النجاة ١١١

هنيئاً له ٢٤١

وأصغر من ٤٣

وأن هيئته ٢٦٤

وعلى بن سليمان ١٠٢

وعم بأن ١١١

وفيه روى ٢٤١

يزيد على ٤٣

يسأل هههه ٢٣٥

٧- الكتب الواردة في النص

الأثار العلوية ١٥٤

أخبار الخلفاء ١٥٩

أخبار الدول ٢٤٨

أخبار العرب ١٥٩

أخبار قريش ١٥٩

أخبار مكة ١٥٧

الأدب الصغير ١٧٩

الأدب الكبير ١٧٤ ، ١٧٩

الأركان ١٦٦

الأسدية ١٣٦

الأصول ١٦٦

الأغاني ٩٢ ، ٩٨

الآلات الموسيقية الآلية ١٧٨

الف ليلة ١٧٩ ، ١٨٠

الأنجيل ١٥٧

| | |
|------------------------|-----------------------------|
| أنساب الأشراف | ١٥٩ |
| أنيس الأشواق | ٢٤٢ |
| الإيقاع | ١٧٧ |
| البداية والنهاية | ١١٣ |
| البيان والتبيين | ١٤٨ |
| بيوتات العرب | ١٥٩ |
| بيوتات قريش | ١٥٩ |
| التاج | ١٤٨ ، ١٧٩ |
| تاج العروس | ٢٢٧ |
| تاريخ بغداد | ٢٥٩ |
| تاريخ الطبري | ١٥٨ |
| تاريخ المعجم وبنى أمية | ٢٧٨ |
| تاريخ ابن العبري | ٢١٢ |
| تاريخ الفرس | ١٧٨ |
| تاريخ فتح المغول | ٢١٥ |
| تاريخ ابن قتيبة | ١٤٨ |
| تاريخ المغول | ٢٢٥ |
| التاريخ والمغازي | ١٥٧ |
| التبصر | ١٤٨ |
| التذكرة | ١٦٨ |
| تفسير أبو بكر الأصم | ١٣٣ |
| التوراة | ١٥٦ |
| الجامع | ١٣٥ |
| الخواصر الإسلامية | ٥ |
| الحيوان | ١٤٢ ، ١٤٨ ، ١٥٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ |

الخراج ٤٧ ، ١٣٣
خلق القرآن ١٤٨
دائرة المعارف ٢٢٧
الرايات ٣٧
الرد على مالك بن أنس ١٣٥
الرد على النصارى ١٨٠
الرسالة ١٣٧
روضة الصفاء ٢١٥
الزكاة ١٣٥
السند هند ١٥٠ ، ١٦١
سيرة ابن إسحاق ١٤٠ ، ١٥٧
سيرة أنوشروان ١٤٧ ، ١٧٩
سيرة ملوك الفرس ١٧٩
صورة الأرض ١٦٥
الصيام ١٣٥
الصيدلة ١٧١
الطبقات ١٥٧
طبقات الشعراء ١٤٨
الطبقات الكبرى ١٥٨
طسم وجريس ١٣٧
عقد المتلاني ١٨١
عملة البيان ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٧٧
عيون الأخبار ١٤٨
فتوح الشام ١٥٧
فتوح العراق ١٥٧

الفخرى في الآداب السلطانية ٢٧

الفرائض والحدود ١٣٥

فضائل الانتصار ١٣٧

الفهرست ١٥٩

الفوز بالمراد في تاريخ بغداد ٥

في العالم ١٥٤

القراءات ١٣١

كتاب إقليدس ٧١، ١٥٠

كتاب التاريخ ١٤٧

كتاب الدولة ١٥٩

كتاب مزدك ١٤٧

كليلة ودمنة ١٤٧، ١٥٠، ١٧٩

اللطائف ٢٤٢

ما حالف الكسائي فيه ١٣٠

المبوط في الفقه ١٣٦

للحبسلى ٧١، ١٥٠، ١٥٢، ١٦٢

مجمع الفصحاء ٢٤٢

مختصر النحر ١٣١

مختصر الدول ٢١٥، ٢٣١

مزدك ١٧٩

للخروطات ٧١

المسالك والممالك ١٦٠

المسند ١٣٧، ١٣٨

مطلع السنين ٢٥٧

المعارف ١٤٨، ١٨٠

- معاني القرآن ١٣١
 المغازي ١٥٨
 المفضليات ١٤٦
 مقتل الحسين ١٥٧
 مقلة ابن خلدون ٧
 مقطوع القرآن وموصوله ١٣١
 مناقب الشافعي ١٣٧
 منتج المرتاد ٢٣١ ، ٢٥٥
 المنتخب ٢٤٨
 مهر ومشتري ٢٤٢
 الموطأ ١٣٦
 النبات ١٤٨
 غزول العرب بخراسان ١٥٩
 النغم ١٧٧
 النفس ١٥٤
 نهاية الأدب ١٨١
 النوادر الأصغر ١٣١
 النوادر الأوسط ١٣١
 النوادر الكبير ١٣١
 وجه الأرض ١٦٠
 وصف نظم الفرس ١٧٩
 اليتيمة ١٧٩



المصادر والمراجع

١- المخطوطات

- ١- البرادى (ت ٦٩٧)
أبو القاسم بن إبراهيم البرادى -
رسالة فى ذكر كتب الأباضية
دار الكتب المصرية ب ٢١٧٩١.
- ٢- ابن حبيب الدمشقى (ت ٧٧٩)
يذكر الدين أبو محمد الحسن بن عمر الحلبي:
جبهة الأخبار فى ملوك الأمصار
دار الكتب المصرية تاريخ ١١٥٤.
- ٣- السيوطى (ت ٩٩١)
جلال الدين السيوطى
استقاء الملوك
رسالة بمعهد المخطوطات العربية
تاريخ ١٣٥٤
دار الكتب المصرية تاريخ ٥٢٥
- ٤- ابن عبد البر (ت ٤٦٢هـ)
أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد
البر:
الانتقاء فى فضائل الفقهاء الأئمة الثلاثة
دار الكتب المصرية.
- ٥- القضاوى (ت ٤٥٤)
أبو عبد الله محمد بن سلامة:
حيون المعارف وفنون أخبار الخلايف
دار الكتب المصرية - تاريخ ١٧٧٩،
تاريخ مملكة الأغالبة.
- ٦- ابن وردان
دار الكتب المصرية - تاريخ تيمود ٢١٩٩.

٢- المصادر المطبوعة

- ١- ابن الأثير (ت ٦٥٨هـ)
أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر
القضاعي:
الحلة السراء
جزآن.
تحقيق الدكتور حسين مؤنس - القاهرة
١٩٦٣م.
- ٢- ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)
أحمد بن أبي الضياف
محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد
الواحد الشيباني:
المكمل في التاريخ
دار صادر - بيروت ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
اللباب في تهذيب الأسباب
تحقيق د. مصطفى عبد الواحد - القاهرة
١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
- ٤- الإدريسي (ت ٥٥٨هـ)
إنحاف أهل الزمان بأخبار تونس وعهد
الآمان:
تونس ١٩٦٣م.
أبو عبد الله محمد بن محمد بن إدريس
الحموي:
نزهة المشتاق في اختراق الآفاق
نابولي - روما ١٩٥١م.

- ٥- الأزدي (ت ٤٨٨)
 محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله
 الأزدي:
 جنوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس
 القاهرة ١٩٦٦ م.
- ٦- الأمدى (ت ٢٧٠)
 أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدى:
 الملتقى والمختلف
 تصحيح وتعليق الدكتور ف. كرنكو بيروت -
 ١٩٨٢ م.
- ٧- الأنبارى
 عبد الرحمن بن محمد الأنبارى:
 نزهة الألباء
 تحقيق إبراهيم الأيبارى
 القاهرة - ١٩٨٣ م.
- ٨- الباجى المسعودى (ت ١٢٥٢ هـ)
 أبو عبد الله محمد الباجى المسعودى:
 الخلاصة النقية في أمراء إفريقية
 تحقيق محمد يرم
 تونس - ١٣١٥ هـ - ١٨٩٧ م.
- ٩- البكرى (ت ٤٦٠)
 أبو عبيد الله بن عبد العزيز:
 المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب باريس
 - ١٩١١ م.
- ١٠- البلاوى (ت ٢٧٩)
 أحمد بن يحيى بن جابر:
 أنساب الأشراف
 الجزء ١٠ تحقيق جريفرز فالدسن - ١٨٨٣ م.
- ١١- التجانى (ت ٧١٧ هـ)
 أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد
 التجانى:
 رحلة التجانى

تقديم الدكتور حسن حسنى عبد الوهاب

تونس ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م.

شمس الدين أبى الخير محمد بن محمد بن
الجزرى

١٢- الجزرى (ت ٨٢٢)

غاية النهاية فى طبقات القراء

جزآن - نشرة ج. بريستراسر

بيروت - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

شهاب الدين أحمد بن على بن محمد:

١٢- ابن حجر (ت ٨٥٢)

لسان الميزان

دار المعارف النظامية - الهند - ١٣٢٩هـ.

تهذيب التهذيب

دار المعارف النظامية - الهند - ١٣٥٢هـ.

أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم
الاندلسي:

١٤- ابن حزم (ت ٤٥٦)

جمهرة أنساب العرب

تحقيق عبد السلام محمد هارون

دار المعارف - القاهرة ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.

جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى

تحقيق إحسان عباس

دار المعارف - القاهرة - بدون تاريخ.

١٥- العميرى (ت القرن التاسع الهجرى) محمد بن عبد الله بن المنعم:

صفة جزيرة الاندلس

تحقيق لبقى بروفنسال القاهرة - ١٩٣٧م.

أبو مروان حيان خلف بن حسين بن حيان

١٦- ابن حيان (ت ٤٦٩هـ)

بن محمد:

المقتبس من أنباء أهل الأندلس
تحقيق وتقديم الدكتور محمود على مكى
القاهرة ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م.

١٧- ابن خاقان

أبو الفتح بن خاقان محمد بن عبد الله
القيسى:

مطمح الأنفس ومسرحة الناس
قسنطينية - تركيا - ١٣٠٢هـ.

١٨- الخزرجى (ت ٩٢٢هـ)

صفى الدين أحمد بن عبد الله الخزرجى
الأنصارى:

خلاصة تلهيب الكمال فى أسماء الرجال
بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٩- الحشنى (ت ٣٦١هـ)

أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد
الحشنى:

قضاء قرطبة وعلماء إفريقية

نشر وتصحيح السيد عزت العطار القاهرة
١٣٧٣هـ.

٢٠- ابن الخطيب (ت ٨٤٠هـ)

لسان الدين محمد بن الخطيب السليمانى:
أعمال الأعلام

الجزء الثالث

تحقيق أحمد مختار العبادى
الدار البيضاء - المغرب - ١٩٦٤م.

الإحاطة فى أخبار غرناطة
تحقيق محمد عبد الله عنان - الخالجي
القاهرة ١٩٧٧.

٢١- ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)

عبد الرحمن بن محمد:

العبير من ديوان المبتدأ والخبر

بولاق - القاهرة ١٢٨٤هـ.

المقدمة

دار الشعب - القاهرة ١٩٦٨م.

أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن

أبي بكر:

وقبات الأعيان

تحقيق محمد بن محي الدين عبد الحميد

القاهرة - ١٩٤٨م.

تاريخ خليفة بن خياط:

جزآن

تحقيق سهيل زكار

المعرق - ١٩٦٨م.

أبو المتبحر ناصر بن عبد السيد بن علي

المطرزي:

المغرب في ترتيب المغرب

دائرة المعارف النظامية - ١٣٢٨هـ.

أبو بكر الأشبيلي محمد بن خيز بن عمران:

المهرسة

جزآن

مدينة سرقسطة ١٨٩٣م.

شمس الدين محمد بن علي بن أحمد:

طبقات القسرين

جزآن

تحقيق الدكتور علي محمد عمر.

٢٢ - (ابن حلكان) (ت ٦٨١هـ)

٢٣ - خليفة بن خياط (ت ٢٤٠)

٢٤ - (الخوارزمي) (ت ٦١٦هـ)

٢٥ - ابن خيبر

٢٦ - الداودي (ت ٩٢٢هـ)

٢٧- اللبغاغ (١٩٩٦هـ)

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله
الأنصاري:

معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان
تحقيق الدكتور محمد الأحمدى أبو النور
د. محمد ماضور
تونس - ١٩٦٤م.

٢٨- الدميرى (ت ٨٠٨هـ)

كمال الدين محمد بن موسى الدميرى:
حياة الحيوان

تقديم الدكتور حسن فوج زين الدين
القاهرة - ١٩٦٥م.

٢٩- ابن أبي ديثار (ت ١٠٩٢هـ)

أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني

القيرواني
المؤرخ في أخبار إفريقيا وتونس

تحقيق محمد شمام - تونس - ١٩٦٧م.

٣٠- الدولادري

أبو بكر بن عبد الله بن أيك الدولادري:

الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية

تحقيق صلاح الدين المنجد

القاهرة ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.

٣١- الذهبي (ت ٧٤٨هـ)

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن
قايماز:

دول الإسلام

تحقيق فهد محمد شلتوت - محمد مصطفى

إبراهيم

القاهرة - ١٩٧٤م.

ميزان الاعتدال في نقد الرجال

تحقيق على محمد البجاوي
القاهرة ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.

العبر في خير من غير
تحقيق صلاح الدين المنجد
الكويت ١٩٦٠م.
تذكرة الحفاظ

تحقيق السيد مصطفى على
دائرة المعارف النظامية - الهند بدون تاريخ

٢٢- الرقيق القيرواني (ت النصف الأول) إبراهيم بن القاسم القيرواني
من القرن الخامس الهجري

تاريخ إفريقية والمغرب
تحقيق وتقديم للنجى الكعبي
تونس - ١٩٦٨م.

٢٣- الزبيدي (ت ١٢٩٩)

مجمع بن الحسن الزبيدي:
طبقات اللغويين والنحويين.

٢٤- السبكي (ت ٧٧١هـ)

عبد الوهاب بن هلى بن عبد الكافي:
طبقات الشافعية

تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو
القاهرة - ١٣٨٣هـ.

٢٥- ابن السراج (ت ١١٤٩م)

محمد بن محمد الأندلسي:
الحلل السندسية في الأخبار التونسية
تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة
تونس - ١٩٦٧م.

٢٦- (ابن سعد (ت ٢٢٠)

محمد بن سعد بن منيع البصري:
الطبقات الكبرى
تحقيق إحسان عباس

دار صادر - بيروت - ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.

على بن موسى بن عبد الملك:

المغرب في حلى المغرب

جزآن

تحقيق الدكتور شوقي ضيف

دار المعارف - القاهرة - ١٩٧٨م.

أبو عبد الله محمد بن أبي محمد:

في آداب الحسبة

مطبعة باريس - ١٩٣١م.

أحمد بن خالد الناصري:

الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى

الذير البيضاء - المغرب ١٩٥٤م.

أبو محمد يوسف بن الحسن السيرافي:

أخبار التحريين البصريين.

جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر

الشافعي:

تاريخ الخلفاء

تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد

القاهرة - ١٩٦٧.

حسن المحاصرة في تاريخ مصر والقاهرة

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

القاهرة - ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة.

جزآن

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

٢٧- ابن سعيد المقرئ (ت ٦٧٢هـ)

٢٨- السقطي

٢٩- السلاوي (ت ١٣١٩هـ)

٤٠- السيوطي (ت ٢٨٥هـ)

٤١- السيوطي (ت ٨١١هـ)

- القاهرة - ١٣٢٥ هـ.
- ٤٢ - الشعراني: عبد الوهاب الشعراني:
الطبقات الكبرى:
جزآن
القاهرة - ١٢٨٦ هـ.
- ٤٣ - الشماخي (ت ٩٢٨ هـ): أحمد بن سعيد بن عبد الواحد:
السير
لقاهرة - بدون تاريخ.
- ٤٤ - الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ): أبو إسحاق الشيرازي إبراهيم بن علي بن يوسف:
طبقات الفقهاء
بغداد ١٣٥٦ هـ.
- ٤٥ - الصفدي (ت ٧٦٤ هـ): صلاح الدين بن أيك الصفدي:
الوفيات بالوفيات
إستانبول - تركيا - ١٩٣١ هـ.
- ٤٦ - الضبي (ت ٥٩٩ هـ): أحمد بن يحيى بن أحمد بن حميرة:
الملتصق في تاريخ رجال الأندلس
القاهرة - ١٩٦٦ م.
- ٤٧ - الطبري (ت ٣١٠ هـ): محمد بن حرير الطبري:
تاريخ الرسل والملوك
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
دار المعارف - القاهرة - ١٩٧٨ م.
- ٤٨ - ابن عبد البر (ت ٤٦٢ هـ): أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر:
الاستذكار
الجزء الأول

- تحقيق علي النجدي ناصف
الأهرام التجارية - القاهرة - ١٣٩١هـ -
١٩٧١م.
- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء
القدسى - القاهرة - ١٣٥٠هـ،
أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم:
سيرة عمر بن عبد العزيز
تحقيق أحمد عبيد
القاهرة - ٣٧٣هـ - ١٩٥٤م
أحمد بن محمد:
العقد الفريد
تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم
الأيبارى.
القاهرة - ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م.
- ٤٩- ابن عبد الحكم (ت ٢١٤هـ)
٥٠- عبد ربه (ت ٣٢٧هـ)
٥١- العبدري
أبو عبد الله محمد بن محمد بن العبدري:
رحلة العبدري
تحقيق محمد الماسى
قاس - العرب - ١٩٦٨م.
- ٥٢- ابن هذراى (ت نهاية القرن السابع محمد بن عذارى المراكشى:
البيان للمغرب فى أخبار المغرب
بيروت - ١٩٥٠م.
- ٥٣- أبو العرب (ت ٣٢٢هـ)
محمد بن أحمد بن تميم:
طبقات علماء إفريقية
تحقيق محمد بن أبى شنب
الجزائر ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م.

- ٥٤- ابن العماد (ت ١٠٨٩هـ)
أبو الملاح عبد الحى بن العماد الحنبلى:
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب
القدس - القاهرة - ١٣٥٠هـ.
- ٥٥- القاضى عياض (ت ٥٤٤)
أبو الفضل عياض بن موسى السبتي:
ترتيب المدارك وتقريب المسالك
لتحقيق أئمة بكير محمود
٤ أجزاء
بيروت - ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م
- ٥٦- أبو الفد (ت ٧٣٢هـ)
إسماعيل بن نور الدين على بن جمال الدين
محمد:
للمختصر فى أخبار البشر
٤ أجزاء
القاهرة - ١٢٨٦هـ..
- ٥٧- ابن فرحون (ت ٧٩٩)
برهان الدين إبراهيم بن على بن محمد ابن
فرحون:
الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء
إفريقية
بيروت - بدون تاريخ
- ٥٨- ابن الفرضى (ت ٢٠٤)
أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف:
تاريخ علماء والرواة للعلم بالاندلس
القاهرة - ١٩٦٦م.
- ٥٩- القابسى (ت ٤٠٢هـ)
أبو الحسن على بن محمد بن خلف:
الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين
تحقيق أحمد فزاد الأهرانى
القاهرة - ١٩٥٥م.

٦٠- ابن قتيبة (ت ٢٣٦هـ)

أبو محمد عبد الله بن مسلم:
المعارف

تحقيق ثروت عكاشة

دار المعارة - القاهرة - ١٩٦٩م.

أبو العباس أحمد:

صبح الأعشى فى صناعة الإنشا

القاهرة - ١٩٢٢م.

٦١- القلقشندي (ت ٨٢١هـ)

محمد بن عمر بن عبد العزيز:

تاريخ افتتاح الأندلس

تحقيق عبد الله أنيس الطباع

بيروت - ١٩٦٨م.

٦٢- ابن القوطية (ت ٣٦٢هـ)

عمر بن محمد بن يوسف الكندي:

قصائل مصر

٦٣- الكندي (ت ٢٥٠هـ)

تحقيق د. إبراهيم أحمد العدوى وعلى

محمد عمر

القاهرة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

الولاية والقضاء

تحقيق زفن كست

لبنان - ١٩٠٨م.

الموطأ

٦٤- مالك بن أنس

تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي

القاهرة - ١٩٦٨م.

٦٥- المالكي (ت نهاية القرن الرابع عبد الله بن أبي عبد الله:

رياض النفوس

الهجري)

تحقيق د. حسين مؤنس

الجزء الأول

القاهرة - ١٩٥١ م.

العيون والحدائق في أخبار الحقائق

٦٦- مجهول

تحقيق نبيلة عبد المتعم داود.

العراق - ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.

٦٧- مجهول (ت القرن السادس الهجري) الاستبصار في عجائب الأمصار

تحقيق د. سعد زغلول عبد الحميد

الإسكندرية - ١٩٥٨ م.

جمال الدين بن يوسف بن تغري بردي:

٦٨- أبو المعاشن (ت ٨٧٤)

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة

القاهرة - ١٩٦٣ م.

آداب المعلمين

٦٩- محمد بن سحنون (ت ٢٥٦ هـ)

تحقيق حسن حسني عبد الوهاب

القاهرة - ١٩٥٥ م.

محيى الدين أبو محمد بن عبد الواحد بن

٧٠- المراكشي (ت ٦١٢)

على التميمي:

للمعجب في تلخيص أخبار المغرب

تحقيق محمد سعيد العربيان

القاهرة - ١٩٤٩ م.

علي بن الحسين بن علي:

٧١- السهودي (ت ٢٤٦ هـ)

مروج الذهب

تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد

القاهرة ١٩٦٤ م.

شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ

٧٢- المقرئ (ت ١٠٤١ هـ)

التلمساني.

فتح الطيب عن غصن الأندلس الرطيب
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد
القاهرة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٩ م.

٧٢- الباهي (ت ٧٩٢ هـ)

أبو الحسن بن الحسن النباهي الملقب:
تاريخ قضاة الأندلس
تحقيق ليفي بروفنسال
القاهرة - ١٩٤٨ م.

٧٣- ابن النديم (ت ٣٧٨ هـ)

محمد بن إسحاق النديم:
الفهرست

بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

٧٥- القاضي النعمان (ت ٤١١ هـ)

النعمان بن محمد:
رسالة افتتاح الدعوة
تحقيق ولاد القاضي
لبنان - ١٩٧٠ م.

٧٦- (النوى) (ت ٦٧٦ هـ)

أبو زكريا يحيى بن شرف النوى:
تهذيب الأسماء واللغات
جزآن
القاهرة - ١٩٤٨ م.

٧٧- النويري (ت ٧٣٢ هـ)

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب
النويري:
نهاية الأرب في فنون الأدب
الجزء ٢٤

تحقيق د. حسين نصار
مراجعة د. عبد العزيز الأهواني
القاهرة - ١٩٨٢ م.

- ٧٨- اليافعي (ت ٧٦٨هـ)
أبو محمد عبد الله بن سعد بن علي بن
سليمان:
مرآة الجنان
دار المعارف النظامية - الهند - ١٣٣٧هـ.
- ٧٩- ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)
شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت:
معجم البلدان
القاهرة ١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م.
- ٨٠- يحيى بن همر (ت ٧٨٩هـ)
النظر والأحكام في جميع أحوال السوق
تحقيق حسن حسني عبد الوهاب
مراجعة فريحات المشراوي
تونس - ١٩٧٥م.
- ٨١- اليعقوبي (ت ٢٨١هـ)
أحمد بن أبي يعقوب بن واضح:
البلدان
لندن - ١٨٩٠م.

٣- المراجع

- ١- الدكتور إبراهيم أحمد العنوي
الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط
القاهرة - ١٩٥١ م.
- ٢- إبراهيم زكي خورشيد
دائرة المعارف الإسلامية
دار الشعب - القاهرة - ١٩٦٣ م.
- ٣- إبراهيم العبيدي التورزي
تاريخ التربية في تونس
الجزء الأول
تونس - ١٩٦٧ م.
- ٤- إبراهيم علي طرخان
المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى
القاهرة - ١٩٦٦ م.
- ٥- إحسان صباغ
المرحلة في عقلية
دار المعارف - القاهرة - ١٩٥٩ م.
- ٦- أحمد أمين
ظهر الإسلام
القاهرة - ١٩٦٦ م.
- ٧- أحمد مصطفى الله
خصي الإسلام
القاهرة ١٩٦٩ م.
- ٨- أحمد هكري
القاموس الإسلامي
القاهرة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.
- مسجد القيروان
القاهرة - ١٩٣٥ م.
- آثار تونس الإسلامية
تونس - ١٩٥٨ م.

- ٩- أحمد فؤاد الأهواني
التربية في الإسلام
دار المعارف - القاهرة ١٩٧٣ م.
- ١٠- د. أحمد مختار العبادي
في تاريخ المغرب والأندلس
إسكندرية ١٩٧٣ م.
- ١١- ارشيبالد تويس
القوى البحرية والتجارية في حوض البحر
المتوسط
- ١٢- أمين الخولي
ترجمة أحمد عيسى
القاهرة - ١٩٦٩ م.
- ١٣- بطرس البستاني
الإمام مالك
القاهرة - ١٩٥٧ م.
- ١٤- الحبيب الجنتعاني
دائرة المعارف الإسلامية
بيروت - ١٨٨٧ م.
- ١٥- د. حسن إبراهيم حسن
القيروان
تونس - ١٩٦٨ م.
- ١٦- د. حسن أحمد محمود
تاريخ الإسلام السياسي
القاهرة - ١٩٧٣ م.
- ١٧- د. حسن حسني عبد الوهاب
انتشار الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا
الجزء الأول
القاهرة - ١٩٥٨ م.
- ١٨- د. حسن حسني عبد الوهاب
خلاصة تاريخ تونس
تونس - ١٩٧٦ م.
- ١٩- د. حسن حسني عبد الوهاب
شهرات التونسيات
تونس - ١٣٥٣ هـ.
- ٢٠- د. حسن حسني عبد الوهاب
خلاصة تاريخ تونس
تونس - ١٩٧٦ م.

- شهرات التونسية
تونس - ١٣٥٣هـ -
الإمام المازري
تونس - ١٣٤٨هـ -
ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية
للنار - تونس - ١٩٦٦م -
فجر الأندلس
القاهرة - ١٩٥٩م -
فتح العرب للمغرب
القاهرة - ١٩٤٧م -
شيوخ العصر في أهل الأندلس
القاهرة - ١٩٦٦م -
معالم تاريخ المغرب والأندلس
القاهرة - ١٩٨٣م -
١٨- د. حسين مؤنس
الأعلام
القاهرة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م -
١٩- الزركلي
فنون الإسلام
القاهرة - ١٩٥٤م -
٢٠- د. زكي محمد حسن
تاريخ المغرب العربي
الجزء الثاني
الإسكندرية - ١٩٨٤م -
٢١- د. سعد زهلول صيد الحميد
الدولة البيزنطية
القاهرة - ١٩٦٠م -
٢٢- د. السيد الباز العريشي
تاريخ المغرب الكبير
الإسكندرية - ١٩٨٤م -
٢٣- د. السيد عبد العزيز سالم

تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب
والأندلس

بيروت - ١٩٧٣ م.

تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس

بيروت - ١٩٦٢ م.

الصراع المذهبي بإفريقية

تونس ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٤ م.

العصر العباسي الأول

الأنجلو - القاهرة - ١٩٧٣ م

الحواضر الإسلامية

دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٨٦ م

٢٤- عبد العزيز المجذوب

٢٥- الدكتور عبد المنعم ماجد

٢٦- الدكتور عصام عبد الرؤوف



مركز تحقيقات كليات الدراسات الإسلامية

الفهرس

| | |
|----|--|
| 0 | مقدمة المحقق |
| 5 | خطط بغداد وتطورها في العصر العباسي الأول |
| ٢١ | الحالة الاقتصادية في بغداد في العصر العباسي الأول |
| ٢٦ | مظاهر تقدم الصناعة - |
| ٢٩ | النشاط التجاري |
| ٣٢ | الإدارة المالية |
| ٤٠ | المعاملات المالية والتجارية |
| ٤٤ | الدواوين المالية |
| ٤٥ | ديوان النفقات |
| ٤٦ | ديوان الخراج |
| ٤٩ | الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي الثاني |
| ٥١ | عناصر السكان وأثرها في الحياة الاجتماعية - |
| ٥١ | ١- العرب |
| ٦٠ | ٢- الفرس |
| ٦٣ | ٣- الأتراك |
| ٦٧ | ٤- أهل الذمة |
| ٧٥ | ٥- الرقيق |
| ٨٠ | الحياة العامة في بغداد |
| ٨٠ | أ- القصور والدور |
| ٨٤ | (ب) للمواكب والأعياد والموااسم |
| ٨٧ | (ج) للموسيقى والغناء والمجالس الاجتماعية |

| | |
|-----|--|
| ١٠٤ | المرأة في بغداد وأثرها في المجتمع |
| ١٠٩ | الأخلاق والعادات |
| ١١٩ | النهضة الثقافية في بغداد |
| ١٢١ | عوامل النهضة الثقافية |
| ١٣٠ | العلوم العقلية |
| ١٤٥ | العلوم الأدبية |
| ١٥٠ | حركة الترجمة وأثرها في ازدهار الحياة الثقافية |
| ١٥٥ | العلوم العقلية |
| ١٥٥ | علم التاريخ |
| ١٥٩ | علم الجغرافيا |
| ١٦١ | علم الفلك |
| ١٦٥ | الرياضيات |
| ١٦٧ | علم الطب |
| ١٧١ | الكيمياء |
| ١٧٥ | علم الموسيقى |
| ١٨٢ | الفهرس التاريخي للخلفاء |
| ٢٠٣ | مقدمة المؤلف |
| ٢٠٥ | الفصل الأول: التهييء |
| ٢٠٩ | الفصل الثاني: هولاء على باب بغداد |
| ٢١١ | الفصل الثالث: تملك المغول على بغداد |
| ٢١٣ | الفصل الرابع: قتل الخليفة المستعصم وانقراض دولة بني العباس |
| ٢١٣ | الفصل الخامس: امحاق سكان بغداد |
| ٢١٤ | الفصل السادس: الحكومة في بغداد بعد فتحها على يد هولاء |
| ٢١٦ | الفصل السابع: مصير أهل المناصب الجديدة |
| ٢١٨ | الفصل الثامن: حادثة جاثليق النساطرة |
| ٢٢٠ | الفصل التاسع: تملك تكودار اغول |

| | |
|-----|--|
| ٢٢١ | الفصل العاشر: انتصار أرغون على أخيه |
| ٢٢٣ | الفصل الحادى عشر: سلطنة كيخانو |
| ٢٢٤ | الفصل الثانى عشر: تملك غازان أوقازان |
| ٢٢٧ | الفصل الثالث عشر: تملك الجائيق أو خر بنده بن أرغون |
| ٢٢٨ | الفصل الرابع عشر: سلطنة بهادر بن خربنده |
| ٢٣٠ | الفصل الخامس عشر: سلطنة أريخاوارون |
| ٢٣٢ | الباب الثانى: بغداد بيد الأيلخانيين |

الفصل الأول

| | |
|-----|---|
| ٢٣٤ | دولة الأيلخانيين أو الجلائريين |
| ٢٤٨ | الفصل الثانى: ذكر منشا تيمور وحدائته |
| ٢٥٤ | الفصل الثالث: فى منكرات تيمور فى بغداد خاصة |
| ٢٥٨ | الفصل الرابع: فى أواخر دولة الإيلخانيين وانقراضها |
| ٢٦٠ | الباب الثالث: فى دولة التركمان القرينلية |
| ٢٦٢ | الفصل الأول: دولة قزة قويونلى |
| ٢٦٩ | الفصل الثانى: فى دولة اق قويونلى |
| ٢٧٩ | الكشاف العام |
| ٢٣١ | المصادر والمراجع |
| ٢٥١ | الفهرس |